صناعة التشيّع

ودور المراجع الفرس في عزل الأقليات ألشيعية في العالم العربي

الدكتور قاسم الطائي

محتويات الكتاب

الإهداء

المقدمة :

الفصل الاول: التاريخ: جرس إنذارالأمم.

الفصل الثاني: الامامة الوراثية: التنظير السياسي للتشيع الدخيل.

الفصل الثالث: المرجعية: القيادة العالمية للتوجيه واتخاذ القرار.

الفصل الرابع: التقية: آلية العزل الاجتماعي والتعصب.

الفصل الخامس: أموال المرجعية: القاعدة الاقتصادية لبناء الامبراطورية.

الفصل السادس: مجالس العزاء : مصانع الحقد وحب الانتقام .

الفصل السابع: الأحزاب الطائفية في العراق ولبنان: غربة التاريخ والوطن.

الفصل الثامن: الاستنتاج

التشيع الدخيل إفراز للإنهيار المدوي للمجد الساساني.

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }.

(الأحزاب:٣٣-٣٤) .

الإهداء

إلى الشيعي العربي
أخو النسب وشريك الوطن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

في طريقي إلى مسجد مدينة ليدز Leeds البريطانية، التي كنت طالبا فيها، رأيت شخصا بدت عليه ملامح جنوب شرق آسيا، يلتقط ورقة مكتوب عليها بالعربية، فقبّلها ووضعها في جيبه .ألقيت عليه السلام تحية الإسلام، فعلمت أنه طالب دراسات عليا من ماليزيا. وعنما أخبرته بأنني عربي من العراق كاد يطير فرحا ! ثم قال: نحن نحب اللغة العربية والعرب، فاللغة العربية نزل بها القرآن، وبها نعبد الله تعالى .أما العرب فقد أدّوا إلينا الإسلام، وهم السلف .

يشكّل المسلمون الأعاجم أكثر المسلمين، وهم خلطة مباركة من مختلف الثقافات والأعراق والألوان منتشرين في قارات آسيا وأفريقيا وأوربا. يكنّ هؤلاء الأعاجم حُبا واحتراما كبيرين للعرب، وليس أدل على ذلك من استمرار حملهم أسماء عربية، خصوصا أسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، الخلفاء الراشدين الأربعة . بل إن من أسلم منهم بدّل اسمه الأصلي الى اسم عربي، وهل يسمي الإنسان إلا بمن يحب ويرى فيه القدوة! ؟.

ليس بين الأغلبية الساحقة للأعاجم المسلمين البالغ عددها مليار، من فرس وكرد وهنود وترك وطاجيك وسلاف، من ينتقد أو يتلفظ بكلمة سوء ضد أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته، فضلا عن أن يحمل كرها أو حقدا عليهم أو يلعنهم أويشهّر بهم . بل يتعبد المسلم الأعجمي بحبهم، ويقتدي بهم، ويترضى عليهم، باعتبارهم حلقة إيصال الإسلام مباشرة من النبي ﷺ إلى الأجيال اللاحقة.

فمن تبقى سوى الأغلبية الساحقة للأعاجم المسلمين؟.

تبقت نخبة صغيرة من الفلاسفة والعلماء والمؤرخين الفرس.

صحيح أن الفرس قد دخلوا في دين الإسلام أفواجا، فأصبحوا مع المسلمين العرب، بنعمة الله، إخوانا . ولكن نخبة "مشرقية" (نسبة للمشرق) صغيرة متشائمة منهم مهووسة بقوميتها الفارسية، تساندها فئة زنادقة أظهرت الإسلام وأخفت عداوته، شكلوا " الحركة الشعوبية " كحركة سياسية متطرفة منظمة ضد العرب والإسلام .

ويعتبر بعض المؤرخين أن أولى أعمال الشعوبية هو اغتيال الخليفة الراشد الثاني عمر ابن الخطاب **على يد ابي لؤلؤة فيروز المجوسي** .

وعلى خطى المستشرقين تبنى المشرقيون سياسة عدائية حادة ضد العرب والمسلمين تقوم على أركان منها: التمييز العنصري والإرباك العقلي والتحريض السياسي السلبي ضد رموز وقادة التاريخ الاسلامي .

وفي ظل الإمبراطورية الصفوية تفتقت العبقرية الشعوبية عن استراتيجية بعيدة المدى، ذات نظام ديني هرمي يتربع على قمته رجال دين فرس "مراجع " يعملون على ربط المقلد بالمرجع من أجل تفريس وعزل المجتمعات الشيعية غير الفارسية وإلحاقها بإيران.

لكن كيف نجح المراجع الفرس في جعل التعبد بمذهب ، يعني ولاءً سياسيا لإيران؟!.

لقد رفعت المرجعية شعار حب أهل البيت، وانتحلت صفة "السادة" فصارت حصان طروادة يتسللون به لدكّ قلاع الإسلام من داخلها، وسببا لحلب المال من المقلدين . وأما المتفجرات التي يزرعونها فهي ابدال الشورى الاسلامية التي مارسها الأئمة الكبار، بإمامة وراثية بعد عزل علي عن بيت النبي اسموها " الإمامة الإلهية " كنظرية تنيلهم مقصودهم السياسي، حيث يتمخض عن الإمامة " إمام " يقود الأمة بالنيابة عن الله !

وقد كانت الإمامة في نسختها الأصلية الاسلامية هكذا:

شورى – انتخاب – بيعة – تنصيب الامام.

فأصبحت في نسختها الوراثية الفارسية هكذا:

من الله ← الوحي ← الرسول ← الوصي علي ← ورثة معينين لـ علي !

ويسمون أتباع هذه النظرية شيعة أو أتباع أهل البيت.

فلماذا لا نجد بينهم الخلفاء الراشدين الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان ؟ لأنه لا يُعترف بهم حتى ولو اعترف بهم علي نفسه!.وأين ابناء علي الآخرين من غير الحسن والحسين!؟.

وماذا بعد سلسلة الأئمة الاثني عشر التي انقطعت بغياب المهدي وهو طفل ؟ سيحمل الولاية على الإمامة " فقيه " من طراز خميني[1] !

ولكي يعطوا الإمام الفاعلية منحوه " العصمة " التي لا تليق إلا بنبي ! وهكذا سيتمتع من ينوب عن الإمام بطاعة تلامس سقف " لا يُسأل عما يفعل"!

ومن يبحث عن بلد المنشأ لهذا التوريث والتفريق يقرأ أنه " صنع في بلاد فارس " .

[1] ليس هناك" أل" التعريف في اللغة الفارسية وإنما بالعربية فقط"وحسبكم ان آخر زعيمين لشيعة العراق،آية الله أبا القاسم الخوئي ،وآية الله علي السيستاني هما من أصول إيرانية .وقد أضيفت" أل" التعريف الى اسميهما بعد استقرارهما في النجف"(نصر٢٠٠٧ :٦٣).

فهل هذا يعني أن التشيع نوعان:أصيل ودخيل ؟ نعم!
فقد ظهر مصطلح الشيعة، والذي يعني في الأصل الأنصار والأعوان، عندما اختلف سياسيا الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام آنذاك بعد مقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان . وبذلك ظهر التشيع العربي الإسلامي كتشيع سياسي أصيل خالص يعني المناصرة والتأييد، فكان المسلمون جميعا شيعة بهذا المعنى : فقسم منهم شيعة علي وقسم آخر شيعة معاوية .ولم يرتكب أي من القسمين خطيئة تكفير الآخر والتشهير به أو المساس بالعقائد الدينية من قريب أو بعيد وهذا هو أصيل التشيع .

وأما التشيع الدخيل الذي جاء من بلاد فارس فهو حركة سياسية قومية متطرفة تقوم على أساسين اثنين: سياسي اجتماعي، وعاطفي نفسي.
أما الجانب السياسي فقد أعلن عن نفسه في شكل حركة تمويهية منظمة عنيفة هدفها تفريغ جيل الصحابة من شرعيتهم الإسلامية، باستخدام أساليب الاغتيال المعنوي والأخلاقي.
صحيح أن القادحين بحق الصحابة لم يمسوا النبي ﷺ علانية، ولكن تفريغ الصحابة من مكارمهم لا ينطلي على ذي بصيرة أنه يمس النبي ﷺ في نهايته ! . وقد انتبه الإمام مالك إلى هذا المعنى فقال: "إنما هؤلاء القوم أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجل سوء ! ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين".

وأما الأساس العاطفي النفسي لهذه السياسة، فقد سلكوا فيه لعبة تضليل الجماهير عن أهدافهم السياسية الكبرى، بأن رفعت القيادة شعارا يستميل قلوب المسلمين جميعا، وهو حب آل البيت والدفاع عن مظلوميتهم . وقد بنت قيادة التشيع الدخيل مظلومية آل البيت على أساس أن هناك عداءً مستحكما بين علي بن أبي طالب وزوجته من جهة والخلفاء الراشدين الثلاثة قبله من جهة أخرى، وأن عليا وزوجه مظلومين!.

- **لكن علياّ استلم الخلافة عندما جاء دوره وبايعه من بايع أبا بكر وعمر وعثمان!.**

لقد صارإدعاء "المظلومية" أو" المحرومية" قضية تاريخية، لم تقتصر مسؤوليتها على الظالمين الأصليين بل تعدتهم إلى أتباع الخلفاء الثلاثة!!، ثم صارت تنتقل جيلا بعد جيل منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .
فأصبحت المظلومية أساسا لتعبئة نفسية عاطفية حادة للاتباع تشحنهم بتحريض سياسي سالب لكرامة الخصوم. ينفث هذا التحريض السلبي سموما ملوثة بالطعن واللعن والتشهير ضد

رموز وقادة الفتح الإسلامي. ولكي تنتشر سموم التحريض السلبي على أوسع مساحة، ويكون فعالا استخدم الشعوبيون أسلوب مخاطبة الجماهير العريضة في اجتماعات غفيرة أشهرها مجالس العزاء "الحسيني" المغرقة بثلاثية سرد مناقب الحسين الشهيد + **البكاء واللطم على** مقتله يوم عاشوراء في محرم سنة ٦١ هـ في كربلاء + لعن قاتليه والناقدين لبدعة العزاء ! ويتصدى لقيادة الجماهير، محرض سياسي خطير يحمل لقب "سيد" محافظا على رتبته الحزبية بلغتها الفارسية " روزخون " = قاريء كتاب الأحزان، جرت العادة على أن يكون فارسي الأصل.

يأخذ هذا التحريض شكل أحكام قطعية في الإدانة والتجريم، ليس لقتلة الحسين فحسب بل لكل رموز التاريخ الإسلامي وتنتشر لتشمل أمة العرب والمسلمين كلها عندما يصرح الزعيمان، الروزخون والرادود : "لعن الله أمة قتلتك "! .وهما يتجاهلان ما يحدثه هذا الأسلوب غير القانوني، واللاأخلاقي، من استفزاز مشاعر الغالبية العظمى من المسلمين والتي لا تطالب لحد الآن بمحاكمة هؤلاء الزعماء.

تتلازم مع التحريض اللفظي إقامة مناحات عديدة ومستمرة في ذكرى مقتل الحسين، تتضمن لطم الصدور وتطيين الوجوه وشق الرؤوس بالسيوف في مشاهد دموية بربرية عنيفة لا يقرها أئمة أهل البيت، ولم تكن جزءا من ثقافة العرب والمسلمين يوما . فمن أين جاءت هذه البطاريات الشاحنة للمتشيعين بالحقد والكراهية والدافعة لهم للثأر والانتقام من أبرياء لم يكن لهم دور في مقتل الحسين الذي لا يرضى به مسلم قط ؟.

جاءت من استلهام فصل مقتل القائد "سياوش" البطل المجوسي في ملحمة الشاهنامة للشاعر الشعوبي أبي القاسم فردوسي . وهكذا كان الفصل في الملحمة :

البطل الضحية : سياوش ، الممثل للشجاعة والإخلاص والاستعداد للاستشهاد دفاعا عن المثل الإنسانية العليا..

المجرم : الملك أفراسياب ذو قلب حجري دفعه لقتل سياوش..

الموقعة: فاجعة في طوران مركز آسيا التي اكتسحها الأتراك..

السبب: غدر رجال سياوش من بعد تأييد..

الاستلهام:ألّف المغنون الفرس ألحانا حزينة وأغانيا كئيبة جمعوها في" ألبوم" **أسموه" مناحات المجوسي".**

يا للشبه الصارخ مع مأساة الحسين!.

لكن السؤال المؤلم هو: ما الذي يجذب الجماهير إلى هكذا تجمعات خالية من العقلانية ومملوءة بالنياحة والجراح وجلد للذات؟
إنه مشاعية الجنس بالمصطلح المعاصر ، وهو ما يسميه قادة الفرس بـ " **المتعة** ".

إنها ليست طقوسا حزينة على استشهاد الحسين. إنها تعبير وتجسيد لصراع تاريخي عميق، بدأ يوم أن سقط مجد أمة الفرس وزال عزها تحت سنابك خيل الفاتحين، وأبقوا جذوة الصراع حية حاضرة في القلوب والأذهان كل عام، وأبصارهم شاخصة صوب المدائن العاصمة الغابرة للإمبراطورية الساسانية.

ومنذ مجيء خميني على ظهر طائرة فرنسية من احد قصور باريس الفخمة واعتلائه سدة الحكم، أعلن عن برنامج طائفي حاد، وبرنامج قومي متطرف، شعاره "تصدير الثورة "، وكان العراق أول المكتوين بناره.

يموج العالم الإسلامي اليوم باضطراب شديد وولادة عسرة، فقد سطى على حاضرته بغداد ائتلاف شعوبي- أمريكي يباركه الولي الفقيه في طهران . وكان أول المهام التي قام بها هذا " الائتلاف" هو الاعتذار عن ثورة العشرين ضد المحتلين الإنكليز، بعدها وقع دستورا مدبجا بتعظيم المراجع الفرس، ومعلنا أن العراق "اتحاد فيدرالي" وليس دولة عربية.
وإذا كان الأمريكان قد دخلوا إلى العراق بعسكرهم طمعا بنفطه وحماية لعملائهم، فإن الأمريكان سيرحلون عاجلا أم آجلا. ولكن إيران التي دخلت مع الأمريكان بأحزابها الطائفية وميليشياتها المسلحة لا تريد الخروج من العراق !. ومن أجل الإجهاز على ما تبقى من المناعة الإسلامية، فإن إيران تتبع خطة مزدوجة في مسخ العقل المسلم:

- فهي من جهة تحاول تفريغه من العقائد الإسلامية القويمة، وخصوصا في ما يتعلق بالسنة النبوية بزيادة التحريض القوي والعلني على قادة المسلمين ورموزهم وخصوصا العرب مادة الإسلام وحراسه .

- ومن جهة أخرى التبشير بالتشيع الدخيل كمدخل لحقن ثقافة الفرس لتوليد امتدادات نفوذهم الديني والاجتماعي والسياسي بين المسلمين .

فما أسوأ احتلال إيران للعراق من منعطف تاريخي انتقالي فوضوي خطير.

إذن!
علينا ، نحن المسلمين: شيعة علي ومن هم في الوقت نفسه شيعة من قبله أبي بكـــر وعمـــر وعثمان أن نتصدى لهذه الفترة الفوضوية بتوعية فاهمة تميز ما بين النور والظلمات :

- نور الإسلام كما أنزل طريا على محمد ﷺ قرآنا فصّله بـــ" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي".
- ظلمات التشيع الدخيل

وإذا كان نور الإسلام واضحا أوضح من الشمس في رابعة النهار، فإن ظلمات التشيع الدخيل تحتاج منا إلى تجلية عقائده وأسسه النفسية والاجتماعية وقاموسه السياسي الدقيق .

لماذا ؟

من أجل تحصين الجيل الحالي والأجيال اللاحقة مـــن الوقـــوع فـــي بـــراثن هـــذه الثقافـــة والتحريض الهابط بالنفس الإنسانية إلى دركات العقد والمشاعر السلبية المدمرة.

ولذلك جاء هذا الكتاب..

ليوفر مدخلا لمعرفة دوافع وأهداف تحريض التشيع الدخيل ضد أهل البيت و المسلمين مـــن خلال شرح فقرات هيكله الفكري والعقيدي والطقوسي والأســـلوبي. ومـــن تلـــك الفقـــرات: نظريةالامامة الوراثية، والمرجعية ، والتقية، والخمـــس، وعاشـــوراء، و" زواج " المتعـــة، وأساليب نشر النفوذ الفارسي في المجتمعات الشيعية في البلدان العربية .

ومما يمتاز به كتابنا..

هو تحليله السياسي/الاجتماعي لفهم التشيع القادم من بلاد فارس بخصائصه وأساليبه وأهدافه البعيدة . ويعتمد تحليلنا على كشف النمط المنظم الثابت والمتفق عليه بين النخب الفارسية على مدى العصور، والذي أخذ يتصاعد بحدة منذ العهد الصفوي إلى اليوم . وقد كشفنا عن نمـــط التشيع مستندين إلى أقوال وحجج وقرائن وثقت أغلبها كتب ومصادر شيعية . وقد اعتمدنا في التوثيق الأسلوب العلمي لجامعة هارفرد الأمريكية الذي يتضمن عند الاقتباس ذكـــر الاســـم

الأخير أو لقب المؤلف وسنة نشر الكتاب ورقم الصفحة التي أخذ منها الاقتباس كهذا (شريعتي ٢٠٠٢ :٢٥٧).وسيجد القارئ قائمة بهذه المصادر في نهاية الكتاب.

ويأمل كتابنا ..

كذلك أن يكون جسرا إلى وحدة المسلمين من خلال:

١- فضح سياسات التشيع الدخيل في نشر ثقافة الحقد والكراهية بين المسلمين التي تؤجج الرغبة في الثأر وحب الانتقام، وترمي بكل ناقد موضوعي لهذه الثقافة في دائرة أعدائها ليستهدفه محرضوهم، فتهدم بنيان المسلمين المرصوص الذي يشد بعضه بعضا.

٢- إجهاض محاولات تشكيل تجمع عنصري بين شيعة البلدان العربية يريد عزلهم عن محيطهم العربي الإسلامي وهو محيطهم الطبيعي وحاضنته الأساسية في تحقيق مصالحه.

د. قاسم الطائي

٢٠ /٩/ ٢٠١٠

الفصل الأول

التاريخ: جرس إنذار الأمم

الامبراطورية الساسانية الغابرة

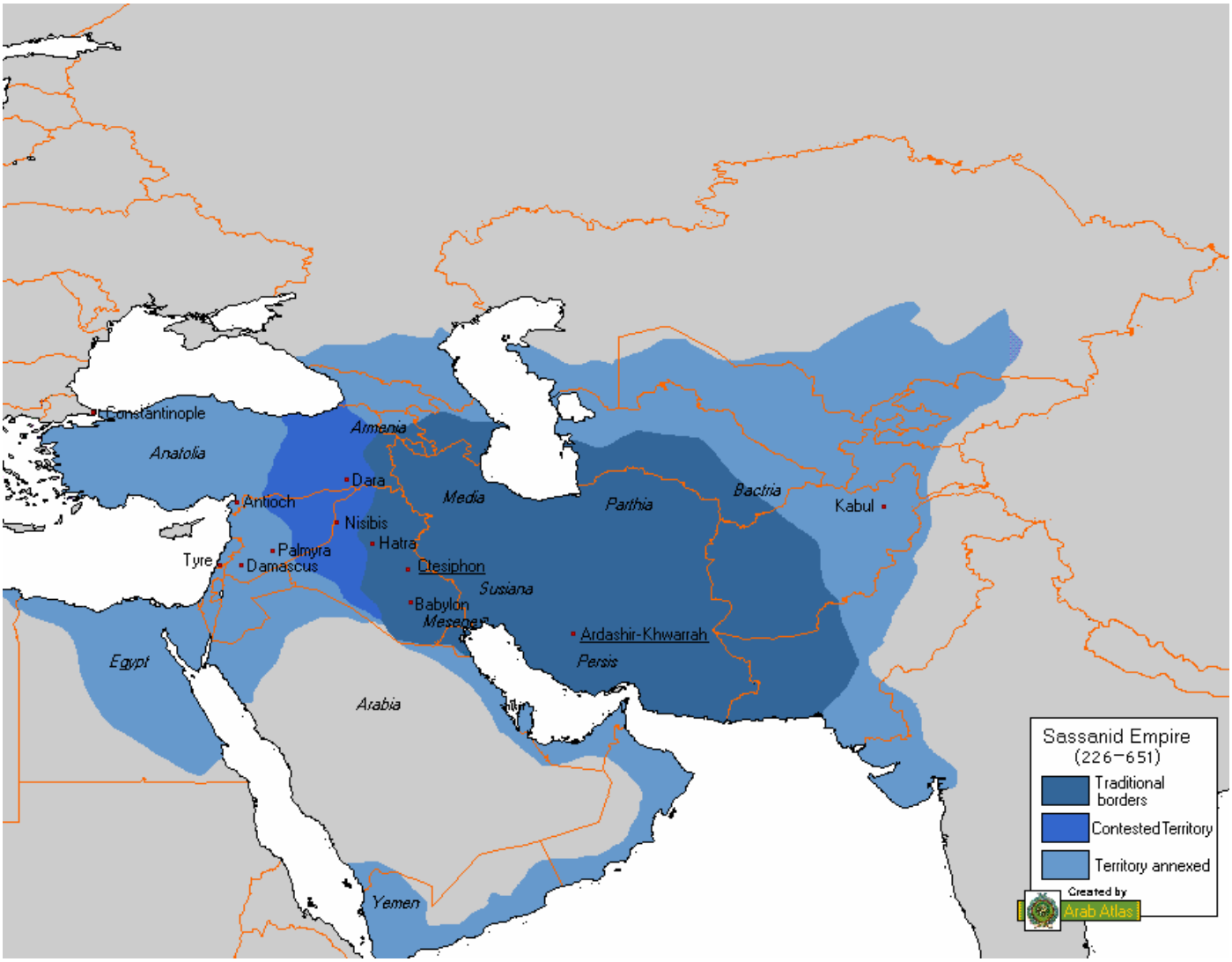

حدود وامتدادات الامبراطورية الساسانية (٢٢٦-٦٥١ م)

كان الفرس- جار العرب- أهل امبراطورية عظيمة في التاريخ والجغرافية، عمرها أكثر من ٢٥٠٠ عام . وامتدت يوما لتشمل إيران والعراق وآسيا الوسطى وشمال القوقاز وبلاد الشام وأكثر جزيرة العرب. وقد خاضت صراعات وحروب طويلة مع الإمبراطوريـــة الرومانيـــة

لمدة ألف عام، في دورات من الانتصار والهزيمة، لكنها بقيت ولم تنهار حتى فتحها المسلمون، وإلى الأبد، في أقل من عقدين من الزمن!.
لقد تشنجت علاقة الفرس بالمسلمين، وخصوصا العرب، منذ سقوط إمبراطوريتهم الساسانية وحتى اليوم، أخذت هذه العلاقة العدائية شكل سلسلة تاريخية متعاقبة من التوتر والعداء . قام الفرس خلالها بكثير من الاغتيالات، والتمردات المسلحة، والاحتلالات، والتعاون مع الأعداء ضد المسلمين في محاولة لإضعافهم وإسقاطهم . وقد سقطت حقا بعض عواصم بلدانهم مرات في التاريخ. وفي ما يأتي لمحات من تاريخ العلاقة العدائية المتوترة منذ سقوط الإمبراطورية الساسانية، وحتى إيران الخمينية .

سقوط الامبراطورية الساسانية:

في ٦٠٩ م وقبل بعثة النبي محمد ﷺ بعام واحد فقط . طلب خسرو ملك فارس الزواج من بنت النعمان بن المنذر ملك الحيرة (مدينة تاريخية تقع في جنوب وسط العراق تابعة للامبراطورية الساسانية)، لما سمع عن جمالها . فردّ المنذر طلبه. وحين دعى خسرو النعمان إليه، ذهب إليه وهو يعلم أنه مقتول لا محالة . فأودع سلاحه ودروعه ونساءه، عند بني شيبان وقائدهم هاني بن مسعود الشيباني. قام خسرو بحبس النعمان حتى مات في حبسه.وجهز جيشا من خيرة قادته وجنده، لجلب أسلحة ودروع ونساء النعمان من الشيباني .رفض الشيباني هذا الطلب المذل، ساحبا الفرس إلى معركة في قلب صحراء أكثرها مغطى بالقطران . فمات بعض الفرس عطشا وانقض العرب على فريق منهم، وفر الباقون مذعورين وقد علاهم القار. فسميت المعركة بـ " ذي قار" حيث انتصر فيها العرب على الفرس لأول مرة بعد قرون طويلة من الاستعباد. وقد فرح النبي محمد ﷺ بهذا الانتصار.

وبعد خمس سنوات من هجرته ﷺ تحالفت أحزاب العرب مع المشركين واليهود للقضاء على الدين الجديد، في معركة الأحزاب– الخندق– . أشار الصحابي الجليل سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة لدرء هذا الخطر الداهم . بدأ النبي محمد ﷺ الحفر مع أصحابه ،فاعترضت صخرة قوية لا تأخذ منها معاول الصحابة " فجاء رسول الله وأخذ المعول فقال:بسم الله ! ثم ضرب ضربة وقال:الله اكبر! أعطيت مفاتيح الشام!والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال الله أكبر! أعطيت فارس! والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض .

وبعد وفاته ﷺ استلم هذه الإشارة والبشرى أصحابه، خصوصا الخلفاء الراشدين الأربعة من بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، فصدّقوا بشراه .

اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة بدعوة من سيد الأنصار سعد بن عبادة، لملء الفراغ الدستوري الذي خلفه موت قائد الدولة الإسلامية الاولى.وفي أول عملية شورية في تاريخ المسلمين، وبعد أخذ ورد ومداولة الآراء بين الصحابة، انتصر الإجماع في النهاية، بمن فيهم علي نفسه وانتخبوا أبا بكر ليكون أول خليفة لرسول الله ﷺ . وقد بايع علي ابتداءاً لأبي بكر بحضور بعض الصحابة ثم اعتزل في بيته ستة أشهر لمرض زوجته فاطمة، ثم لما توفيت خرج وجدد البيعة مرة أخرى لأبي بكر بحضور الناس واجتماعهم كي لا يظن أحد أن اعتزاله كان لعدم رضاه. وبهذا استطاعوا أن يؤسسوا عمليا لمبدأ الشورى الذي ما ترك فرصة للخلاف. فاستمرت الدولة التي وضع أساسها الرسول القائد، وانصرف أصحابه لنشر

الدعوة الاسلامية إلى خارج الجزيرة العربية وفق خطة محكمة لفتح بلاد فارس وبلاد الشام التي بشر بفتحهما النبي محمد ﷺ.

قام أبو بكر الصديق، الخليفة بين (١١-١٣ هـ)، بعد قمع ردة الأعراب ومدعي النبوة، بإرسال جيوش الفتح إلى بلاد فارس بقيادة البطلين خالد بن الوليد الذي اتجه إلى الأبُلّة في الشرق، وعياض بن غنم الذي سار إلى دومة الجندل في الشمال. اشتبك المسلمون مع الفرس في ١٧ معركة، منها ذات السلاسل، عين تمر، كربلاء، الأنبار ...الخ . حتى وصل خالد إلى الحيرة عاصمة المناذرة، فحررها بعد ١٢ قرنا من الاحتلال الخسروي.

قاد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ)، المسلمين بعد وفاة أبي بكر.ابتكر عمر طريقة إسلامية فريدة في تسيير شؤون الدولة، من حيث توزيع المال والرشد فيه، ومراقبة الولاة ومحاسبتهم، والمسؤولية الاجتماعية للحاكم، و حسن إدارة العلاقات الخارجية، فامتاز عهده بالعدل والاستقرار. واصل عمر الفتوحات التي بدأها أبو بكر، فأمر بفتح العراق، التي كانت مستعمرة فارسية . قام عمر بتغيير بسيط في قيادة الجيش، بعد ذهاب خالد بن الوليد إلى اليرموك لفتح بلاد الشام، فعيّن الصحابي أباعبيد بن مسعود الثقفي قائدا للجيش يساعده القائد الميداني المثنى بن حارثة الشيباني . خاض القائدان معركة الجسر ضد الفرس، فلم يكن النصر حليفهم، حيث قتل الثقفي، ومات المثنى متأثرا بجراحه بعد أسابيع .

عزم عمر بعد معركة الجسر الخروج لملاقاة الفرس بنفسه. ولكن بعد التشاور مع الصحابة، ومنهم علي بن أبي طالب، تقرر اختيار سعد بن ابي وقاص ليكون قائدا على جيوش المسلمين، يساعده خالد بن عرفطة . وفي ١٥ هـ جرت معركة القادسية لمدة ثلاثة أيام وأربعة ليال، وانتهت بهزيمة الفرس وقائدهم رستم هزيمة ساحقة، فولى يزدجرد هاربا، ونزل سعد القصر الأبيض، بعد شهرين من المعركة.

قررعمر إتمام الفتح وإسقاط الامبراطورية الفارسية مستغلا ضعفها، فقد تسلم آنذاك ٧ أكاسرة حكم بلاد فارس في أقل من ٤ سنين، فكانت معركة نهاوند . قاد معركة نهاوند عام ٢٢ هـ النعمان بن مقرن ونائبه الحذيفة بن اليمان، وقد كان تسعة من ابناء مقرن قادة في هذه المعركة. سميت هذه المعركة " فتح الفتوح" لأنها كانت فاصلة في التاريخ الإسلامي، إذ لم يقم للفرس بعدها قائمة . وهرب يزدجرد الثالث إلى خراسان قرب الحدود الأفغانية الإيرانية حاليا.

تداعى قادة الفرس بعد هول هذا الانهيار إلى اجتماع طارىء بقيادة المهزوم يزدجرد، فوضعوا خطة لقتل عمر. ومن بين المتآمرين الثلاثة : الهرمزان قائد الجيوش الساسانية، ومولاه أبو لؤلوءة، وجفينة. وفعلا اغتيل عمر وهو ساجد في المحراب في ٢٣ هـ على يد المجوسي أبي لؤلوءة، فبنى له الفرس عتبة مقدسة سادنها "سيد"، ويطوفون حول القبر متبركين، واتخذوا من يوم مقتل عمر، التاسع من ربيع الأول عيدا (عمر كشي)!. ومنحوه حوالي ٦٠اسماً منها عيد الفرح والشكر والتبجيل.

تولى الخلافة عثمان بن عفان (٢٣- ٣٥ هـ) بعدما ظن الفرس أنهم ضربوا الإسلام والعرب ضربة قاضية باغتيال القائد عمر. ولكن واصل عثمان الفتح بعزم وحماس عظيمين، مطاردا جيش يزدجرد الثالث، حيث دخل معه معارك عدة، منها هرات والديلم وطبرستان، حتى ظفر به و قتله في ٣١ هـ على الحدود الأفغانية الإيرانية، فأحكم فتح بلاد فارس تماما على يديه .

ومن هنا بدأ التحريض ضد عثمان، بعدما التقت مصالح الفرس مع دعوة اليهودي عبد الله بن سبأ . أكثر ابن سبأ الطعن في عثمان، وأرسل رسائل التحريض إلى الأمصار، خصوصا أهل الكوفة والبصرة ومصر . تواعد هؤلاء الاوباش على اللقاء في موسم حج عام ٣٥ هـ ، وأثاروا فتنة هوجاء أدت إلى مقتل الخليفة الراشد الثالث، زوج ابنتي رسول الله ذي الثلاث والثمانين عاما، وهو جالس في داره يقرأ القرآن. وقد منع عثمان كبار الصحابة وأبناءهم، مثل عبد الله بن عمر، والحسن والحسين أولاد علي، من الدفاع عنه، فذهب شهيدا لم تتلوث يداه بدم مسلم قط.

قام الموالي من شيعة علي بن أبي طالب (٣٥-٤٠ هـ)، بعد توليه الخلافة بمشاغلته وخلق الاضطرابات والفتن : تارة بخذلانه وكثرة جداله، وبمعارضته المسلحة تارة أخرى، فشغلوه عن الفتح، وهو العالم الشجاع الذي عرفته معارك الإسلام الفاصلة في التاريخ : بدر، وأحد، وخيبر.

انشغل علي بمواجهة الفتن الداخلية والاضطرابات التي قام بها قتلة عثمان، حتى أدت إلى حرب الجمل وحرب صفين . انتهت معركة صفين بصلح مع معاوية بالتحكيم بين الطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين . لم يعجب هذا الاتفاق فئة صغيرة من جيش علي، فخرجوا عليه، فسُموا آنذاك بالخوارج. قاد الخوارج بعدها معارضة مسلحة ضد علي، فهزمهم في معركة النهروان وانهزم جماعة منهم إلى بلاد فارس، فأصبحوا مصدر قلق له، وللدولة الأموية فيما بعد . ثارالفرس في زمن علي بن ابي طالب، فأرسل إليهم احد كبار قواده، زياد بن أبي سفيان، أخا معاوية، الذي نجح في إحكام أمرهم.

وعلى طريقة الفرس المفضلة في القتل السري، خطط الفارسي شيرويه الكوفي لاغتيال علي فاغتيل مثل عمر، طعناً بالسكين، على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم وهو ساجد في المحراب، فذهبت نفسه الطاهرة إلى بارئها في ٤٠ هـ .

وبدل الاحتفاء والاحتفال الواجب بحق هؤلاء الخلفاء الراشدين وقادة فتح بلاد فارس الذين أدخلوا الفرس في الإسلام، كان نصيبهم السب والطعن والتكفير . فمن فعل هذا ؟ فعلته منابر التكفير والتشهير التي اعتلتها فئة، ممن امتلأت قلوبهم بالحقد والبغضاء(نخبة) من كبار علماء وفلاسفة ومؤرخي الفرس من الأولين والآخرين، فصبت جام غضبها وحقدها على الخلفاء الراشدين، وأهل البيت ونشرت ثقافة الحقد والكراهية ضد عظماء المسلمين في محاولة لزعزعة السلم الأهلي وشق الصف المسلم.

منابر التكفير والتشهير :

غرس سقوط الإمبراطورية الفارسية أول بذرة لنشر التكفير والتشهير ضد قادة المسلمين والعرب وتاريخهم، وخصوصا قادة فتح بلاد فارس: أبا بكر وعمر وعثمان وسعد ابن أبي وقاص وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة والأحنف بن قيس وأبا موسى الأشعري وأبا هريرة الدوسي وزياد بن أبي سفيان وآل مقرن وقريش قبيلة النبي التي أنجبت كثرة من هؤلاء القادة. ويتصاعد التكفير والتشهير ليشمل الأمة المسلمة كلها.

لقد قام أحفاد أبي لؤلؤة : كليني، وقمي، ومجلسي، وجزائري، وشريعتي، وخميني بتسويد الكتب والصفحات في اللعن والطعن والتشهير، في أكبر حملة اغتيال معنوي وأخلاقي عرفها التاريخ، لصحابة رسول الله وأهل بيته وقادة فتح بلاد فارس . الغرض من هذه الحملة هو

سحب الشرعية من قادة المسلمين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأدخلهم جنات وبشّرهم بها وهم أحياء، كما جاء في كتابه العزيز . وأثاروا بعد الاغتيال الأخلاقي، غبار التشكيك في مرويات التاريخ الثابتة، والمعروفة بداهة عند المسلمين، بهدف إرباك العقول وهز ثقة أبناء الأمة المسلمة برموزها التاريخية، الذين أدوا إلينا الإسلام كما جاء به النبي محمد ﷺ وبنوا حضارته. وفي ما يأتي بعض تفسيراتهم ومروياتهم كأمثلة فقط :

المقترف	الضحية	الاقتراف
كليني في " الكافي "	تفسير القرآن	قوله تعالى "إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ، الشيطان سوّل لهم وأملى لهم " سورة محمد:٢٥ فلان وفلان وفلان(الخلفاء الراشدين الثلاثة) ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام " ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر، والله يعلم إسرارهم" سورة محمد:٢٦ قال:نزلت والله فيهما وفي أتباعهما " يعني أبا بكر وعمر.
كليني	قبيلة قريش	الطعن في تيم وعدي وأمية فروع قبيلة قريش الذين منهم أبو بكر وعمر وعثمان على التوالي، ويتهمهم بأنهم يردون الناس عن الإسلام" أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله كئيبا فقال له علي عليه السلام: مالي أراك يا رسول الله كئيبا حزينا ؟ قال:وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تيم وبني عدي وبني أمية يصعدون منبري هذا يردون الناس عن الإسلام قهقرى".!
كليني في كتاب الروضة من الكافي	أبو بكر و عمر	" و إن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"
ابن بابويه قمي	أبو بكر وعمر والأمة المسلمة كلها	يطعن في أبي بكر وعمر والأمة المسلمة كلها " إن أبا بكر لما بويع ، ذهب أنصار عليّ إليه ، فتكلموا في الأمر، فقال لهم علي عليه السلام: وقد اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها والكاذبة على ربها . وقد شاورت في ذلك أهل بيتي، فأبوا إلا السكوت، لما تعلمون من وغر صدورالقوم وبغضهم لله عز وجل ولأهل بيت نبيّه عليه السلام، وإنهم ليطلبون بثارات الجاهلية...والله ! إن قريشا لتعلم أني أعلاها حسبا وأقواها أدبا وأجملها ذكرا، وأقلها غنى من الله ورسوله ، وإنك (يعني عمر) لجبان عند الحرب ، بخيل في الجدب ، لئيم العنصر، مالك في قريش مفخر" . "إن في التابوت الأسفل ستة من الأولين وستة من الآخرين....والستة من الآخرين نعثل (يعني عثمان، قلبا لاسمه ليصبح معناه الشيخ الأحمق) ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الاشعري ونسي المحدث اثنين"[٢].
مجلسي	عمروعثمان وعائشة وحفصة	بوّب بابا مستقلا بعنوان" بيان قليل من البدع والأعمال القبيحة والأفعال الشنيعة التي ارتكبها عمر الخليفة الثاني للسنّة " ثم يتمادى المجلسي بثقافته الهابطة، في الخوض في عرض أعظم قائد في الإسلام، يتوقف القلم عن ذكره لولا الأمانة العلمية، فيقول" وأما ما ذكر في الكتب المبسوطة من دناءة نسب عمر وحسبه وكونه ابن زنا فلا يسعه هذا المختصر". ويقول في عثمان " والدليل الناطق على كفر عثمان أن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يبيح قتله ولم يكن يرى فيه بأسا ". ويلعن عائشة وحفصة أمهات المؤمنين بقوله " إن

[2]- ظهير١٩٨٣ :١٧٠-١٧٣

		العياشي روى بسند معتبر عن الصادق(ع) أن عائشة وحفصة لعنة الله عليهما وعلى أبويهما قتلتا رسول الله بالسم دبرتاه "[3] .
جزائري	علي ابن أبي طالب	وينسب الجزائري الى علي توحش العبارة وهبوط اللفظ في وصف أقرب الناس إليه، أخيه وابن عمه فيقول: "ولم يبق معي من أهل بيتي أحد أطول به وأقوى،أما حمزة فقتل يوم أحد، وجعفر قتل يوم مؤتة، وبقيت بين خلفين خائفين ذليلين حقيرين :العباس وعقيل " واتهموه ايضا بالجبن والهوان والمسكنة ، فقد ذكر الطوسي والمجلسي والطبرسي أن فاطمة غضبت على عليّ وأهانته فقالت " يا ابن أبي طالب ! اشتملت مشيمة الجنين، وقعدت حجرة الظنين" . ويقول محسن الأمين عنه "وإن فاطمة لامته على قعوده وهو ساكت ".
كليني	علي ابن أبي طالب	" إن عليا لم يكن يريد أن يزوج ابنته أم كلثوم من عمر، ولكنه خاف منه ، فوكل عمه عباس ليزوجها منه ".
المقدسي أردبيلي	علي ابن أبي طالب وفاطمة	يصف حب علي للسلطة والشغف بها، في مشهد ذليل خطير: فقد أركب علي فاطمة بنت رسول الله حمارا والحسن والحسين على عاتقيها، يدور بها على أبواب بيوت المدينة يطلب الخلافة لنفسه، ناسيا ادعاءه أنها في ذات الليلة فقدت جنينها الذي أجهضه عمر! ومتجاهلا حزنها على فراق أبيها! الذي غادر الدنيا في ذات اليوم فيقول: " فلما كان الليل حمل علي فاطمة عليها السلام وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أتاه في منزله، فناشدهم الله حقه ، ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب منهم رجل "[4] .
مجلسي	سعد بن أبي وقاص: باني مسجد الكوفة	يكنيه بالمرتد، و قارون هذه الأمة . والمعروف أن سعدا هو الذي بنى مسجد الكوفة، الذي تشد الشيعة إليه الرحال! بل و يعدونه خيراً من المسجد الاقصى، الذي ذكره الله في القرآن معراجا للرسولﷺ إلى السماء، وكان قبلة المسلمين الأولى. يروي المجلسي عن أبي عبدالله أنه قال "سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال:المسجد الحرام ومسجد الرسول(ص) فقلت والمسجد الاقصى؟ جعلت فداك .فقال :ذاك في السماء ! إليه اسري برسول الله ﷺ . فقلت إن الناس يقولون إنه بيت المقدس ؟ فقال مسجد الكوفة أفضل منه ! " وكذا تجده في تفسير الصافي " للفيض الكاشاني" وتفسير نور الثقلين" للحويزي "[5].
علي شريعتي	خالد بن الوليد	اتهمه بالزنا " أما خالد القائد الذي قتل مالك بن نويرة وضاجع زرجته الفاتنة في نفس الليلة "[6].
خميني في كتابه كشف الأسرار	أبو بكر وعمر أبوا عائشة وحفصة زوجتا رسول الله.	" إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين (يعني أبا بكر وعمر) ، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وحرماه من عندهما وما مارساها من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ وضد أولادها ، ولكننا نشير إلى جهلهما أحكام الإله والدين ويقول: " إن مثل هؤلاء الأفراد الجهال الحمقى الأفاكون والجائرون غير جديرين بأن يكونوا في موقع الإمامة، وأن يكونوا ضمن أولي الأمر" . ويقول كذلك" إن عمر آذى رسول الله ﷺ في آخر حياته، فأثر ذلك على رسول الله وكانت صدمة له عجلت برحيله عن هذا العالم . وإن هذا الإيذاء من جانب عمر كان تعبيرا للكفر والزندقة التي يبطنها عمر بداخله "[7].

[3] -المصدر نفسه:٢٠٣-٢٠٥ .
[4]- المصدر نفسه:٢٦٩-٢٧٠ .
[5] - حجازي ٢٠٠٨ www.alhaqeeqa.com .
[6]- شريعتي٢٠٠٣ :٥٢ .
[7] -العيص ٧٤-٧٧ .

أبـــو الحـــسين خؤيني	**عمر: صهر علي**	**صاحب كتاب "فصل الخطاب في تاريخ قتل بن الخطاب ": " إنه الجبت الذي عادى النبي وآله، وفرعون الذي حـرف القـرآن، وأذاع فـي الأرض الفساد، واظلمت من كفره الدنيا، والذي طلب عند مماتـه أن يشرب النبيذ ".[٨]**

لقد كان علي المستشار والقاضي الأول لعمر، وقد امتلأت موسوعات أعمدة التشيع الـدخيل، أن عمر كان يستشير عليا في الأموركلها، الصغيرة التي يعرفها المسلم بداهة كحكم أن الزانية لا تعاقب إلا بعد وضع حملها، والكبيرة في القضايا الاستراتيجية كنصحه بعدم الشخوص لقتال الفرس بنفسه، وأن يذهب إلى القدس عند فتحها. وحقا خلف عمر عليا في المدينة المنـورة لإدارة شؤون الدولة الإسلامية عند ذهابه إلى القدس. إن هدف هذه الفئة الواضح مـن ذكـر كثرة استشارة عمر عليا، هو إظهار جهل عمر مقابل علم علي !. فإذا كان علـي المستـشار والقاضي الأول لعمر، فمخالفة أحكام الإله التي قام بها عمر، وسـطرها كلينـي ومجلـسي وخميني والمستشيعون، إنما كانت اجتهادات اجتهد بها علي فأخذ بها عمـر!.وهكـذا يكـون خميني وأسلافه ومريدوه قد أوقعوا أنفسهم في ورطة لا يخرجون منها إلا بالتقية !إذ كيـف يكون عليا مستشارا لكافر وزنديق بل يزوجه بنته ؟!.

وعلى خطى المؤرخ مرتضى عسكري الذي سيأتي ذكره لاحقا، يحذو حسن العلوي حـذوه في كتابه (عمر والتشيع) فيملأ صفحاته طعنا وتحريضا وتشهيرا ضد قادة فتح بلاد فارس، ودفاعا عن هرمزان الفارسي ثالث ثلاثة الذين تآمروا على قتل عمر. وجعل من تاريخ صدر الإسلام الأول سلسلة من إتهامات وتحقيقات أقامها عمر ضد جرائم قام بها كبار قـادة هـذا الفتح وعن "منهوبات الفتح" الإسلامي. ففي صفحة يتهم الوقاص: قائد القادسية، وفي أخرى سيف الله المسلول خالد : محرر الحيرة ، وثالثة فاتح قم: الأشعري، ورابعة قائد فتح الأحواز: المغيرة بن شعبة ويلف ويدور في فصل لاحق ليعيد التهمة والطعن بهم مرة أخـرى علـى طريقة أي روزخون معتل منبر العزاء، فيقول : " كانت مثل هذه الجلسات تعقـد لمحاكمـة قادة من طراز خالد بن الوليد، وسعد ابن أبي وقاص، والمغيرة بن شعبة، وعمروبن العاص، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة الدوسي" [٩]. ويتهم "السيد" العلوي عمر بأنه كان في نيته أن يقيم لرموز التاريخ الإسلامي، خصوصا قادة قريش، محكمة شبيهة بمحكمة نورنبرغ التي أقامها الحلفاء بعد انتصارهم في الحرب العالميـة الثانيـة لمحاكمـة النازيـة والمتـسببين "بالهولوكست" أو المحرقة اليهودية! . فيقول بطريقة زئبقية "وقد أوشك عمر بن الخطـاب أن يعقد محكمة، على هذا الغرار، لو ترك له الخيار عند فتح مكة لمحاكمة مجرمي الحرب مـن قريش، وفي المقدمة منهم أبو سفيان بن حرب، لكن شفاعة العباس ابن عبد المطلب أو دوره حال دون ذلك"[١٠] . وكأن النبي ﷺ لم يقل " من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن" و "اذهبوا فـأنتم الطلقاء" ! وكأنما يريد العلوي أن يقول كما قال إمامه خميني: إن عمر أراد مخالفة حكم النبي ﷺ.

لقد اعتمد المؤرخ العلوي في تحليله للتاريخ على الفهم الكيدي التـآمري والتحليـل القبلـي العنصري والطبقي الشيوعي الذي جاء به الفارسيان علي شريعتي و مرتضى عسكري، فـي تفسيرهما للتاريخ الاسلامي . إن هذا التحليل، ببساطة يتناقض مع ربانية الإسلام وإنـسانيته، الذي أقامته مع النبي محمد ﷺ عصبة متعددة:

---

[8] - موقع" المصريون"٢٠٠٨/١٢/١ .
[9]- العلوي ٢٠٠٧ :٥٨ .
[10] -المصدر نفسه:٨٢ .

الأعراق :فيها العربي علي، والفارسي سلمان
الألوان: الحبشي الأسود بلال، والرومي الأبيض صهيب
الطبقات :الفقير أبوذر، والغني عثمان
المكانة:السيد أبوبكر، والعبد الخباب بن الأرَتّ.
القيادة: من العرب إلى التتار ثم الكرد والمماليك والترك.

ولكنها عصبة انصهرت في بوتقة الإسلام وثقافته، فاصطبغت بها مجتمعات المسلمين منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا.

لقد ربط المعجم السياسي الشعوبي تاريخنا، **الذي بدأ بالسقيفة إلى اليوم**، باستلاب الحق والغصب والظلم أو المظلومية والمحرومية . فأجمعت النخبة الفارسية، من كليني إلى خميني، على كراهية أهل البيت والصحابة والخلفاء الراشدين، وتبخيسهم لتبرير العدوان عليهم، تنفيسا لشدة الإحباط والغضب والحقد الذي تكنه قلوبهم ضد المسلمين وقادتهم الذين فتحوا الإمبراطورية الساسانية البربرية وأبدلوها بسماحة الإسلام وعدله .

لقد جعلت النخبة يوم اغتيال عمر عيداً قوميا منذ نشوء الدولة الصفوية الى اليوم، في ظاهرة غير مسبوقة بين أمم الأرض كلها .وأسمته " عيد الزهرة " إشارة إلى فاطمة الزهراء زوج علي التي فرحت بمقتله، المتوفية قبل عمر بـ ١٢ سنة!. وصار سب عمر وامتهان كرامته امتحانا لولاء المتحولين إلى التشيع الدخيل، وثقافة شعبية يتربى عليها الأطفال الأبرياء على الكراهية والحقد ،حيث يرددون في العيد! أهزوجة تقول" البس الجديد، والعن عمر ويزيد"[11]..

ولن يستقيم هذا اللعن والطعن والتشهير في صحابة مدحهم الله في كتابه العزيز حيث قال: وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (الأنفال:٧٤) .

أما سيد أهل البيت علي بن أبي طالب فقد قال في صهره عمر " لله بلاء فلان ! فقد قوّم الأود، وداوى العمد، خلف الفتنة، وأقام السنّة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه "[12].[الأود = الاعوجاج ، العمد = المريض].

وقال ابنه الحسن :" أي بيت لم يجدوا فقد عمر، فهم أهل بيت سوء".
[لم يجدوا فقد عمر = لم يتأثروا بفقدان عمر].

عمر العادل، الذي تحاول النخبة النيل من سمعته، فتح القدس سلما عام ١٥ هـ ، وكتب وثيقة انسانية في العلاقات الدولية ونصا في القانون الدولي الخاص سيعجز "المجتمع الدولي" الاتيان بمثله حتى تلد الامهات انسانا سامقا مثل عمر. كتب عمر هذه الوثيقة مقتفيا أثر نبيه محمد عندما كتب الدستور العالمي" وثيقة المدينة" التي دخلها سلما مرحبا به يوم هجرته.سميت وثيقة عمر الانسانية تاريخيا بالعهدة العمرية وهذا نصها :

لوثيقة العمرية في فتح بيت المقدس

---

[11] -المصدر نفسه :١٥ .
[12] - عبدة ٢٠٠٨ :٣٣٤ .

(إسلام ويب) د. عبد الحليم عويس بتصرف يسير

اتجه لفتح بلاد فلسطين قائدان مسلمان هما: عمرو بن العاص ، وأبو عبيدة بن الجراح الذي إليها يُعْزَى فضل إدخال بيت المقدس في الإسلام ، وكانت تسمى بإيليا . وطلبا من عمر المجيء لاستلام القدس بناءا على طلب من أهلها لمعرفتهم بعدله
وكان في استقبال عمر "بطريرك المدينة صفرونيوس" وكبار الأساقفة ، وبعد أن تحدثوا في شروط التسليم انتهوا إلى إقرار تلك الوثيقة التي اعتبرت من الآثار الخالدة الدالّة على عظمة تسامح المسلمين في التاريخ ، والتي عرفت باسم العهدة العمرية .
نورد نصّها الذي تكاد تجمع عليه المصادر التاريخية الوثيقة:
"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ؛ أنه لاتسكن كنائسهم و لا تهدم ولاينتقص منها ولا من خيرها ، و لا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضام أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم (ويخلى بيعهم وصلبهم) ، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .
شهد على ذلك: خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان .

الدولة الأموية(٤١-١٣٢ هـ) دولة الفتح والجهاد:

انتقلت الخلافة بعد علي بن أبي طالب إلى بني أمية بعدما تنازل الحسن بن علي عنها وأعطى البيعة مختاراً لمعاوية ابن أبي سفيان. وقد جعله الحسن خليفة للمسلمين بعدما رأى أن معاوية خير له من شيعته . يقول طبرسى في(الاحتجاج) قال الحسن:" أرى، والله، معاوية خيرلي من هؤلاء! يزعمون أنهم لي شيعة وابتغوا قتلي وأخذ مالي "[١٣] .وبذلك أنهى الحسن بهذه البيعة الصراع الموروث بين علي ومعاوية ، فأطلق المسلمون على ذلك العام في التاريخ " عام الوحدة" أو " عام الجماعة ".وقد تجرأ بعض شيعة الحسن عليه بسبب هذه المبايعة، فخاطبه سليمان بن صرد الخزاعي قائلا "السلام عليك يا مذل المؤمنين".غادر الحسن المدائن في جنوب بغداد إلى المدينة المنورة ومات فيها بعد أن طعنه أحد شيعته بمعول في فخذه الشريف .

واصل بنو أمية الفتوحات التي بدأها الخلفاء الراشدون، بقيادة معاوية بن أبي سفيان، فوصل الإسلام إلى زوايا الدنيا الأربع: من حدود الصين إلى بلاد الهند إلى شمال أفريقيا

[13] - ظهير ١٩٨٣ :٣٠٠ .

والحدود الجنوبية لدولة الروم. واتسعت دولتهم الممتدة في " الشام" و"بلاد فارس " و"الجزيرة "و"مصر "و" أرمينيا " ثم "بحر الروم "وأفريقيا" فـ "المغرب "و"الأندلس "، و"بلاد ما وراء النهر " و "السند " و"بلاد بحر قزوين " مما جعل السيادة تترامى من حدود الصين إلى الأندلس و"آسية الصغرى" وحتى حصار "القسطنطينية"[١٤]. وقد دفعت هذه الفتوحات المذهلة زمن الدولة الأموية المؤرخين إلى تسميتها بـ : دولة الجهاد والفتح. كما أذهلتهم سرعة هذه الفتوحات وامتدادها في فترة زمنية قياسية لم يكن فيها كل هذا التقدم التكنولوجي ووسائل الاتصال والنقل، ولم يكن للمسلمين موارد مادية أو بشرية سوى الإيمان بالله والاعتزاز بهذا الدين.كما وضع بنو أمية الأسس العلمية للنهضة الحضارية الإسلامية، وكان أولها عملية التعريب التي قام بها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

لقد عكّر هذا السفر الميمون صفحة واحدة حدثت فيها واقعة أليمة :ألا وهي خروج الحسين على يزيد بن معاوية، وإستشهاده في كربلاء، قرب الكوفة عاصمة أبيه.وهي معركة سعى إليها الحسين بنفسه،على أنها حادثة نزاع سياسي فقط ولا تمس العقائد الدينية مطلقا. وفي مايأتي خلاصتها:

اعتبر الحسين تعيين يزيد أمرا غير شرعي لمخالفته للشورى التى ارتضاها المسلمون ، وأنه أولى بالخلافة منه .بايعه أهل الكوفة، ودعوه لمحاربة يزيد، فخرج لمقاتلته.أصر الحسين على هذا الخروج، بالرغم من نصح الكثيرين له بعدم الخروج، منهم ابن عمه عبد الله بن عباس، خصوصا وقد جاءت الأخبار أن شيعته من أهل الكوفة قد قتلوا رسوله إليهم مسلم بن عقيل، وخذلوه، كما خذلوا أباه وأخاه من قبل . بل إنهم خذلوا حفيده زيد بن علي بن الحسين من بعد، عندما خرجوا معه على يوسف بن عمر والي العراق آنذاك حين يئسوا من أخيه محمد الباقر، حتى جرى غدر أهل الكوفة على الألسنة مثلا، فقيل :أبخل من كوفي! وأغدر من كوفي!.
ومثل حال كل ثائر على السلطة على مر الأزمان:إما الانتصار أو الاستشهاد .قاتل الحسين بشجاعة نادرة، فذهب شهيدا في ١٠ محرم سنة ٦١ هـ مدافعاً عن مبادئ الإسلام في الشورى ، وقتل شهيدا ! ولكن لم يكن متوليا أمر الأمة كما قال علماء المسلمين عنه.

أما فئة الفرس الصغيرة فقد جعلت منها أسطورة ، وجمدوا التاريخ عندها. وأداروه حولها كدورة الناعور على ساقية الماء. حتى قال شريعتي: " كل يوم عاشوراء ، كل أرض كربلاء". وقد أنتج القصاصون والشعراء والممثلون الحكايات الرخيصة، والأساطير الكاذبة، والمسرحيات المهينة، والأفلام الكئيبة حول هذه الحادثة الأليمة، حتى جعلوها ثقافة شعبية في الكراهية والبغضاء، قوامها اللعن والطعن والتشهير، وصار دم الحسين الطاهر سلعة تجارية، صدّروها إلى العالم الاسلامي تدر أرباحا هائلة جعلت القائمين عليها من أكبر التجار في العالم.

استغل الموالي الفرس من سكنة الكوفة هذه الحادثة الاليمة فقاموا بحملة عدائية عنيفة ضد الدولة الأموية واتهامها بتهم لا تسندها وقائع تاريخية ولا تصمد لأدلة عقلية منطقية.

[14] - الدوري وأخرون ١٩٩٦ :٩٨ .

الموالي الفرس وحملة التشهير ضد الأمويين:

لقد كان كثرة من سكنة الكوفة من الموالي الفرس، وهي فئة اجتماعية مميزة. يصفهاالمؤرخ الكبير د.عبد العزيز الدوري بقوله : "والموالي لم يكونوا فئة واحدة فمنهم الكتّاب والوزراء، ومنهم الفقهاء والعلماء، ومنهم التجار، ولهؤلاء منزلة عالية وأثرهم كبير في الحياة الاجتماعية، ومنهم ايضا الصناع والفلاحون، ينظر الى هؤلاء نظرة متواضعة"[١٥]. ومن المفروض أن اسم الموالي مشتق من الموالاة التي تعني المناصرة والتحالف أو قرابة العائلة .وخلافا لهذا المفروض قاد الموالي حملة شعواء ضد الأمويين طعنا وتشهيرا بهم واتهامهم بشتى التهم منها: أن الدولة الاموية فرضت الجزية على المسلمين الجدد من غير العرب، وخصوصا الفرس، وحرمتهم من الوظائف والمراكز في الدولة، وقامت بلعن علي بن ابي طالب! . ولقد روّج الفرس هذه الدعوى بطريقة تحريضية جعلت كتب التاريخ تغص بها حتى باتت وكأنها حقيقة .

ولكن الفحص المنصف يبين أن هذه الحملة التحريضية ليس لها حظ من الصحة التاريخية لأسباب عدة منها :

(١) إن بين الموالي طبقة من التجار وملاك الأرض . ومن يدخل الإسلام يقع عليه واجب دفع زكاة سنوية محددة في الفقه الإسلامي وليست جزية فخلط الموالي بين الزكاة والجزية.أما الجزية فهي " ضريبة مالية زهيدة تجب على الرجل [غير المسلم] البالغ العاقل غير العاجز القادر على دفعها، فلا تجب على امرأة أو صبي أو مجنون أوهرم أوعاجز عن دفعها .وهي ليست عقوبة على بقائه على دينه وإلا فرضت على الجميع، وإنما وجبت بدلاعن الدفاع عن دارالإسلام الذي لا يجب عليهم "[١٦] . فيدفعها غير المسلم القادر كبدل نقدي إن أراد إعفاءه من الخدمة في جيش المسلمين. وإذا أراد غير المسلم الخدمة في الجيش سقط عنه هذا البدل .وهكذا تحترم الجزية معتقدات غير المسلم لكي لا تضطره إلى العمل في جيش مسلم ربما يحارب قومه غير المسلمين.

(٢) أما دعوى استئثار العرب بالقيادة فهو أمر طبيعي لدين جديد بدأ العرب بحمله . ثم بعد ذلك أصبح من غير العرب قادة ملؤوا سمع التاريخ، كالامازيغي طارق ابن زياد مثلا. ومن الغريب أن الأمم غير العربية التي دخلت الإسلام كالترك والكرد والأزبك لم يذكروا هذه الدعاوى ولا اشتكوا من ظلم الدولة الأموية .

(٣) ولم يقبل أو يعقل دعوى السب والشتم لعلي، أي من المسلمين الأعاجم. ولم يتهم أحد منهم الدولة الأموية بهذه التهمة إلا فئة الفرس الصغيرة، والشعوبيون أمثال حسن العلوي، الذي يقول في صفحة ٢١٣ من كتابه(عمر والتشيع) بأن الأمويين أقاموا سبعين ألف منبر لشتم علي والطعن به. ويعلم المؤرخ العلوي أن بداية كتابة تاريخ المسلمين كان في زمن الدولة العباسية المعارضة للدولة الأموية! وأن عليا ومعاوية قد تصالحا.

وقد فنّد هذه الرواية المؤرخ الليبي الأستاذ المحقق محمد علي الصلابي بقوله :

> " فحكاية لعن علي على منابر بني أمية لا تتفق مع منطق الحوادث، ولا مع طبيعة المتخاصمين . فاذا رجعنا إلى الكتب المعاصرة لبني أمية، فإننا لا نجد فيها ذكرا لشيء من ذلك أبدا . وإنما نجده في كتب المتأخرين الذين كتبوا تاريخهم في عصر

---

[15] -ا لدوري وأخرون ١٩٩٦ :٤٧ .

[16]- زيدان١٩٧٦ :٧٤.

بني العباس بقصد أن يسيؤوا إلى سمعة بني أمية في نظر الجمهور الإسلامي . وقد كتب ذلك المسعودي في مروج الذهب وغيره من كتاب الشيعة. وقد تسربت تلك الأكذوبة إلى كتب تاريخ أهل السنة . ولا يوجد فيها رواية صحيحة صريحة ، فهذه دعوة مفتقرة إلى صحة النقل، وسلامة السند من الجرح والمتن من الاعتراض.. ومعاوية منزه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله في الدين، وكان محمود السيرة في الأمة، أثنى عليه بعض الصحابة، ومدحه خيار التابعين، وشهدوا له في الدين والعلم والعدل وسائر خصال الخير . وقد قال عنه علي بعد رجوعه من صفين "أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل " .قال الذهبي في ترجمته :أمير المؤمنين ملك الإسلام، ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم "[١٧]. [تندر عن كواهلها = تسقط عن أكتافها = تقتل].

إن التعامل الذي لقيه أهل البيت زمن الدولة الأموية يكافيء المنزلة والمكانة التي يحتلها أهل البيت في قلوب المسلمين : فكانت الهدايا والأعطيات تصل من معاوية بن أبي سفيان خصيصا إلى الحسن والحسين إكراما لهما. وكان يضعهما في المكانة التي تليق بهما.كما تزوج بنو أمية النساء الهاشميات خصوصا بنات ونساء أهل البيت. وتزوج سيد ولد هاشم محمد بن عبد الله من ام حبيبة اخت معاوية مؤسس الدولة الاسلامية الاموية.

وإذا فرضنا أن الدولة الأموية كانت ظالمة، وأنه لهذا السبب تحالف الفرس مع بني العباس العرب وأسقطوا دولة بني أمية العربية، فلماذا تآمروا على العباسيين بمعاداة لهم أشد من الأمويين ! ألا يدل تحالفهم مع العباسيين إنما كان لشق صف العرب، وأنهم انقلبوا على حلفاء الأمس لأنهم يكرهون العرب بالجملة !. وقد لجأ الفرس إلى أشكال سياسية أكثر حدة في التآمر السياسي السري، والعمل الفكري الباطني، والتمرد العسكري المسلح، ضد الدولة العباسية، حليفة الأمس.

الدعوة العباسية:

أسس الدعوة العباسية سرا محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عام ١٠٠ هـ لاعتقاده بأن الأمر يجب أن يكون في بني هاشم من آل محمد وليس بني أمية فرفع شعار " الأمر لآل محمد". توفى محمد بن علي عام ١٢٥ هـ وخلفه أخوه إبراهيم الإمام الذي قتل هو الآخر عام ١٢٧ هـ .

كانت الدعوة العباسية حزبا سياسيا دينيا و تنظيما سريا دقيقا يتكون من ١٢ نقيبا و ٧٣ داعية. وكان مقرها في الحميمة في بلاد الشام، و تركّز نشاطها في العراق وبلاد فارس . أما القادة الحقيقيون لها فهما : أبو سلمة الخلال و أبو مسلم الخراساني(الخراساني) .
اشتد ساعد الدعوة العباسية في خراسان بقيادة القومي المتطرف الخراساني، الذي أعلن التمرد المسلح عام ١٣١ هـ ضد نصر بن سيار والي خراسان الأموي آنذاك وقضى عليه . ثم زحف بجيشه إلى الكوفة واستطاع القضاء على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في معركة الزاب عام ١٣٢هـ، وطارده إلى قرية بوصير في مصر وقتله هناك . فانتهت الدولة الأموية في الشرق. ولكنها نهضت من جديد في الأندلس في الغرب.

[17] -الصلابي ٢٠٠٥ :١٠٧ .

الدولة العباسية: دولة العلم والثقافة: (١٣٢ هـ /٧٥٠ م-٦٥٦ هـ /١٢٣٨م)

كان أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦ هـ) الخليفة الأول في الدولة العباسية التي اتخذت من بغداد عاصمة لها . فأثار اختياره غضب الفرس حيث أن أبا العباس ليس من شيعة علي بالتحديد، مما دفعهم إلى تغيير شعار" الأمر لآل محمد" إلى شعار" الأمر لآل علي" العلويين (الطالبيين) .ومنذ ذلك الحين بدأت بوادر ظهور الحركة الشعوبية وفكر التوريث الذي يؤمن بأن الأمامة يجب أن تكون في آل علي وليس في آل محمد، وكثيرا ما ورّط الفرس العلويين واستدرجوهم ثم خذلوهم، فيفشلون ويقتلون .

اتخذ بنو العباس النظام الفارسي الروماني في إدارة الدولة وهو نظام هرمي على قمته الخليفة ثم الوزير- الذي يسمى اليوم رئيس الوزراء- ثم الحاجب ثم الكاتب. لم يبعد أبو العباس الفرس بل أكرمهم وقربهم ، وعيّن ألخراساني واليا على خراسان. استغل الخراساني منصبه السياسي فراح يعزز نفوذه ويقويه، فصار لدعوته أتباع وأنصار وفروع كثيرة، منها الخراسانية والخرمية. والخرمية دعوة مجوسية تؤمن بالحلول والتناسخ وبإباحة النساء على الرضا منهن (المتعة).

خلف أبو جعفر المنصور(١٣٦- ١٥٨ هـ) أخاه أبو العباس، ورقى الخراساني وعينه وزيرا له (رئيس وزراء) . فقويت شوكتة وامتدت دعوته أكثر، فراح يتآمر لقتل أبي جعفر ونقل الحكم إلى بلاد فارس. لكنّ أبا جعفر المعروف بذكائه وحنكته انتبه للأمر وحسمه سريعا بقتل الخراساني عام ١٣٧هـ.
يعظم أتباع ابي مسلم الخراساني كالخرمية مقامه، ويؤمنون برجعته ويلعنون أبا جعفر المنصور.

وبعد مقتل الخراساني بفترة وجيزة ظهرت في ١٦٠ هـ حركة سياسية/دينية تشكلت من:

- فئة مثقفين فرس وكتاب وسياسيين ذوي نزعة قومية متطرفة، لم ترض بالفتح ألاسلامي لبلاد فارس بل عارضته من هول الصدمة التي أحدثها سقوط الامبراطورية، وهي " فئة محدودة من الكتاب انتقلت من الاعتزاز بتراثها الساساني والدعوة إلى إحياء جوانب منه، إلى اتخاذ نظرة سلبية بشأن الثقافة العربية والإسلامية"[١٨] .
- فئة أخرى عادت الإسلام رغم تظاهرها به، فنسبوا الى الزندقة. وقد شكّل القوميون المتطرفون والزنادقة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري "الحركة الشعوبية " كحركة سياسية متطرفة معادية للعرب والإسلام.
- وتزامن مع حركة الزندقة، التي حاربها وطاردها محمد المهدي بن جعفر المنصور(١٥٨ هـ /٧٥٤ م-١٦٩ هـ/٧٧٥ م) بوادر ظهور فكرة تشويه الإمامة الدينية، التي تقول بأن الإمام تعيين إلهي فهو معصوم ولا يترك اختياره للناس وأنه من بيت علي بن أبي طالب حصرا ، وسنرى ان هذه الفكرة ليست من نهج أهل البيت في شيء في فصل لاحق .

ولما كانت الشعوبية التي تضمر كرها للعرب لا طاقة لها بالخروج على الدولة المسلمة العربية الفتية، فقد وجدوا ضالتهم السياسية بالتحالف مع الطالبيين والقول بأحقيتهم في الحكم،

[18] - الدوري وأخرون ١٩٩٦ :١١٣ .

فأبدلوا نظرية الشورى الاسلامية في الحكم، بتقليد الإرث الساساني البائد القائل بحتمية الميراث والتقديس للبيت الحاكم، وسحبوه على علي وبعض بنيه .

وبعد المنصور قرّب حفيده هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ) كبار الفرس، وهم البرامكة، وجعل منهم الوزراء والكتّاب والحجّاب، وربطته معهم صلة نسب وقربى . والبرامكة من أشراف الفرس، وكان جدهم من سدنة النار في الديانة الزرادشتية . سار البرامكة على السياسة والدعوة ذاتها التي تقول بأحقية بيت علي في الحكم، وتأثر بعض علماء المسلمين بهذه الدعوة، ونادوا بها مثل الامام موسى بن جعفر الكاظم . فقام هارون الرشيد بحبسه حبسا يشبه ما يعرف اليوم بالإقامة الجبرية في البيت . استغل يحيى البرمكي سفر الرشيد إلى الشام فأرسل قائد الشرطة الفارسي السندي بن شاهك فقتل الإمام الكاظم عام ١٨١ هـ لإثارة الناس وابتغاء الفتنة . فكانت خيانتهم وجريمتهم هذه من أهم أسباب ما يعرف تاريخيا "بنكبة البرامكة" حيث قضى الرشيد عليهم.

وعند ولاية المأمون لخراسان، تحركت قبائل خراسانية، بدون إذنه، ضد أخيه الأمين(١٩٣ – ١٩٨ هـ) عندما عيّن الاخير ابنه وليا للعهد بدل المأمون .قامت هذه القبائل بتمرد مسلح قاده الفارسي الطاهر بن الحسين وزحف إلى بغداد وحاصرها حتى قتل الأمين ومثل به، فآلت الخلافة لأخيه المأمون.

وكعادة العباسيين في تقريب أهل البيت، قرّب المأمون بن هارون الرشيد (١٩٨-٢١٨هـ) الإمام علي بن موسى-الرضا- وزوجه ابنته وجعله ولي عهده، وكان يرافقه في غزواته حبا وبركة. مات الرضا في إحدى الغزوات، فدفنه المأمون جنب أبيه إكراما له في مدينة مرو(مشهد) .وبنى الفرس على ضريحه قبة ذهبية، و جنبه قبر هارون الرشيد، الذي جعل الفرس منه مكانا لجمع القمامة!. فلم ينفع المأمون تقريب أهل البيت وإكرامهم، لأن للفرس أهدافا سياسية كبرى يريدون تحقيقها ،وما شعار حب أهل البيت إلا ستارا يتوارون خلفه . فقد حصل في زمنه، عام ٢٠١ هـ، أعظم تمرد مسلح ضد الدولة العباسية بقيادة بابك الخرمي،ابن فاطمة بنت الخراساني. وكان شديد البأس يدير الدعوة الخرمية المجوسية التي أسسها جده . بدأ التمرد في أذربيجان وامتد حتى منطقة الأكراد ذات الطبيعة الجبلية الوعرة. فجهز المأمون حملات متتالية للقضاء عليه . وقد نجح في إضعافه، ولكن لم يفلح في القضاء عليه إلى أن جاء أخوه المعتصم .

قام المعتصم(٢١٨-٢٢٧ هـ) بتجهيز حملة كبيرة بقيادة قائد جيشه الأفشين الذي استطاع محاصرة الخرمي في قلعة جبلية محصنة. فاستغاث الخرمي بملك الروم ميخائيل الثاني، واصفا حال المسلمين بالضعف، ومحرضا إياه على غزوهم . كما أغراه بوعده اعتناق النصرانية إذا سانده في حربه ضد المسلمين .هاجم ملك الروم زبرطة (عمورية) واحتلها، فقتل كل من فيها من الرجال، وسبى النساء حتى استغاثت إحداهن بصيحتها المشهورة: وامعتصماه! . تمكن المعتصم من القضاء على تمرد الخرمي في ٢٠ رمضان ٢٢٢ هـ وقتله وأخاه في عاصمته سامراء بعد أسرهما .

أستمر التمرد الخرمي أكثر من ٢٠ عاما، وكلف المسلمين أكثر من ٢٥٥ ألف شهيد، وأكثر من ١٠ ملايين درهم سنويا، عملة ذلك الزمن . جهز المعتصم بعدها جيشا إلى ملك الروم، وفتح عمورية،(مدينة في تركيا الحالية) في ٢٢٤ هـ بعد حصار دام أكثر من ٦ شهور.

وجريا على عادة بني العباس في حب أهل بيت النبي محمد ﷺ، أصطحب المعتصم " عليا الهادي " معه إلى عاصمته الجديدة، سامراء، ليكون قريبا منه تكرما وتبركا . ومع هذا تتهم

النخبة الفارسية العباسيين أنهم كانوا وراء تسميم وقتل ومطاردة الأئمة. وما حكاية هروب الإمام الثاني عشر المهدي، وهو طفل صغير، واختفاؤه في سرداب في سامراء وغيبته عن الناس منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا، إلا واحدة من هذه التهم.

لقد ازدهرت دولة بني العباس عمرانيا وتطورت علميا وازدادت حركة التأليف والترجمة فيها حتى وصفها المؤرخون" بدولة العلم والثقافة".

أن الحركة الشعوبية لم يكن مقصدهم حكم آل محمد ولا آل علي، وإنما هي شعارات مرحلية استخدموها لزعزعة الأمن وشق الصف، فلما كانت الدولة الأموية هي الحاكمة استخدموا شعار آل محمد لزعزعة أمنها، فلما سقطت الدولة الأموية، رفعوا شعار آل علي لزعزعة دولة آل محمد، ولو حكم آل علي لقاموا بزعزعة حكمهم تحت شعار آخر، كما فعلوا مع الحسين وابنائه.
لم ينفع بني العباس تقريب الائمة واكرامهم، وتولية الفرس وتأميرهم، من استمرار معارضتهم للدولة العباسية وبشكل اقوى وأعنف من معارضتهم بني أمية، وكانت المعارضة والصراع هذه المرة على المستوى الدولي: الدولة الفاطمية في الشمال الأفريقي، والبويهيين والحشاشين في العراق وبلاد فارس.

الدولة الفاطمية:(٢٩٦-٥٦٧ هـ).

حكمت الدولة الفاطمية(العبيدية) شمال أفريقيا ومصر وبعض جزيرة العرب.أسسها عبيد الله بن الحسين احمد عبد الله بن ميموح القداح أبو محمد المهدي(٢٦٠ -٣٠٧ هـ) ، ومن هنا جاء الاسم الدولة العبيدية . كان عبيد الله فارسيا زنديقا، وقد ألهه بعض أصحابه ونسبوا إليه علم الغيب، وأنه نبي مرسل. أظهر سب صحابة النبي ﷺ وأهل بيته وأزواجه، ونشرها على ملصقات في الأسواق وعلى أبواب الحوانيت، وكتب أسماء الصحابة على رؤوس الأكباش والحمير، ومنها "العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى " [أما الغار فهو ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ " التوبة: ٤٠ ، وأما الكساء فهو لتشمل " خرج ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال :إنما يريد الله أن يُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً."صحيح مسلم 2424 [مرط =كساء، مرحّل = موشى بصور الرحال]. ومن تكلم من المسلمين أو تحرك قتله ومثّل به . وبث " الدعاة " يستغوون الجهلة والفقراء، وقد فرض التشيع عن طريق البطش والتخويف، فنفذ حكم الإعدام في ٤٠٠٠ رجل مابين عالم وعابد في مرة واحدة في " دار البحر" سجن العبيديين .

حرم العبيديون الفتوى على الفقهاء بمذاهب المسلمين، مثل مذهب الإمام مالك .وأبطلوا السنن المشهورة كصلاة التراويح، وأدخلوا البدع كالزيادة في الأذان " حي على خير العمل " في محاولة لإخلاء المساجد من المصلين. ومنعوا التجمعات حتى صلاة الميت خوفا من الثورة عليهم، ومنعوا التجوال في الليل.كما أتلفوا كتب المسلمين، ومنعوا العلماء من التدريس . وأجبروا الناس على الفطر قبل رؤية الهلال، ودخلت خيولهم المساجد قائلين بطهارة أرواثها وأبوالها.

بذل العبيديون الأموال لطمس الحقائق والتاريخ، وإرباك العقول والقلوب بالفلسفة وعلم الكلام، وبنوا الجامع الأزهر ليكون معهدا لهذا الغرض. ولقد أضاع العبيديون بسياساتهم المتهورة بيت المقدس. فقد احتل الصليبيون، القدس، في أول حملة صليبية لهم عام ١٠٩٩ م، وبقي عندهم حتى استعادها صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين المشهورة عام ٥٨٣ هـ ، وجعل من الأزهر منارة للإسلام والمسلمين[١٩].

يمدح الشيعيان محسن الأمين السوري في كتابه "أعيان الشيعة" ومحمد جواد مغنية اللبناني في كتابه الموسوم " الشيعة في الميزان" الدولة الفاطمية بقولهما " إنها كانت دولة شيعية، وإنهم بناة مجدنا ودعاة مذهبنا ،ومؤسسو العلم والحضارة في مصر، ومنشؤو المساجد ودور الكتب والجامعات "[٢٠].

ولقد توثقت عرى التعاون بين الدولة الفاطمية في مصر والدولة البويهية ودولة الحشاشين في العراق و بلاد فارس من اجل إضعاف الدولة العباسية في بغداد.

البويهيون: (٣٣٤-٤٤٧ هـ)

ينتسب البويهيون إلى بويه بن خسرو الديلمي الفارسي .وأشهر أولاده أحمد بن بويه الملقب بـ "معز الدولة" الذي دخل بغداد ٣٣٤ هـ . وبدأ سب الصحابة عام ٣٥١ هـ ، حيث أفاق أهل بغداد وقد ملأت جدرانها ملصقات سب الصحابة وكتب أعوانه على المساجد بلعن معاوية والخلفاء الثلاثة .والخليفة العباسي لا يقدر على منع ذلك. وفي عام ٣٥٢ هـ ظهرت مراسم النياحة واللطم والممارسات التحريضية في مجالس العزاء على مقتل الحسين التي يصفها ابن كثير بقوله : " فكانت الدبادب-الطبول- تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق وتعلق المسوح على الدكاكين . ويظهر الناس الحزن والبكاء وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين، لأنه قتل عطشانا. ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة "[٢١]. وشجع آل بويه التشيع البعيد عن معناه الاسلامي الاصيل وسعوا إلى نشره عن طريق بناء المراكز وتشجيع العلماء على تبني هذا الفكر.فصار له محدثون وساسة ومؤرخون ومفكرون وقصاصون، كلهم من الفرس أو المتفرسين الذين وضعوا أسس هذا التشيع الدخيل، وهذا غيض من فيض:

- فمن المحدثين أبو جعفر محمد بن يعقوب كليني المتوفى ٣١٩ ومصنفه" الكافي" الذي يدعي أن المهدي المنتظر يقول عنه"الكافي كافينا".وهو أحد أربعة كتب معتمدة عند علماء الشيعة، وتسمى" كتب الرجال". والكتاب الثاني هو" من لا يحضره الفقيه" لابن بابويه قمي الملقب "الصدوق"(٣٠٠؟-٣٨١هـ) .أما الكتابان الآخران فهما "الاستبصار" و"التهذيب" لمؤلفهما محمد بن الحسن طوسي (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ) .
- ومن المحدثين الآخرين تلميذ القمي محمد بن النعمان الملقب بشيخ الطائفة أو " الشيخ المفيد(٣٣٨- ٤١٣ هـ).
- ومن المؤرخين أبو فرج علي بن الحسن بن محمد الأصفهاني(٢٨٤-٣٥٦ هـ) صاحب "الأغاني" و"مقاتل الطالبيين" المقرب من أولاد خسرو حكام بغداد.

---

[19] - الصلابي ٢٠٠٨ :١٤١-١٤٧ .
[20] - ظهير ١٩٨٣ :٢٨٣ .
[21] -الصلابي ٢٠٠٦ :٣٦ .

- ومن الأدباء الشاعر الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٤ هـ) الذي جمع أقوال وخطب الخليفة علي بن أبي طالب في" نهج البلاغة" بعد أكثر من ثلاثة قرون على وفاته وكان مقربا كذلك من أولاد خسرو.

وقد أبطل البويهيون الجهاد. فعندما " استغاث أهل الجزيرة بالعاصمة بغداد لصد غارات الروم، واستجاب الشعب في بغداد لهذا النداء وتجهزوا للجهاد، أرسل بختيار بن معز الدولة إلى الخليفة العباسي يطلب مالا لتجهيز الناس للغزو . فاضطر الخليفة لبيع أثاث بيته ليدفع له المال ! ولكن بختيار أنفقها على مصالحه الشخصية وأبطل أمر الغزو". واتبع البويهيون سياسة مناهضة للدين فضعفت الدولة العباسية والمسلمين في تلك الفترة، فوصفها الشيخ الذهبي بقوله : " وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه وبني عبيد الرافضة، وتركوا الجهاد. وهاجت نصارى الروم، وأخذوا المدائن وقتلوا وسبوا . وقال: شجع البويهيون التحريض وبث الفرقة الطائفية بين الناس حتى حصلت حرب طائفية قتل فيها خلق كثير في بغداد في سنة٣٤٩ هـ .وبسبب الفتنة الطائفية تعطلت صلاة الجمعة في جميع مساجد بغداد"!.

ساند بنو بويه كثرة من علماء الباطنية الفرس منهم موسى بن داود شيرازي الملقب بـ(المؤيد)، وهو أحد مؤسسي الحركة القرمطية الإسماعيلية "ومن أشهر كتبه كتاب "المجالس المؤيدية " ويضم ما كان يلقيه في مجالس الدعوة الإسماعيلية بعد أن ترقى في سنة٤٥١ هـ إلى مرتبة داعي الدعاة . وله أيضا كتاب"الإيضاح والتبصير في فضل يوم الغدير" مع عدة كتب أخرى وديوان شعر منحرف أيضا". ومنهم أبو القاسم علي أحمد العلوي الكوفي، ومن كتبه "الاستغاثة في بدع الثلاثة "ويقصد بالثلاثة أبابكر وعمر وعثمان. أنشأ بنو بويه مراكز متخصصة كثيرة لنشر التشيع في بغداد والكوفة والنجف وكربلاء والبصرة والحلة ،مثال ذلك " دار ابتاعها بمحلة الكرخ ببغداد الوزير أبو نصر سابور بن أردشير٣٨٣ هـ وجدد عمارتها ونقل إليها كتبا كثيرة وأوقف عليها أوقافا كثيرة وسماها دار العلم[٢٢] .

وكانت للبويهين شبكة اتصالات وعلاقات دولية مع الأحزاب والحركات المؤيدة للفرس في العالم الاسلامي آنذاك، "فهذا الملك البويهي يطلب شهادة حسن سلوك من الدولة العبيدية في مصر ويشعرهم بالوقت نفسه أنه هو المدافع عنهم أمام الزحف التركماني السلجوقي السني"[٢٣].

الحشاشون ومهمة الاغتيال:

الحشاشون طائفة إسماعيلية (إمامية سبعية) نزارية مشرقية تقول بإمامة نزار بن المستنصر ومن جاء من نسله، وتقول بعصمته، وهي فرقة شيعية باطنية غالية، ويعامل المنحدرون من إسماعيل بن جعفر الصادق إلى اليوم بصفتهم أئمة احياء .وإمام الاسماعيلية النزارية الـ٤٩ هو المليارديرشاه كريم الحسيني محلاتي المعروف بـ "أغا خان " الرابع، وقد بدأت إمامته عام ١٩٥٧ م. وهو يدير شؤون الطائفة من مقره في باريس. وقد بنى كثيرا من المدارس والجامعات والمستشفيات لأبناء طائفته، وله نفوذ واسع لدى رؤوساء وملوك وساسة الغرب.

انشقت دولة الحشاشين عن الدولة الفاطمية واستقلت في خراسان بقيادة الحسن بن الصباح وكان لهذه الدعوة فروع في الشام، ومن قادتها هناك بهرام الأستربادي وإسماعيل عجمي. .والحشاشون دولة شاذة في تاريخ الانسانية السياسي فهي تستخدم ميلشيات مسلحة "وفرق

---

[22] - الصلابي ٢٠٠٦ :٣٥ -٤٣ .
[23] -المصدر نفسه :٣٧ .

موت" سرية. وعلى طريقة أبي لؤلؤة المجوسي، مارس الحشاشون القتل خلسة وغدرا بالخنجر(الاغتيال) للمعارضين في أعنف اسلوب مخيف لنشر عقائدهم وتحقيق أهدافهم السياسية !. إن الأسلوب الدموي العنيف الذي استخدمه الحشاشون في تحقيق أهدافهم اضطرهم للتحصن في قلاع ضخمة كثيرة، أهمها قلعة " آلاموت " في إيران.

نشرالحشاشون الفوضى والخوف وروعوا الناس في خراسان والموصل وبغداد وحلب ودمشق وسائر العالم الإسلامي. وقد أورد الأستاذ الصلابي قائمة طويلة، كلهم من القادة الصالحين والمصلحين، الذين يمثلون مراكز قوة وتوجيه المجتمع، من خلفاء ووزراء وقادة عسكريين وفقهاء وعلماء وقضاة ووعاظ .. اغتيلوا على يد الحشاشين ما بين ٤٨٥-٥٣٢ هـ ، وفي ما يأتي اسماء بعضهم:

كان أول ضحايا الغدر والاغتيال الوزير نظام الملك عام ٤٨٥ هـ **مؤسس المدارس النظامية المشهورة في بغداد.**
والوزير أبو طالب السميرمي وزير السلطان محمود السلجوقي ، ذبحوه ومثلوا به نيفا وثلاثين جراحة.
كما قتلوا وزير السلطان سنجر معين الملك أحمد بن الفضل.
وقتلوا الوزير فخر الملك ولد نظام الملك، وهو صائم يوم عاشوراء.
واغتالوا القائد الفذ مودود بن النكتين عام ٥٠٧ هـ **في ساحة المسجد الأموي، وكان قد هزم الصليبيين في أكثر من موقعة وكان صائما رفض أن يفطر .**
واغتالوا أقسنقر والي الموصل عام ٥٢٠ هـ **الذي قاد الجيوش مرارا ضد الصليبيين، وثب عليه بضعة عشر نفرا من الفدائيين وطعنوه بخناجرهم .**
وجناح الدولة صاحب حمص نزل ليصلي الجمعة في المسجد الكبير، فهجم عليه ٣ حشاشين في ملابس الدراويش وقتلوه عام ٤٩٥ هـ **وكان وقتها يتهيأ لقتال الصليبيين.**
الخليفة العباسي المسترشد كان عالما تقيا بليغا هجموا عليه في خيمته واغتالوه ومثلوا به في ٥٢٩ هـ
كما اغتالوا ولده الخليفة الراشد في أصبهان عام ٥٣٢ هـ
وقد اغتالوا عددا من العلماء والفقهاء منهم : أبو القاسم ابن إمام الحرمين عام ٤٩٢ هـ **والفقيه أحمد بن الحسين البلخي** عام ٤٩٤ هـ **والفقيه ابو المحاسن الروياني** عام ٥٠٢ هـ .
والقاضي أبو العلاء النيسابوري قتلوه في جامع أصبهان عام ٤٩٩هـ، والقاضي صاعد بن عبد الرحمن قتلوه يوم عيد الفطر بنيسابور عام ٥٠٢ هـ
كما قتلوا عددا من الوعاظ منهم : الواعظ أبو جعفر بن المشاط ، كان يدرس للناس في الجامع ولما نزل من على كرسيه وثب عليه حشاش وقتله عام ٤٩٨ هـ .
إن الذين قتلهم الحشاشون كانوا يمثلون مراكز الفكر والسياسة والجهاد بين المسلمين، في دور بشع للقضاء على حيوية الأمة المسلمة وفعاليتها. (للتفصيل انظر الصلابي ٢٠٠٦ :٥٦٧-٥٧١).

"وبلغت جرأتهم أنهم كانوا يخطفون الناس من الشوارع والحارات بأغرب الوسائل، وكان الرجل اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد، تيقن أهله من قتله، وقعدوا للعزاء به. وحذر الناس حتى صاروا لا ينفرد أحدهم في مسيرة "!!. كما هاجموا قوافل الحجاج، ففي عام ٥٣٢ هـ قتلوا حجاج خراسان جميعا ولم يبق منهم إلا عدد يسير، وكان فيهم الأئمة والعلماء والزهاد والصلحاء. وفي الصباح طلع على القتلى والجرحى أحد الباطنية ، وهو ينادي يا مسلمين !ذهب الملاحدة! فمن أراد الماء سقيته! فكان كلما رفع رأسه جريح وتكلم بكلمة أجهز عليه ذلك الباطني وقتله، حتى لم يبق الخبيث على أحد منهم. وفعلوا الشيء نفسه مع حجاج ما وراء النهر وخراسان والهند ، فقتلوهم ونهبوا أملاكهم كلها. وخلاصة شأنهم كما وصفهم العلامة بن تيمية أنهم " دائما مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين. ومن

أعظم مصائبهم عندهم فتح المسلمين للسواحل، وانقهار النصارى، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار"[٢٤].

ومن فروع الإمامية الإسماعلية : حركة القرامطة، وهي حركة باطنية أشد عنفا من الحشاشين تؤمن بالتناسخ وشيوع المال والجنس، قائدها المجوسي حمدان بن الأشعث (الملقب قرمط). وقد سيطرت على شرق جزيرة العرب واليمن، وفي ٣١٧هـ قتلوا كل الحجيج في الحرم المكي في يوم التروية، وسرقوا الحجر الأسود وبقي عندهم ٢٢ هـ عاما قبل إعادته إلى مكانه عام ٣٣٩هـ .

إن هذه التمردات المسلحة والثورات الداخلية والاغتيالات لقادة الأمة، ادى الى ضعف الدولة العباسية، ومهدت الطريق لسقوط بغداد الأول على يد المغولي هولاكو بالتعاون مع الفارسيين ابن علقمي وطوسي .

سقوط بغداد الأول عام ٦٥٦ هـ ، **وخيانة الفرس:**

كان مؤيد الدين بن علقمي (٥٩٣-٦٥٦ هـ) – الاسم الذي يدل على سقوط بغداد ومـوالاة البرابرة– وزيرا للخليفة العباسي المستعصم لمدة ١٤ عاما . مالأ بن علقمي هولاكو وأشار عليه باحتلال بغداد، ساعده في ذلك نصير الدين طوسي الذي هرب الى قلعة آلاموت عند احتلال المغول إيران، فاستصحبه هولاكو كمستشار له بعد فتح قلاع آلاموت وانتزاعها من الحشاشين . ومختصر سيرة الخواجة طوسي(٥٩٧-٦٧٢ هـ) أنه فلكي وفيلسوف ومن أئمة القرامطة ساهم مع علقمي في احتلال بغداد بعد تردد وخوف هولاكو، فشجعه طوسي بعلمه الفلكي على هذا الاحتلال .وقد أكرمه هولاكو ببناء مرصد فلكي له سمي مرصد "مراغة" في إيران، وقد استولى طوسي على أكثر من ٤٠٠ ألف مجلد من مكتبات بغداد فيما يتعلق بغرضه وأفسد الباقي. وتعده النخبة الفارسية من الأفذاذ الذين قدموا خدمة جليلة للإسلام وأهله، فيصفه خميني بقوله: "ويشعر الناس بالخسارة، بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأضرابه ممن قدم خدمات جليلة للإسلام"[٢٥].

اقترف علقمي وطوسي أبشع جريمة إنسانية عرفها التاريخ في بغداد." وقد تولى بن علقمي ونصير طوسي إقامة المجازر تلو المجازر بأهل بغداد. لاسيما العلماء والأمراء والأعيان والوجهاء، فضلا عن عامة الناس . وقد نادى مناديهما بالأمان في بغداد، فصار الناس يسلمون أنفسهم لهما من أحد ابواب سور بغداد جماعات جماعات، فلا يخرج منهم أحد من الباب الآخر إلا جثة هامدة!"[٢٦].

بعد هذا الاضطراب الشديد الذي استمر قرابة ثلاثة قرون، استعادت الدولة الإسلامية استقرارها النسبي بعد القضاء على هذه الدول الفارسية المعادية للإسلام والمسلمين والمتعاونة مع أعدائهم، في النصف الثاني من القرن السادس الهجري . واستمر الاستقرار حتى أخذت سياسة التفريس منعطفا تاريخيا خطيرا جديدا في القرن العاشر الهجري، عندما فرض الصفويون التشيع على الأمة الفارسية المسلمة بالقوة وحد السيف. واعتمدت أساليبا إرهابية اشد قسوة من التي تبناها عبيد الله القداح في الشمال الافريقي.

---

[24] -الصلابي ٢٠٠٦ ٢٧٠-٢٧١ .

[25] - خميني :٦٢ .

[26] - الدليمي –ب- ٢٠٠٧ :٨٧ .

الإمبراطورية الصفوية:(١٥٠١م/٩٠٧ هـ - ١٧٢٢م /١١٣٤هـ)

أسس الدولة الصفوية الشاه إسماعيل الصفوي الذي فرض التشيع على الفرس قسرا وأشاع عن نفسه أنه المعصوم . وكان قاسيا متعطشا للدماء إلى حد لا يكاد يصدق . ولقد تقلد سيفه وأعمله بالمسلمين في بلاد فارس. وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين. وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع والأسواق وعلى المنابر منذرا المعاندين بقطع رقابهم. وقد اعتمد الصفويون على الأساطير الكاذبة والقصص المثيرة والحكايات الخرافية التي صارت الاساس في نشر التشيع الفارسي الدخيل معتمدين على القصاصين والجهلة، "ولم يكن هؤلاء الدراويش يعولون كثيرا على الفقه والشرع بقدر ماكانوا يعتمدون في عملهم على الأسطورة والمشاعر العاطفية .ولهذا تجد التشيع الإيراني مولعا أشد الولع بالقصص[٢٧] .

وتعاونت الدولة الصفوية مع البرتغال ثم الانكليز ضد المسلمين وشجعوهم على بناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس ومحاربة السنة وأهلها[٢٨]. فقد تحالف الصفويون مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية باتفاقية بينهم تنص على "أن يقدم البرتغال أسطولا ليساعد الفرس في غزو البحرين والقطيف، كما يقدم البرتغال المساعدة للشاه إسماعيل لقمع الثورة في كمران وبلوجستان، وأن يكوّن الشعبان البرتغالي والفارسي اتحادا ضد العثمانيين . ووصلت ثقة أعداء الإسلام بالصفويين أن أرسل ألبوكيرك للشاه إسماعيل " إني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك . وأعرض عليك الأسطول والجند لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند. وأذا أردت أن تنقضّ على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو البحرين أو القطيف أو البصرة .وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد"[٢٩] .

وقد احتل الصفويون بغداد مرتين(١٥٠١-١٥٠٨ م) و (١٦٢٣- ١٦٣٥ م). وقاموا بفظائع تشيب لها الولدان في قتل العلماء وعامة الناس، وهدم المساجد. فقد هدموا جامع عبد القادر الكيلاني، فهربت العائلة الكيلانية إلى الشام ومصر. و جعلوا من جامع أبي حنيفة النعمان اصطبلا للخيل ، وجعلوا من مراسم عاشوراء منبرا للتحريض والعنف الحاد ضد المسلمين ورموزهم .

أخذ التشيع الدخيل صعوده الاول على أيدي الصفويين فصار له دولة قوية مارس ساستها الفظائع في فرضه حتى ساد إيران، فافترقت بلاد فارس عن العالم الإسلامي، ومنذ ذلك الحين جرت عمليات مبرمجة، بعد المذابح التي قام بها الصفويون، في إبعاد شيعة علي الحقيقيين في إيران عن مراكز القرار والدولة حتى جعلت منهم أقلية، وحرمتهم من أي دور لهم في الشؤون العامة، فهم الجماعة التي هزم أجدادهم جيوش الهرمزان وقتلوا يزدجرد. وصبغ الصفويون التشيع بصبغة قومية متطرفة فمارسوا عملية التفريس للاقليات الشيعية، ونشروا ثقافة هابطة تنتهك حرمات الاموات وتعتدي على دين ربع سكان الكرة الارضية، لذا قاموا بتوظيف مروجين وقصاصين من جبل عامل والبحرين لنشر عقائد هذا التشيع في بلاد فارس وخارجها وممن التحق ببلاد فارس من علمائي جبل عامل : الكركي والحارثي والميسي والحر العاملي، ليتسنموا مع الأشراف الفرس وظيفة "الصدر" التي تشمل إدارة الشؤون الدينية ورئاسة القضاء في الدولة .

---

[27] - نصر٢٠٠٧ :٦٢ .
[28] - الصلابي٢٠٠٤ :٨٥٤ .
[29] - الدليمي -ب- ٢٠٠٧ : ٩٢ .

ومن العلمائيين الفرس المشهورين في العهد الصفوي :
* الملا محمد باقر بن محمد تقي مجلسي (١٠٣٧ -١١١٠ هـ) صاحب كتاب" بحار الأنوار"
* نعمة الله جزائري (المتوفى سنة ١١١٢ هـ) مؤلف كتاب" الأنوار النعمانية" [يرجى الانتباه أن وصف جزائري:نسبة إلى جزر إيران وليس البلد العربي المعروف بالجزائر!].

وقد أسس الصفويون عددا من المراكز العلمية، أشهرها مراكز مدينة " قم " الواقعة جنوب غرب إيران مهمتها نشر التشيع الصفوي و تخريج قادة ونشطاء سياسيين ومفكرين استراتيجيين لإعادة مجد الإمبراطورية الساسانية . ولقد أضاف الساسة والمروجين الجدد طقوسا وممارسات وروايات جعلت التشيع أكثر تحريضا وعنفا، والتي صبغت الطقوس والممارسات الشيعية في العالم الإسلامي بالعنف والسواد منذ ذلك الحين حتى اليوم.

و لم تنته هذه السلسلة الطويلة من الحروب والتمردات والاغتيالات والتعاون مع الأعداء ضد دول المسلمين منذ سقوط الإمبراطورية الساسانية حتى بعد مجيء خميني، على ظهر طائرة فرنسية، إلى سدة الحكم في إيران عام ١٩٧٩ م.

ثورة خميني والصعود الثاني:

أما الصعود الثاني للتشيع الصفوي فقد تزامن مع نجاح الثورة الإيرانية في ١١ /١٩٧٩/٢ التي قادها خميني، منهية حكم آل بهلوي (١٩٢٥- ١٩٧٩ م).
وخميني (١٩٠٠-١٩٨٩ م) روحاني كبير وفيلسوف صفوي عارف "درس كتاب الأسفار الأربعة لمؤلفه المتصوف صدر الدين محمد بن ابراهيم شيرازي (ملا صدرا) الذي ألفه أبان الحكم الصفوي . يوضح الكتاب أن الوصول إلى الله يمر برحلة ذات أربع محطات، يصل خلالها إلى الله وينفتح قلبه للحكمة الروحانية، ويعود إلى العالم وقد اتحد مع الإله متمثلا خصاله وصفاته!.
لقد حلت صفات الله في خميني فراح يتصرف ويدعي دراية وقدرة كالإله!:.

> كان السيد مهدي حائري يزدي مثقلا بهموم الحرب الإيرانية- العراقية " ففتح قلبه المثقل بالكآبة للخميني وسأل مرشده إن كان عاجزا عن إيجاد سبيل إلى وقف المذبحة المروعة. بادره الحائري قائلا " حرام على المسلمين أن يقتلوا مسلمين . إن مئات الآلاف يموتون في حرب لا نهاية لها ولا تخدم غاية نبيلة، ألا تجد سبيلا لهذا المذبحة المروعة؟ لم ينبس الخميني ببنت شفة إلى أن أنهى حائري كلامه . وبدون أن يلتفت اليه سأله الخميني بنبرة هادئة ولكن تأنيبية
> " أتلوم الله إذا أرسل زلزالا ؟".صعق حائري لمقارنة الخميني نفسه ضمنيا بالعلي القدير! فما كان منه إلا أن نهض واقفا وغادر المكان من دون أن يتفوه بكلمة واحدة.ومنذئذ لم يعاود حائري مكالمة الخميني مرة أخرى "[٣٠].

طوّر خميني نظرية " ولاية الفقيه " التي جاء بها العلمائي الصفوي "علي الكركي" في القرن العاشر الهجري، وشرحها في القرن الخامس عشر الهجري في كتابه" الحكومة الإسلامية "أو" ولاية الفقيه".
و قد اتخذ خميني لنفسه لقب الإمام إ وانه" الامام المنتظر" وادعى دراية بالحقيقة العليا.، كما لم يزر الامام الرضا في مشهد مطلقا لأنه يرى نفسه أرقى مكانة منه وأن ثورته "كربلاء

[30] -نصر ٢٠٠٧ :١١٦ .

جديدة". ومعروف عنه احتجابه عن الناس ويطل عليهم اطلالات نادرة ووجيزة، وبعد وفاته أقام له الفرس ضريحا على طراز أضرحة الائمة، ويقدم زواره طقوسا ونذرا تشبه طقوس ونذر زيارة أضرحة الائمة.[٣١].

لقد ألهب" الامام" خميني نيران النزاع الطائفي والعنف السياسي الدموي بين الشيعة والغالبية العظمى للمسلمين . فبعد نجاح ثورته، كان خميني أول من رفع الشعار الطائفي وبصورة علنية وجعله مادة أبدية في الدستور الإيراني، حيث يقول الأصل الثاني عشر من الدستور الإيراني أن " الدين الرسمي لإيران الإسلام والمذهب الجعفري الاثنى عشري، وهذا الأصل يبقى إلى الأبد غير قابل للتغيير"[٣٢]. وجعل قسم رئيس الجمهورية عند تسنمه المنصب طائفيا فيقول: " انني بإعتباري رئيسا للجمهورية أقسم بالله القادر المتعال امام القرآن الكريم، وأمام الشعب الايراني أن أكون حاميا للمذهب الرسمي، ولنظام الجمهورية الاسلامية، وللدستور..."[٣٣]

أسرع خميني بتصدير ثورته إلى دول الجوار كالعراق و لبنان، مستغلا قيادة الأحزاب الطائفية الشيعية الموالية لايران، مثل عائلة طبطبائي الحكيم والصدر في العراق، وعباس موسوي وحسن نصر الله في لبنان.

فهل اقترب خميني من تحقيق المشروع الكبير ؟.

تدخل خميني في الشأن الداخلي العراقي:

عاش خميني في النجف ضيفا على العراق ١٥ عاما ١٩٦٣ – ١٩٧٨ م . وطالبته الحكومة العراقية بمغادرة العراق في وقت كان مد الثورة الإيرانية يتصاعد لما تعلم من نفوذ المرجعية في الأحزاب السياسية الشيعية الطائفية في العراق . غادر خميني بغداد إلى باريس . وبدل الوفاء للذين آووه وأكرموه بعدما طرده الشاه من بلاده، تنكر للعراق وأهله، ففي نية عدائية مبيتة ضد العراق وقبل ان يصبح صدام حسين رئيسا للعراق وقبل نشوب الحرب الايرانية– العراقية. سئل خميني قبل عودته من قصر باريس ١٩٧٨ عن تسلل اعدائه فأجاب : " العدو الأول الشاه ثم الشيطان الأمريكي ثم صدام حسين وحزبه الكافر حزب البعث"[٣٤] ولكن المفارقة الغريبة أن خميني عقد حلفا استراتيجيا مع سوريا التي يحكمها حزب البعث الذي يحمل الأيديولوجية والأفكار نفسها!.

وكما تقتضيه الأعراف الدبلوماسية أرسلت القيادة العراقية تهنئة إلى القيادة الإيرانية بعد نجاح الثورة وقيام "الجمهورية الإسلامية" في إيران. فكان رد خميني برسالة تكفيرية ابتدأت بعبارة " السلام على من اتبع الهدى" وهي عبارة دينية تعني كفر المخاطَب !. وجاء رد صدام حسين قويا واضحا حينما قال: "نحن إلى جانب الإيمان دائما، لكننا نحذر من أن يكون الدين قناعا لمعارضة النظام وسياساته"[٣٥].

ساد إيران بعد الثورة صراع عنيف بين أجنحة الحكم المختلفة : قتل واغتيالات، تفجيرللمقرات، وتصفيات . فدخلت إيران في فوضى عارمة وحرب أهلية مستعرة. وللخروج

---

[31] - المصدر نفسه ١١٥-١٤٥ .
[32] أذرشب ١٤٠٦ هـ :٢٠ .
[33] -المصدر نفسه :٧٥ .
[34] -. SIMONS 1994 :274
[35] - sluglett &sluglett 1990 : 199

من هذا المأزق، رفع خميني الشعارين : الطائفي، وشعار تصدير الثورة إلى الدول المجاورة ، وأولها العراق " فبعد استلامه السلطة مباشرة، بدأ خميني بتحريض الشيعة للانقضاض على حكومة البعث. وبدأ حزب الدعوة، وبتوجيه إيراني يتآمر ضد النظام العراقي بنشر دعاية موالية لإيران والقيام بأعمال إرهابية ضد العراق[٣٦] . ثم واصلت إيران دعايتها ضد العراق، ففي حزيران ١٩٧٩ وافقت حكومتها على تنظيم مظاهرات في طهران دعت فيها إلى تنصيب حكومة إسلامية في العراق بقيادة خميني، وهتفت بالموت للرئيس العراقي أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين .. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧٩ حصل هجوم مسلح على القناصل العراقية في إيران، واحتلت قنصلية كرمنشاه مجموعة مسلحة أعلنت أنها من أتباع خميني[٣٧]. وقد أدّى هذا التدخل السافر لخميني في الشؤون الداخلية للعراق، مع التحريض المستمر ضد قياداته والتحرشات العسكرية لقوات الأمن الايرانية على الحدود، إلى اندلاع الحرب الإيرانية– العراقية في ٢٠ /٩/ ١٩٨٠ .

أصر خميني على إدامة الحرب رغم مناشدات كثيرة للقيادة العراقية بإيقافها بعد أسبوعها الأول، ومساع حميدة بذلتها الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات الدولية . فمثلا "عندما ذهب وفد من رؤساء الدول الإسلامية في مهمة وساطة لانهاء الحرب " جعلهم الخميني ينتظرون مدة ساعتين قبل ان يستقبلهم وهو جالس على الارض، وتحدث اليهم بالفارسية من دون ترجمة لعشردقائق، وهم وقوف، ثم غادر القاعة "[٣٨]

أخذت الحرب التي أدامها خميني ثمان سنوات طوال تطورات عدة هزيمة ونصرا . وعندما صارت لإيران اليد العليا في إحدى صفحات الحرب، قررت احتلال العراق، فرفعت شعار " **أحباء كربلاء... كربلاء بالانتظار**". وقد دفع خميني بعشرات الآلاف من أطفال، يحملون مفاتيح الجنة البلاستيكية لإزالة الالغام . وقد نجح الإيرانيون في احتلال الفاو في البصرة، وحقل مجنون في القاطع الأوسط، وجرت محاولات لقطع طريق البصرة – بغداد. لكن صمود العراقيين، أحفاد علي والحسين، الذين راهن عليهم خميني، ردوا العدوان وأعادوا الفاو وحقل " مجنون " العملاق. إن هذه الحرب المدمرة وما تبعها من تداعيات خطيرة يتحمل أوزارها عدو العراق خميني ومريدوه في حزب " الدعوة الاسلامية" و"المجلس الأعلى للثورة الإسلامية " في العراق.

توقفت الحرب في ٨–٨–١٩٨٨ عندما صدرقرار مجلس الأمن ٥٩٨ القاضي بوقف إطلاق النار دون تحديد الجهة المسؤولة عن الحرب، والذي قبله خميني على مضض حيث قال " إني أتجرع السم بقبولي هذا القرار". توفى خميني بعد إيقاف الحرب بقليل في ٣–٦–١٩٨٩.

خرج العراق منهكا اقتصاديا من هذه الحرب، رغم نصره العسكري. وليخرج نفسه من ضائقته الاقتصادية، دخل الكويت، فأوقع نفسه في شرك نصبته الدول الكبرى له، مما أدى إلى حرب الخليج الثانية على العراق في ١/١٧ / ١٩٩١ والتي انتهت بتدميره . وعند انسحاب الجيش العراقي من الكويت حصل تمرد مسلح في الجنوب العراقي، كان للحرس الثوري الإيراني اليد الطولى في دعمه وتنظيمه.

---

[36] - SIMONS 1994 :275

[37] -. HELMS 1984 : 153 &156

[38] -نصر ٢٠٠٧ :١٣٧ .

التمرد المسلح والإسناد الايراني[39] (٢٨ /٢ /١٩٩١ -٢٠ /٣ /١٩٩١):

في خطاب ألقاه الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب قبل انتهاء الحرب الخليج الثانية في ١٥-٢- ١٩٩١ من على شاشة التلفزيون قال: هناك طريقة أخرى لوقف إراقة الدماء، ألا وهي أن يتحرك الجيش العراقي والشعب العراقي ويأخذا الأمور بيدهم، ويجبروا الدكتاتور صدام على التنحي عن الحكم". و بعد انتهاء الحرب مباشرة في ٢٨ -٢-١٩٩١ انطلق تمرد مسلح منظم في الجنوب العراقي ضد نظام الحكم في بغداد. بدأ التمرد بعض الجنود المنسحبين من الحرب، في إحدى مناطق البصرة، وكأنه عمل عفوي، ثم انتظم بسرعة فشمل محافظات جنوب بغداد كلها في ٧-٣ -١٩٩١. وهذا يدل على أنه عملية منظمة ومدبرة، وبدعم إيراني قوي. ويشهد بذلك وفيق السامرائي، الرئيس السابق للاستخبارات العسكرية العراقية الذي التحق بالمعارضة العراقية في الغرب ١٩٩٤، "ومن بين الأسباب التي يوردها السامرائي دعما لشهادته : الاستنفار والتعبئة اللذين تردد أن إيران أعلنتهما في قوات مسلحة قوامها مبعدون عراقيون يعيشون في إيران جنّدهم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ثم دفع بهم على طول خط الحدود الإيرانية- العراقية في منطقة القطاع الأوسط .ويورد السامرائي خبر اكتشاف شبكة اتصالات لاسلكية داخل العراق كبرهان على أن الانتفاضة كانت تتلقى دعما أجنبيا عملياتيا كبيرا"[٤٠] . وقامت إيران أثناء التمرد بحملة دعائية منظمة ضد الرئيس العراقي صدام حسين ونظام البعث في بغداد، فقد دعا الرئيس الايراني هاشمي رفسنجاني صدام حسين للاستقالة في ٨ /١٩٩١/٣.

تدفقت عدة آلاف من مقاتلي فيلق بدر، من حدود إيران، وتوجهوا بصورة رئيسية إلى النجف وكربلاء، وبعضهم إلى البصرة بمساعدة الحرس الثوري الإيراني . وأكد تشارلز ترب أن " باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، أرسل بضعة آلاف من لواء بدرالتابع لمنظمته عبر الحدود لمساعدة المتمردين الذين تزايدت أعدادهم كثيرا نتيجة التحاق الفارين من الجيش والهاربين من كارثة عسكرية في الجنوب"[٤١]. وفي غمرة حماس أبداها محمد باقر طباطبائي الحكيم بقرب سقوط نظام بغداد راح يتصرف وكأنه رئيس للعراق " ففي مقر الحزب في مدرسة في خرمشهر الإيرانية، وقد رفع أتباعه صورة خميني إلى جانب صورته، قال الحكيم لمراسلي صحف غربيين بأنه يتطلع إلى انتخابات عامة يختار العراقيون فيها حكومتهم . وأضاف أنه ليس في نيته فرض حكم إسلامي"[٤٢]. رفع أتباع الحكيم في النجف شعارا طائفيا حادا أثناء التمرد يقول : "يا صدام شيل إيدك ، شعب النجف ما يريدك! " ويصرخون مرددين: ماكو ولي إلا علي، نريد حاكم جعفري "[٤٣].

وبعد سحق التمرد المدعوم إيرانيا، صادرت الحكومة العراقية بعض الوثائق، منها التعميم التالي الصادر من ممثل الولي الفقيه في القوات المسلحة محسن العراقي، نقتطف جزءا منه:

---

[39] تسمي الاحزاب الطائفية التمرد بالانتفاضة الشعبانية واسمته الحكومة العراقية بصفحة الغدر والخيانة .

[40] -الشمراني ٢٠٠٣ ٢٢٠-٢٢١.

[41] - المصدر نفسه :٢٢١ .

[42] - HAZELTON 1994 :108

[43] -الشمراني ٢٠٠٣ :٢٣٠ .

بسمه تعالى
(دفتر نماندە فقهي وإمام جمعة ديزفول)

يجب على القوات المسلحة في سبيل الله الالتفات إلى النقاط التالية والعمل بموجبها:
١- يجب شرعا على جميع القوات المسلحة العراقية إطاعة قيادة هذه القوات المتمثلة في سماحة سيدنا آية الله الحكيم ، فالتخلف عن أوامره حرام.
٢- يجب ان يتم العمل المسلح الذي ينطلق من الحدود الإيرانية ضمن إطار القوات المسلحة العراقية الخاضعة لسماحة آية الله الحكيم ، وكل عمل يتجاوز ذلك لا يعتبر شرعيا..بل يعتبر مخالفة لقوانين الجمهورية الإسلامية وقرارات القيادة الإسلامية"
ممثل الولي الفقيه في القوات المسلحة- محسن العراقي.

التمرد حركة انتقام:

ارتكب التمرد المسلح فظائع بحق المدنيين، وألحق فوضى ودمارا بالبنى التحتية للعراق يفوق الخيال في عمليات ثأر انتقامية : فقد تم نهب وسلب جميع مخازن الغذاء والدواء ورميت بالأنهار أو نقلت إلى إيران، وسرقت المستشفيات والمدارس، ودمرت دوائر الدولة تدميرا كاملا. وفرّ موظفو الحكومة بالكامل، وقتل المتمردون المئات من منتسبي الأمن والشرطة وأعضاء حزب البعث وتم دفنهم في مقابر جماعية. أما قادة الحزب والدولة الكبار فقد تم تقصيبهم وتعذيبهم في مجزرة مروعة : " تتباين تقديرات عدد الذين قتلوا أثناء انتفاضة النجف تباينا كبيرا، وتقدر مصادر المتمردين، وفقا لما أورده كنعان مكية، عدد القتلى من البعثيين بـ ٤٠٠ قتيل خلال اليوم الأول فقط" وتقول المصادر الحكومية العراقية أن عدد القتلى من البعثيين والمسؤولين تجاوز ٢٠٠٠ قتيل"[٤٤].

وعلى طريقة المحاكم الميدانية المخيفة، التي أنشأها خميني برئاسة السفاح صادق طالقاني التي أعدمت آلاف الإيرانيين بسرعة بالغة، أعدم قادة التمرد، المسممين بالتحريض وحب الانتقام والمظلومية التاريخية المبرمجة، آلاف العراقيين . يقول أكرم الحكيم القيادي في المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق "إن المتمردين، كما في المدن الأخرى، أنشأوا محاكم ميدانية حال سيطرتهم على الأوضاع . وكانت هذه المحاكم، كما يدل على ذلك اسمها، تصدر أحكاماً ثورية بالغة السرعة سعيا وراء انتقام ثأري من مظالم الماضي"[٤٥]. ان هذه الجرائم البشعة، والوحشية المروعة، والفوضى العارمة، اضطرت المرجع أبو القاسم خوئي بعد توليه قيادة التمرد، وهو يعلم أن المحافظات الجنوبية تسكنها أغلبية شيعية إلى بث نداء عاجل في ١٨ شعبان ١٤١١ هـ ، جاء فيه :

"عليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم، و جميع المؤسسات العامة لأنها ملك الجميع...كما أهيب بكم بدفن جميع الجثث الملقاة في الشوارع وفق الموازين الشرعية وعدم المثلة بأحد، فإنها ليست من أخلاقنا الإسلامية، وعدم التسرع باتخاذ قرارات غير

[44] -الشمراني ٢٠٠٣ :٢٣٠
[45]- المصدر نفسه :٢٢٨ .

مدروسة تنافي الأحكام الشرعية والمصالح العامة..حفظكم الله ووفقكم لما يحب ويرضى، إنه سميع مجيب "[٤٦].

وبأمر من الرئيس العراقي صدام حسين، تحرك الجيش العراقي، والحرس الجمهوري بحزم وسرعة، فاستطاع عزل المحافظات واحدة بعد الأخرى، وسحق التمرد المسلح بأقل من أسبوعين. وبحلول ٢٠ آذار عادت آخر مدينة كانت تحت سيطرة التمرد وهي السماوة، فعاد القانون والنظام لجميع محافظات العراق .

بعد هزيمة وسحق التمرد المسلح، هربت قيادة الأحزاب الطائفية إلى الغرب والدول المجاورة، وشكلت المعارضة في الخارج، متسلحة بتدريب وخبرة إيرانية قوية . ومتحالفة ومتعاونة تعاونا أكيدا مع الإدارات الغربية، فتبنت ذات سياسات الغرب ضد العراق في : إدامة الحصار، والموافقة على تقسيم العراق وفق خطوط العرض، ورفع شعار المظلومية الشيعية في العراق.

لقد أدى هذا التحالف الشيطاني بسياساته الخبيثة إلى سقوط بغداد الثاني في ٩-٤-٢٠٠٣ م بتعاون الفرس مجددا مع الامريكان هذه المرة.

سقوط بغداد الثاني ٩-٤-٢٠٠٣ :

إن للتنسيق الشعوبي- الأمريكي جذور تاريخية قديمة، فهو حلقات متصلة في سلسلة تعاون مع أعداء الأمة العربية المسلمة : بدأت بتعاون بن علقمي مع التتار، والصفوي مع البرتغال ، وسوف لن تنته بتعاون طباطبائي مع الأمريكان:

- فقد قال الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب في ٢١ /١/١٩٩١ وهو يتحدث عن حرب الخليج الثانية ضد العراق : " عندما أردنا محاربة الشيوعية في الشرق العربي، استنجدنا بأصدقائنا من علماء الشيعة"[٤٧] .

- و وبعد يوم واحد تحدث محمد باقر طباطبائي الحكيم في خطاب ألقاه أمام قادته في ليلة ٢٢ /١/ ١٩٩١ في إيران وهو يحذر أتباعه من نقد السياسة الأمريكية في المنطقة ويعده امرا شرعيا! فقال : " في المرحلة القادمة ستمر المنطقة وخاصة العراق، بتغيرات كثيرة، فألزمكم ومن تحت إمرتكم بعدم التعرض مطلقا للولايات المتحدة الأمريكية ولو بالكلام. فلا تشويه ولا انتقاد لسياستها في ما تفعل اليوم بالعراق وما تنوي فعله بالمنطقة عامة. وأعلمكم أن هذا هو توجه الدولة الإسلامية الإيرانية . فهذه مسألة شرعية عليكم الالتزام بها"[٤٨].

ثم بدأت الاتصالات الرسمية الأولى بين الاحزاب الطائفية والأمريكيين بعد عام من ذلك الخطاب، ففي مارس /اذار ١٩٩٢ توجت بلقاء في واشنطن مع وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر. ومن بين شخصيات الوفد الزائر الذي تراسه الاخ الاصغر لمحمد باقر، عبد العزيز الحكيم : محمد بحر العلوم العضو في مجلس الحكم أبان الاحتلال ، والسيد مصطفى

---

[46]-رؤوف – أ- ٢٠٠٦ :٤٥٥ .
[47] - ناهي ٢٠٠٢ ٣١٠ .
[48]- المصدر نفسه :٣٠٧ .

جمال الدين، والد أياد جمال الدين عضو مجلس النواب عن القائمة العراقية رئيس حزب احرار حاليا، وعزت الشابندر أحد قادة جند الإمام سابقا النائب في البرلمان الحالي عن القائمة العراقية التي يقودها الليبرالي أياد علاوي حاليا .

أخذ المجلس الأعلى دورا بارزا في الاتصال بالدول ومؤسساتها السياسية مدعوما بتدريب وتجربة إيرانية. " لقد وجد المجلس الأعلى فرصا أكثر للتحرك السياسي سواء على الصعيد الدولي أو الإقليمي، لأسباب كثيرة منها أنه لم يتهم يوما بما يوصف بالإرهاب . ولكونه ليس حزبا سياسيا، فإن الخطوط الحمراء أو قل الثوابت السياسية قليلة في مشروعه السياسي، فضلا عن أن ارتباطه العضوي بالجمهورية الإسلامية في إيران ساعده على إيجاد فرص التحرك السياسي ."[٤٩]. فقد اتصل قادة المجلس ومنهم حامد البياتي[٥٠] بالإدارة الامريكية حيث "بدأ حامد البياتي مسؤول المكتب السياسي للمجلس الأعلى في لندن سلسلة منتظمة من الاتصالات مع إدارة كلنتون ،صدر بعدها قانون تحرير العراق في ديسمبر /كانون أول ١٩٩٨ تبعته مباشرة عملية ثعلب الصحراء. وربما شجّع انتخاب محمد خاتمي الإصلاحي في مايس ١٩٩٧ رئيسا لإيران هذا الاتجاه"[٥١].

وقد أصدر المرجع الاعلى، الايراني سستاني في ٢٠٠٣ فتوى بحرمة الجهاد ضد قوات أمريكا الغازية . وأصدر أمرا إلى كل القيادات الشيعية للتنسيق مع الأمريكان. يقول بريمر الحاكم المدني الأمريكي للعراق : بسبب موقعه الديني الحساس، نسق سستاني، سرا مع القوات الأمريكية، معتقدا أنه بهذه السرية يكون أكثر فائدة لاهدافنا المشتركة من الطرق العلنية، التي قد تؤثر على سمعته بين المؤمنين وحتى العلمانيين الشيعة والسنة وصغار رجال الدين .وقد جرت بين سستاني وبريمر، أكثر من ١٢ رسالة ما بين تموز ومنتصف أيلول ٢٠٠٣ التي عبر خلالها مرارا بها عن امتنانه الشخصي لكل مافعلته قوات التحالف للشيعة والعراق[٥٢].

ويقول نائب الرئيس الإيراني السابق محمد علي أبطحي في ختام مؤتمر "**الخليج وتحديات المستقبل**"الذي نظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في ١/١٥ /٢٠٠٤ أنه "لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابل و بغداد بهذه السهولة " . وقد اعترف قبله علي أكبر هاشمي رفسنجاني الرئيس الإيراني سابقا في ٨ /٢ /٢٠٠٢ وفي خطبة الجمعة! في جامعة طهران عن دور الجيش الإيراني في سقوط كابل فقال : "أن القوات الإيرانية قاتلت طالبان وساهمت في دحرها . ولولا مساعدة القوات الإيرانية في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني " [٥٣].

أسرت القوات الامريكية الرئيس صدام حسين في ١٢/١٣ /٢٠٠٣ وشكلت محكمة لمحاكمته فجاءت المحكمة سياسية بامتياز كانت سلطة الاحتلال فيها: الخصم والمحلف والقاضي، وأصدرت حكما بإعدام رئيس دولة كاملة العضوية في هيئة الامم المتحدة ، وهو قرار مخالف بصورة فاضحة لمعاهدة جنيف لعام ١٩٤٨ في معاملة أسرى الحرب، في أول سابقة تاريخية خطيرة.

---

[49] -رؤوف –أ- ٢٠٠٦ :٣٦٤ .

[50] واسمه عادل أصفهاني كما ورد ذلك في سيرته الذاتية عندما أصبح ممثلا للعراق في الأمم المتحدة عام ٢٠٠٧.

[51] -- JABAR F :2003 :18

[52] - BREMER.L.P 2006 :166

[53] - الدليمي – ب - ٢٠٠٧ : ٩٣ .

نفذ حكم الاعدام في الرئيس العراقي صدام حسين في يـــوم ٢٠٠٦/١٢/٣١ فجريـــوم عيـــد الاضحى، عيد المسلمين. لقد كان مشهد اعدامة مهيبا ومؤثرا، فبعد استخفافه بجلاديه الملثمين الخائفين الذين حاولوا إهانته، وفي معنى للشجاعة فريد وجديد، شهده بلايين الناس من علـــى شاشات التلفاز العالمي، صعد حسين منصة الموت ثابت الخطى رابـــط الجـــأش، ثـــم نطـــق الشهادتين بصوت جهوري ماشابه ارتجاف، وبعدما علت قدماه رؤوسهم، رقص الطائفيون من اتباع خميني، أعوان الاحتلال حول جثته الهامدة وأهانوها، في استحـــضار ســـريع لعـــرف مجوسي معروف، وحقد تاريخي قديم .

كانت إيران الدولة الإقليمية الوحيدة التي اعترفت بمجلس الحكم في العراق الذي أسسه بريمر في تموز ٢٠٠٣ ، والوصاية التي أعطاها مجلس الأمن لأمريكا . وســـاندت إيـــران إســـنادا قويا الحكومات الطائفية التي قادها من يحمل مشاعردفينة من الحقد والغضب والعدوانية ضد العراق وشعبه منهم على سبيل المثال : الآثمان إبراهيم جعفري، ونوري المالكي، اللذان عملا تحت إمرة سيستاني.

أدت التجربة السياسية الطائفية/العنصرية التي قادها سستاني وبريمر لتكون هذه المرة الاولى التي تظهر فيها المحاصصة الطائفية سواء قبل تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ أو بعدها والتي أدت إلى دخول العراق في فترة ظلمات فوق ظلمات في تاريخه الحديث :

ظلمة تدمير الدولة ومرافقها الخدمية والصناعية تدميرا كاملا،
ظلمة زيادة مرعبة في البطالة وشيوع الفقر في أحد أغنى بلاد الدنيا،
ظلمة استقطاب طائفي /عنصري حاد بهدف تقسيم العراق .
ظلمة غياب تام للقانون أدت إلى فوضى عارمة في السلب والنهب، وترويع الناس
ظلمة القتل والتهجيرعلى الهوية لملايين العراقيين .

وهكذا ستكون صفات الحدث التاريخي البشعة لاحتلال العراق أنه :

- شجعت عليه وقادته أحزاب طائفية
- وجهتهم المرجعية الفارسية وأسندتهم إيران.
- ففاق في فظاعته سقوط روما على يد البرارة عام ٤١٠ م وإسقاط المغول لبغـــداد عام ١٢٥٨م. وذلك سيوفر مادة غنية للمؤرخين والمحللـــين الـــسياسين وعلمـــاء القانون عن سلوك الذئاب البشرية، وما خلف السلوك من دوافع لعقود قادمة.

لقد قرع جرس التاريخ إنذاراته المتكررة عن كوارث الفرس منذ نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع شديدا عندما سيطروا على مقدرات العالم الاسلامي :

الدولة العبيدية في الشمال الأفريقي وبلاد الشام.
الحشاشون في خراسان.
القرامطة في شرق جزيرة العرب واليمن.
البويهيون في جزء من بلاد فارس والعراق.

لقد صك جرس التاريخ أسماع المسلمين في هذه الفترات الكارثية من تـــاريخهم بإنـــذارات خطيرة، منها:

- سب صحابة رسول الله والطعن بأمهات المؤمنين .

- تعطيل الجهاد والفتوحات وضياع أجزاء كبيرة من بلدان العالم الاسلامي كالقدس في أول حملة صليبية زمن الدولة العبيدية.
- الاغتيال السياسي والعنف ضد مراكز التوجيه والقيادة في الأمة المسلمة.
- التعاون مع أعداء الإسلام من تتار وبرتغاليين وانكليز وأمريكان مما أدى إلى سقوط عواصم إسلامية مرارا في التاريخ كما حصل لبغداد والقدس .
- الفساد الاداري والسلب والنهب وقطع الطرق وترويع الآمنين.
- وأهم الظلمات إدخال الإرث الساساني في حتمية التوريث والتقديس للبيت الحاكم الذي جسدوه في بيت علي بن أبي طالب وبعض بنيه ، عندما شوهوا الإمامة وابعدوها عن معناها الشوري الاسلامي.

وقد استعاد المسلمون، بحيويتهم المعروفة وغيرتهم على الدين وأمته، السيطرة ثانية وقضوا على هذه الفوضى والدمار في النصف الثاني من القرن السادس الهجري . واستمر الاستقرار وعادت فتوحاتهم الرحيمة لمدة ٤ قرون .إنما عاود جرس التاريخ ضرباته وبقرع أشد عندما تسنم الصفويون السلطة في بداية القرن العاشر الهجري ففرضوا التشيع بقوة الحديد والنار على الأمة الفارسية المسلمة .واستمر التشيع على صورته الصفوية الحاقدة منذ ذلك اليوم حتى مجيء خميني، الذي نجح في تصديرهذا الشكل من التشيع إلى كل من العراق ولبنان وبعض جزيرة العرب.

أسست النخبة الفارسية المتعلقة بماضيها البربري الغابر، تنظيرا فكريا عقائديا تمثل بتشويه الإمامة الاسلامية من خلال القول بأحقية بعض ابناء بيت علي بالإمامة، وأنهم ظلموا باغتصاب الخلفاء الراشدين الثلاثة لهذا الحق. وصارت دعواهم الباطلة مظلومية تاريخية ينقلونها وراثيا عبر الأجيال لتبرير العدوانية الدائمة على العرب والمسلمين تحت ذريعة رد هذه المظالم، ورد حق أهل البيت!.

فما هي هذه النظرية؟ وماهي حقيقتها؟.

الفصل الثاني

الإمامة الوراثية: التنظير السياسي لتفريس ألتشيع

اتخذ المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ نظاما سياسيا لخلافته، يبتدئ باستعمال : آلية انتخاب " خليفة " أو" إمام "وفق مبدأ الشورى . وهاتان الكلمتان : الانتخاب والشورى تعكسان بصدق العملية السياسية التي مارسها المسلمون في انتخاب الخليفة بعد وفاة رسول الله . ويستكمل النظام السياسي الإسلامي خطواته بالطلب من الخليفة المنتخب أن يحصل بعدها على " البيعة " أو ما يعرف اليوم بالتصويت بالموافقة من عامة الناس. والبيعة عقد سياسي وفق شروط وضوابط شرعية ملزم للحاكم أن يجريه وللمحكوم أن يبدي رأيه ثم يتبع ما ارتضته الأغلبية . وهكذا اختار المسلمون الخلفاء الراشدين الأربعة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

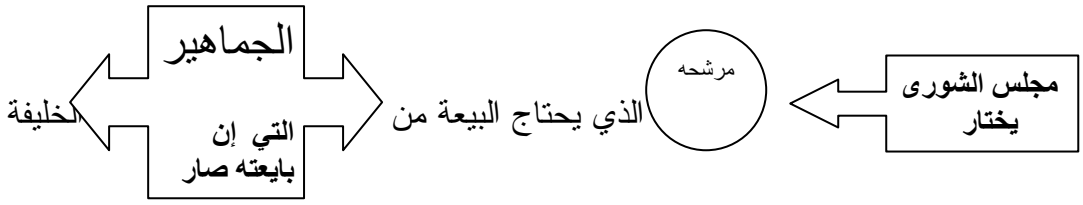

أما كلمة " الشيعة " فقد استخدمت في القرن الأول الهجري ككلمة سياسية معناها مناصرة أو تأييد جماعة أو حزب أو شخص.وهذا ما يطابق ما ذكره بن منظور في معجمه " لسان العرب" أن " كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. وكل قوم امرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيعة، فشيعة الرجل أنصاره ومؤيدوه "[٥٤].

وظلت كلمة الشيعة نقية حتى عندما وقع اختلاف سياسي وتحول إلى معركة صفين عام ٣٧ هـ بين علي بن أبي طالب الخليفة المنتخب الرابع ومعاوية ابن أبي سفيان، والي الشام آنذاك الرافض إعطاء البيعة لعلي لأنه لم يقتص من قتلة عثمان. فقد سُمّي من اصطف خلف علي بـ " شيعة علي "، ومن اصطف خلف معاوية بـ"شيعة معاوية". أي لم يكن لكلمة شيعة مدلول طائفة دينية متميزة أبدا. فقد بيّن الإمام المنتخب علي، في ما ينسب إليه من خطب " نهج البلاغة" التي جمعها الشريف الرضي، حكم من وقفوا ضده وقاتلوه فقال :

> " وكان بدء أمرنا أنا التقينا وأهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا فى الإسلام واحدة ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ﷺ، ولايستزيدوننا. الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء"[٥٥].

ولأجل ذلك منع علي سب معاوية وأنصاره، محذرا شيعته من هذا الخلق السيء لأن السب والشتم ليس من خلق المؤمن:

> " إنى أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكن لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب وأبلغ فى العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا

---

[54] - ابن منظور ج٤ ٢٣٧٧ .
[55] - عبدة ٢٠٠٨ :٤٢٦ .

ودماءهم، واصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به"[٥٦].

إذن فكلمة الشيعة عند العرب والمسلمين معناها المناصرة والتأييد أطلقت لبيان رأى سياسي في من يتولى الحكم ومناصرته وتأييده، ولم يكن لها مدلول ديني أو أي علاقة بالكفر أوالإيمان مطلقا .

ان "أهل السنة والجماعة" الذين يشكلون الغالبية العظمى من المسلمين (عامة المسلمين) هم شيعة حقيقيون أصلاء لعلي، يقول عبد العزيز دهلوي: "أن أهل السنة هم الشيعة المخلصون، ولكنهم تركوا لقب الشيعة تحرزا من الالتباس وكراهة الاشتراك الاسمي مع الشيعة" السبئية"[٥٧]. والسبئية فرقة باطنية غالية، منسوبة إلى اليهودي عبدالله بن سبأ الذي كان من قادة تحريض ظالم ضد عثمان أدى إلى مقتله. وقد ادعى ابن سبأ أن عليا وصي محمد، كما كان هارون وصي موسى. وغالى في علي حتى أراد علي قتله، ولكنه اكتفى بنفيه الى المدائن.

العلاقة بين علي وشيعته:

اتخذ علي بن أبي طالب في نهاية حكمه، الكوفة التي بناها عمر، مقرا له ليكون أقرب إلى غريمه معاوية بدل المدينة عاصمة الدولة الإسلامية. انتقل الفرس للسكن من شرق العراق إلى الكوفة وعاشوا فيها " موالي " أي مناصرين وحلفاء للعرب . شايع العرب والمسلمون عليا، تشيعا عربيا إسلاميا سياسيا لا يمس المعتقدات الإسلامية أبدا.
وبعد انتهاء معركة صفين بين علي ومعاوية بالتحكيم بينهما وتراضيهما، كان المفترض أن ينتهي استخدام مصطلح الشيعة بانتهاء ذلك الخلاف . إلا انه تطور تاريخيا ليلبس لبوسا دينيا خاصا ويصبح علامة فارقة لفرقة مستقلة عن عامة المسلمين في الممارسة والاعتقاد والطقوس .أما اليوم فالشيعة صفة مخصوصة لمجموعة تدعي مناصرة علي وأهل بيته .

لكن كيف سارت العلاقة بين علي والمدعين مشايعته؟.

اتسمت العلاقة بين علي وشيعته بالتوتر والخذلان وعدم الطاعة، فحالت دون انطلاق الخليفة الرابع علي، وهو العالم الشجاع، في فتوحات وانتصارات بدأها وحققها من سبقه من الخلفاء.

لنستمع إلى نماذج من كثير من خطب علي عن شيعته :

" اللهم إني مملتهم وملوني،وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيرا منهم، وأبدلهم شرا مني .اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ![٥٨]
. [مث=أذاب]

وقد خذلوه وعصوه حتى قال في خطبته وهو إماما للمسلمين:
" قاتلكم الله:لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش:إن ابن أبي طالب شجاع ولكن لاعلم له بالحرب، لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني ! لقد نهضت

---

[56] - المصدر نفسه :٣٠٧ .
[57] -الوردي ٢٠٠٩ : ٢٥٢ .
[58] - عبدة ٢٠٠٨ :٥٨ .

فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لايطاع " [نغب التهمام = جرعة الهم، ذرفت= زدت]

وقال:

"ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وعلانا، وقلت لكم:اغزوهم قبل أن يغزوكم . فوالله ماغزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات، وملكت عليكم الأوطان ..... فيا عجبا! **والله** يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم! فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى: يغار عليكم ولاتغيرون، وتغزون ولاتغزون، ويعصى الله وترضون، !فاذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمّارة القيظ، أمهلنا ينسلخ عنا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم :هذه صبّارة القرّ، أمهلنا ينسلخ عنا البرد . كل هذا فرارا من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر. ياأشباه الرجال ولارجال! حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال"[59]

[حمّارة القيظ = لهيب الحر ، صبارة القر = شدة البرد ، حلوم = عقول ، الحجال = حلي الأرجل]

وبعد اغتيال علي بن أبي طالب تولى ابنه الحسن الخلافة لفترة قصيرة ٦ أشهر فقط، الذي تنازل عن الخلافة طواعية إلى معاوية، غريم علي، حقنا لدماء المسلمين.

أسس معاوية دولة اسلامية استطاعت نشرالإسلام ممتدة: في " الشام" و"بلاد فارس " و"الجزيرة "و"مصر "و" أرمينيا "ثم " بحر الروم "وأفريقيا" فـ"المغرب "و"الأندلس " و"بلاد ماوراء النهر "،"السند " و"بلاد بحر قزوين "و"آسية الصغرى". حتى أطلق بعض المؤرخين عليها "دولة الجهاد والفتح" لأنها أذهلتهم بسرعة فتوحاتها وسعة امتدادها رغم قلة مواردها المادية أو البشرية، في زمن لم يكن فيه ما نراه اليوم من تقدم تكنولوجي ووسائل اتصال ونقل . والتي ناصبها الفرس العداء بالاتهام والتحريض والصدام.

دورة التحريض والقتل والغيبة:

بدأ الموالي الفرس الذين شكلوا أكثر سكان الكوفة حملة تحريضية منظمة ضد العرب والإسلام وقادوا دعوات منافية لمباديء الدين الجديد. فبدل التأييد والمناصرة التي تستوجبها الموالاة، قاموا بالتحريض والتشهيرعلى قادة بني أمية وإتهامهم بتهم شتى منها:

* أن الدولة الأموية فرضت الجزية على المسلمين الجدد من غير العرب وخصوصا الفرس،
* وأنها حرمت غير العرب من الوظائف والمراكز القيادية في الدولة ،
* وأنها تسبّ عليا.

وظل الفرس يروّجون هذه التهم بطريقة تحريضية حتى غصت بها كتب التاريخ، فباتت تبدو للقارئ غير المتثبت وكأنها حقيقة .

- *وقد مرّ بنا في الفصل الأول دحض هذه المفتريات تحت عنوان الموالي الفرس وحملة التشهير ضد الأمويين.*

[59] - المصدر نفسه : ٦١-٦٢ .

تطورهذا التحريض ضد الأمويين ليتحول في زمن العباسيين إلى نظرية سياسية اعتقادية لا يقتصر تحريضها على الأمويين ومن جاء بعدهم فحسب، بل لتأخذ أثرا رجعيا يشمل كل رموز وقادة المسلمين السابقين من خلفاء راشدين وصحابة باستثناء علي بن أبي طالب معتبرينه الإمام الأول في تشويه مقصود للامامة التي ادارها المسلمون الاوائل بالشورى فقالوا: بـ

عصمة الأئمة وتعيينهم من الله بطريقة وراثية على "أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد"[٦٠]. واعتبرت أن الخلفاء الراشدين الذين انتخبهم الصحابة غير شرعيين ويجب أن يلعنوا، وأن الحاكم الشرعي الوحيد هو علي وبعض نسله . فصار هذا الاعتقاد هو الركيزة الأساس، للتفريق بين التشيع الاسلامي الاصيل والتشيع الطاريء الدخيل . وقد كانت للنخبة الفارسية اليد الطولى في إشعال هذا الاختلاف، فنشروا دسائس وفوضى وقلاقل بين المسلمين بدأت بمقتل عمر بخنجر المجوسى أبي لؤلؤة، ولم تنقطع منذ ذلك التاريخ إلى اليوم.

وغني عن القول أن الصراع السياسي والتدافع ظاهرة انسانية تاريخية وسنة ربانية أزلية، شملت الامم كلها بدون استثناء . فقد تصارع النصارى مئات السنين وخاضوا عشرات الحروب لاسباب سياسية واجتهادات متباينة، ولكن كلا الطرفين لم يسب او يلعن حواريي عيسى بل بقى الحواريون رمزا مقدسا للجميع باعتبارعم هم من جاء بالنصرانية مباشرة من عيسى عليه السلام. وتقاتلت اليهود كذلك ولم ينبس احد بكلمة سوء ضد بني اسرائيل اتباع موسى عليه السلام لنفس السبب. وحصل كذلك اختلاف في تاريخ المسلمين ومنذ العصور الأولى، ولكن هذا الاختلاف، كحال الامم السابقة، كان اختلافا سياسيا بحتا ولم يمس العقائد الإسلامية مطلقا، وقد تجاوزه المسلمون بسرعة فانطلق الاسلام بدعوته ووصل أقطار الدنيا الأربعة بأقل من ٥٠ عاما .إلا أن أقلية فارسية عظمت هذا الاختلاف وكتبته بعد أكثر من ١٠٠ عام من حدوثه ! وأكثرت اللعن والشتم لأصحاب رسول الله وبعض ازواجه حتى تطور فصار دينا مميزا، افترقت به عن عامة المسلمين. فأوقعت النخبة الفارسية عامة الشيعة في مطب اعتبار الخلفاء الراشدين الثلاثة السابقين لعلي ابن أبي طالب والصحابة أعداء له لأنهم اغتصبوا الخلافة منه.

بدأ العداء بسلسلة طويلة من الحركات السياسية، والثورات المسلحة المعارضة للدولة الأموية. الذي صار أكثر ضراوة في زمن الدولة العباسية، يقوده رموز كبيرة من أئمة أهل البيت بعدما يستزلهم ويحرضهم الفرس ويمنوهم بالحكم باعتبارهم الاولى بالحكم والخلافة من أبناء عمومتهم بني العباس- الشق الثاني من اهل البيت-، فيلتف حول هذه الرموز بعض الأنصار والأتباع (شيعة) فيثورون ويفشلون فيقتلون أو يموتون في ظروف غامضة (بالسم عادة حسب الادعاء الفارسي) .وكلما انتهي الخروج والثورة بالفشل امتلأت نفوس الأتباع باليأس والإحباط، يتبعها بعث أمل كاذب بأن الإمام " غاب " ولم يمت وسيرجع يوما **(الرجعة)**، في دهاء سياسي خطير لإدامة التوتر والصراع.

- لقد بدأت نظرية الغيبة بالإمام الأول علي بن أبي طالب، الذي سيسوق قومه **العرب بعصاه !**، كما يقول مؤرخو الشعوبية نوبختي وأشعري وقمي وكشي: "إن جماعة من الشيعة رفضوا التصديق بوفاة الإمام، وقالوا:إن عليا لم يقتل ولم يمت! ولايقتل

[60] - ظهير١٩٨٣ : ٦٤ .

ولايموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا "[٦١].

- ثم تتواصل السلسلة بعد حادثة استشهاد الحسين، فيلتف قسم من الأنصار حول أخيه محمد بن الحنفية (توفي ٨١ هـ) ، وقالوا أنه المهدي ! وسموا الكيسانية نسبة إلى قائد شرطته الفارسي أبي عمرة كيسان الذي كان أحد موالي علي بن أبي طالب . فيموت بظروف غامضة فيقولون بغيبته ورجعته.
- ويأتي بعده مهدي آخر وهو عبد الله بن محمد ابن الحنفية، ويتعلق الأمل به، ثم يغيب ولم يظهر!.
- ثم تتكرر الأزمة نفسها مع عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيار.
- ثم ذو النفس الزكية
- ومحمد الباقر
- والإمام الصادق
- وابنه اسماعيل
- إلى ان انتهت بالغياب الأبدي للإمام الثاني عشر المهدي الذي يشكك نوبختي وقمي والمفيد في وجوده أصلا فضلا عن رجعته .

" إذن..نستطيع القول أن النظرية المهدوية كانت تعني الثورة والقيام والخروج ولم تكن محددة في شخص معين ..وأن نظرية الغيبة كانت تبرزعندما يفشل أي إمام منتظر أو يموت دون تحقيق أهدافه"[٦٢].

لقد كانت الإمامة في نظر أنصارها المسلمين آنذاك خلافا سياسيا في أمر الحكم والخلافة، ولا يمت إلى العقائد الدينية أو الإيمان والكفر بشيء . ولكن في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين، زمن الحكم البويهي، قامت فئة من العلماء والمؤرخين الفرس والمتفرسين، مثل كليني وطوسي وابن بابويه قمي والمفيد يسندهم يعقوبي وأصفهاني، فاستغلوا الحوادث التاريخية التي اتسمت بمسلسل :

الخروج ..فالفشل .. فالإحباط ..ثم محاولة بعث أمل كاذب بالغيبة.

ليبنوا عليها عقائد وطقوسا وممارسات سياسية، ويجعلوا لها أركانا حتى أصبحت نهجا مميزا لفئة مخصوصة لا يجد له العربي والمسلم أساسا في القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة او نهج كبار الائمة . ولا اسم لهذا النهج المخالف للتشيع الاسلامي الاول إلا سياسة "**تفريس التشيع** ".

أركان سياسة التفريس :

تفريس التشيع حركة سياسية تحريضية عنيفة، تأسست على معاداة المسلمين وتاريخهم بالتحريض والامتهان ضد قادتهم الأوائل الذين أدوا إلينا الإسلام كما أخذوه مباشرة من النبي محمد ﷺ .

لقد بنيت هذه السياسة على أركان رئيسية ثلاثة هي :

---

[61] ـ الكاتب ٢٠٠٥ :٢٣١ .

[62] ـ المصدر نفسه: ٢٣٥ .

(١) أغتصاب سياسي للخلافة +(٢) حرمان مالي لفاطمة من إرث ابيها في فدك أديا الى
(٣) مظلومية أو محرومية تاريخية .

(١) الاغتصاب السياسي للخلافة

تقول سياسة التفريس المبنية على التفريق بين المسلمين والايقاع بهم أن" الحزب المنـــاوىء" الذي يقوده الخلفاء الراشدين الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان اغتصب الخلافة من علي الذي هو أحق بها منهم ، فوجب أن يكون الأول لا الرابع .

- *ولكن مما ينقض هذا الركن هو : أن عليا نفسه بايع الخلفاء الثلاثة قبله، وكانت تربطه علاقة مصاهرة مع عمر، وأن عثمان بن عفان ساعده في زواجه من فاطمة ، كما كان شريكا ومشاورا للخلفاء الثلاثة لمدة ٢٥ عاما.*

ماذا يدعون من سبب لأحقية علي في الخلافة ؟

يقولون إن إمامة علي أمر إلهي أوصى به الرسول ﷺ إلى

علي←ابنه الحسن ← أخيه الحسين ← تسعة من أولاد الحسين من زوجته الفارسية شهربانو بنت يزدجرد الثالث ، دون أولاد علي الآخرين :
←علي السجّاد ابن الحسين ← محمد الباقر ← جعفر الصادق ← موسى الكاظم ← علي الرضا ← محمد الجواد ← علي الهادي ← الحسن العسكري ← محمد المهدي(المنتظر).

وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر أوأهل البيت دون غيرهم من آل محمد وآل علي معصومون، ولذلك يجب أن يكون الحكم والدين لهم وفيهم حصرا دون غيرهم . ويستحق الذين يؤمنـــون بهـــذ النظرية اسم الشيعة أو اتباع أهل البيت، وكأن عامة المسلمين لايتبعون اهل البيت!.

ولكن لم يكن هذا الحصر للسلطة والدين في بيت واحد وبطريقة وراثية إلا انعكاســـا للنظـــام السياسي في الإمبراطورية الساسانية الذي لم يعرف سوى الوراثة في الحكم. يقول المستشرق الهولندي الأستاذ دوزي في كتابه(مقالة في تاريخ الاسلام) : "كانت الشيعة في حقيقتها فرقـــة فارسية . وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربي، الذي يحب الحرية، وبين الجنس الفارسي الذي اعتاد الخضوع كالعبيد . لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي ﷺ أمرا غير معهود ولا مفهوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة في الحكم . ولهذا اعتقدوا انـــه مـــا دام محمد ﷺ لم يترك ولدا يرثه، فإن عليا هو الذي كان يجب أن يخلفه، وأن الخلافة يجـــب أن تكون وراثية في آل علي. ومن هنا فإن جميع الخلفاء- ماعدا عليا- كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة.وقوّى هـــذا الاعتقـــاد عنـــدهم كـــراهيتهم للحكومـــة والـــسيطرة العربية...وهم الذين اعتادوا أيضا أن يروا ملوكهم أحفادا منحدرين من أصلاب آلهة الـــدنيا، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته " [٦٣] .

[63]- ظهير ١٩٨٤ :١٩٤ .

(٢) الحرمان المالي

وهو أن هذا" الحزب المناوئ"الذي اغتصب الخلافة، **سلب المال** بحرمان فاطمة زوجة عليّ من إرث أبيها محمد ﷺ في أرض فدك، فحرم العمود السياسي من سنده الاقتصادي الذي أضعف موقف عليّ أكثر.

- *ولكن هذا العمود الثاني واه أيضا يقوضه أن عليا، بعد استلامه السلطة السياسية، سار موافقا لنهج الخلفاء الذين سبقوه، فلم يرد لفاطمة إرث أبيها .*

وقد نشأ من حرمان الحقوق السياسية والمالية "مظلومية" أو" محرومية"تاريخية لأهل البيت تمثل العمود الثالث لهذه السياسة، وهو الأخطر لأنه أوجد علاقات عدائية دائمة بين الشيعة وعامة المسلمين.

(٣) المظلومية التاريخية

صارت المظلومية تراجيديا تاريخية، وتربية نفسية سلبية، وأسلوبا سياسيا عاطفيا خطيرا تتوارثه الأجيال . فالمظلومية " تعتمد بشكل أساسي على مجموعة عناصر نفسية تجتمع في مفهوم المظلومية، لذلك نجد أن المقابل(الشيعة) يحرص على الخطاب المتباكي المتشكي من مظلومية سياسية تتمثل في منعهم الحكم، ومظلومية اجتماعية تتمثل بالاحتقار والدونية، ومظلومية دينية في الشعور بأن أهل السنة يكفرونهم"[٦٤].

إن هدف المظلومية هو إحداث تأثير نفسي دائم لكسب التعاطف والأتباع . فالائمة وأتباعهم وفق سياسة التفريس الذكية مظلومون منذ يوم السقيفة إلى اليوم . يقول الدكتور جوزيف :"إن الشيعة يظهرون بذلك فداحة الظلم الذي وقع على أئمتهم، فيحدثون في الناس تأثيرا نفسيا عميقا، لأن الإنسان ميال بطبعه إلى الانحياز نحو جانب المظلوم ولو كان مبطلا، وإلى النفرة من الظالم ولو كان محقا "[٦٥]. ولكن حقيقة الإحساس بالظلم والاضطهاد أوالمظلومية هو ميزة للشخصية الفارسية ولّدها استبداد دائم مارسه الأكاسرة ضد الفرس لأكثر من ٢٥٠٠ عام . تقول السيدة كديور عضوة البرلمان الإيراني نقلا عن فينسان مونتي أحد الكتاب الغربيين ".. يتميز الإنسان الإيراني منذ طفولته بشعوره بالاستلاب والاضطهاد، لأنه اعتاد على التشاؤم . صحيح أن المعلم قد أقلع منذ فترة عن ضرب تلامذته والبصاق عليهم، ولكن ماذا يتوقع الأطفال والشباب من ظلم أصبح منهجا للسلطة "[٦٦].

استغل المراجع الفرس فكرة المظلومية المزعومة، في بناء قاعدة اقتصادية متينة، واتخاذهم برامج سياسية تحريضية، وصبغ عامة الشيعة بآثار نفسية اجتماعية خطيرة.

ادعت النخبة أن لها إرثا من النبوة، وأنهم نسل فاطمة ولهذا فهم "سادة ". وبسبب حرمان فاطمة من إرث أبيها، فقد صار للسادة " حاملي علم النبوة "، حق في هذا الميراث يسمونه " مال الخمس " = خمس ما يكسبه المؤمن الشيعي، واجب الدفع إلى السادة والعلماء المجتهدين. أما أحفاد االخلفاء الثلاثة مغتصبي الخلافة والمال، فعليهم إرجاع ثمن هذا الحق

---

[64] - كمال وأخرون ٢٠٠٦ :٣٥١ .
[65] - الوردي ٢٠٠٩ :٢٦٢ .
[66] - كديور ٢٠٠١ :٣٥-٣٦ .

المغتصب.كيف ؟ بأخذ مال الغاصب " الناصب" باستمرار على مدى التاريخ، بأي طريقة أخلاقية أوغير أخلاقية ،لأنه أخّر عليا عن الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان. فقد أفتى خميني في ج١ من كتابه " تحرير الوسيلة " أن "الأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين ما وجد وبأي نحو كان، ووجوب إخراج خمسه"[٦٧].إذن فدافع اختلاق فكرة المظلومية هو " التوافق السياسي بين الأحزاب وزعامات الحوزة التي لم تجد بدا من إثارة المظلومية للحفاظ على مكانتها، وعلى مواردها المالية، التي تحصل عليها عن طريق الهبات وأموال الحقوق والخمس والزكاة . ويرى الباحث أن هذا الاعتقاد سيشكل هاجس خوف دائم عندهم من احتمال خسرانه لسبب أو آخر"[٦٨].

وفي العراق ولبنان، أتخذت الاحزاب الموالية لايران، المظلومية برنامجا سياسيا. واتخذت من تجمعات الجماهير في مجالس العزاء والمجالس العامة منبرا للتحريض وتعبئة الجماهير ضد هذا الظلم التاريخي المصنوع، لادامة التوتر والعداء.

أما المظلومية الاجتماعية المتمثلة بالإحساس بالاحتقار والدونية فقد جاءت كأحد إفرازات "**التقية** " أي إخفاء النوايا الحقيقية وعدم اظهار المشاعر الحقيقية في العلاقات الاجتماعية التي تولد، كما يقول علماء الاجتماع، عملية تبخيس للذات وإهانتها، مع إحساس بالذنب والدونية والنقص، ويظهر على شكلين: قسوة على الذات وإهانتها + إعجاب بالسيد واستسلام له.

أما القسوة على الذات فمن مظاهرها : جلد الذات في لطم الصدور، وشق الرؤوس في مجالس العزاء، ووضع الطين على الرؤوس، والزحف على الارجل والبطون للوصول إلى ضريح الحسين . كل هذه القسوة من أجل ذنب لم يرتكبوه وهو خذلان الحسين في واقعة استشهاده.
اما الاستسلام للسيد فيتمثل بتقليد المرجع، وطاعته طاعة عمياء، دون مساءلته أبدا عن كل ما يقرره في الشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . لماذا ؟ لأن العالم السيد نائب للإمام المعصوم ! وبذلك يكون الراد على السيد رادا على الله ! فما أقساها من علاقة يراها علماء الفرس كعلاقة " عبد بسيد " ، أو" جاهل بعالم " كما سنرى لاحقا .

سياسة التفريس مرتبكة في نفسها ومربكة لاتباعها:

ولمنع معارضة سياسة التفريس، القائمة على ادعاء اغتصاب سياسي وحرمان مالي نتج عنهما ظلم لأهل البيت واتباعهم، منح الفرس أهل البيت مواصفات مبالغا فيها إلى حد التقديس، لتأهيلهم لقيادة الأمة في الدين والدنيا مثل :العصمة، والكمال، وعلم الغيب، وقدرة خارقة لعادة البشر. التي لم ينطبق أي من هذه المواصفات المنحولة على أي من أئمة أهل البيت. بل إن الأئمة الاثنى عشر أنفسهم أنكروها في أقوالهم وسلوكهم الديني والسياسي والاجتماعي، التي سنبينها في الفصول القادمة.

وقد أربك عدم انطباق المواصفات الخارقة للأئمة، سياسة التفريس، فأوقع النخبة في حيرات تاريخية لأكثر من قرنين ونصف من الزمن، أطلقوا عليها تاريخيا اسم "حيرة الشيعة".

وللخروج من الإرباك تفتق ذكاء النخبة عن عكازات لإسناد هذه السياسة منها:

---

[67] -العيص ١٩٩٣ : ١٣٤- ١٣٥ .
[68] - كمال وأخرون ٢٠٠٦ : ٣٦٣ .

(١) تقويل الأئمة أقوالا نسبوها إليهم لتضفي صبغة دينية مقدسة على هذه السياسة لإدامتها ومنع الاعتراض عليها.فمثلا ينسب كليني في أصول الكافي إلى جعفر الصادق قوله:"ماجاء به علي آخذ به ومانهى عنه أنتهي عنه ..المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله ورسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله"[٦٩]. ويقول خميني في كتابه (الحكومة الاسلامية): "إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلا خاصا، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة "[٧٠]

(٢) حقن " رصانة " تعتمد طريقة نفسية عاطفية، وليست علمية عقلانية لمعطيات مصنوعة، تبدومعها سياسة تفريس التشيع متماسكة الأجزاء غير مشتتة.ومثالها الأشهر هو استدرار عاطفة الشيعة تجاه مظلومية مزعومة لا يقبلها عقل ولاجاء بها نقل.

(٣)التقية، وهي فن اجتماعي/سياسي معقد في إخفاء النوايا الحقيقية، تؤهل صاحبها لأن يقول شيئا ويضمر غيره، أو ينسب قولا ويفسره على غير حقيقته، أو يقف موقفا ويعني ضده . فيستحيل مع التقية معرفة الحقيقة. وجعلوها دينا واجب الممارسة حيث يشدد بن بابويه قمي على هذه الممارسة فيقول : " إن من يتخلى عن ممارسة التقية قبل ظهور قائم الزمان يكون خارجا عن دين الله ويكون قد عصى الله ورسوله وإمامه"[٧١].

أساليب سياسة التفريس :

وإذْ لم تنجح عكازات تقويل الأئمة ما لم يقولوا، وحقن الرصانة النفسية، والتقية في إنعاش سياسة التفريس، اعتمدت النخبة لإنقاذها، أساليب التمييز العنصري اللاأخلاقي، والتحريض السياسي المشوّه للخصوم، وأضافوا االإرباك العقلي للمحاججين، ومحاصرة العقل بطوفان الإكثار والتكرار لدعواهم المبالغ فيها.

(١) التمييز العنصري اللاأخلاقي:

أعطى إرث الدولة الساسانية للفرس إحساسا أنهم" سادة " وانهم أرقى من العرب شأنا! كيف لا وقد دان لهم العرب أكثر من ١٢ قرنا. فجعلهم إحساسهم العصابي بالتفوق ينظرون للعرب بعين مغالية في عنصريتها البعيدة عن المباديء الإنسانية التي جاء بها الإسلام وأئمة أهل البيت.

ومن أمثلة ذلك هذه النظرات اللاأخلاقية من عصور مختلفة:

- يصف فردوسي، المتوفي في القرن الثالث الهجري، في ملحمته "الشاهنامة" المسلمين الذين فتحوا بلاد فارس بقوله : "العرب آكلي الضب يدوسون أرض إيران الجميلة".

- ينسب مجلسي الصفوي إلى جعفر الصادق أنه قال : "قلت لأبي عبد الله عليه السلام أأهل الشام أشرّ أم أهل الروم ؟ فقال:إن الروم كفروا ولم يعادونا، وإن أهل الشام كفروا وعادونا ". ويقول "إن اهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث

---

[69] - الدليمي – أ- ٢٠٠٧: ٢٣١ .
[70] - خميني : ١٣ .
[71] - النفيسي ١٩٩٠ :٣١ .

من أهل مكة ٧٠ ضعفا" وعن مصر يقول : "لا تأكلوا فـــي فخارهـــا ولا تغـــسلوا رؤوسكم بطينها فإنها تورث الذلة وتذهب بالغيرة" [٧٢].

ولا نظن شيعيا حقيقيا منصفا إلا ويربأ عن مثل السفاهات بحق أهل الشام أصهار النبي ﷺ وقواده، وأهل مكة جذر صحابته، وأهل المدينة خيرة أنصاره وأهل مصر كرام أنسابه.أو ان يقبل نسبة هذه الاقوال الى الامام الجليل، ابن المدينة جعفر الصادق.

- وينعت خميني في كتابه (كشف الأسرار) علماء دين عرب مسلمين كبار، أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب، بأنهم وحوش، وحداة إبل فيقـــول : "ويتصورون أن نقض أوزار التقليد إنما يتحقق عن طريق التنصل من تعليم القرآن والاسلام والتنكر للدين ورجال الدين، متناسين بأننا نعـــرف إنمـــا يـــسيرون وراء وحوش نجد، وحداة البعران في الرياض، ممن يعدون من أسوأ المخلوقات البشرية " ثم يصف أهل السنة والجماعة في إيران :"إن هؤلاء اضطروا إلى التقليد الأعمـــى للوهابيين الذين هم مجموعة من رعاة الإبل المجردين من أي علم ومدنية"[٧٣].

- ويأسف فنان إيراني في لقاء مع " كاديس " الصحفية الغربية أنهم لم يعودوا كمـــا كانوا بعد دخول العرب إلى بلادهم، فقد انحدرت إمبراطوريتهم منذ مجـــيء الفـــتح الإسلامي حتى مجيء البويهيين . ويكيل إلى قادة الفتح الاســـلامي الـــتهم الباطلـــة فيقول: " لقد حرقوا كتبنا، واغتصبوا نساءنا، ولم نستطع التحدث علنا بالفارسي مدة ٣٠٠ سنة، لقد أزالوا لساننا"[٧٤] .

- ومأأعجب تبرير المحامية شيرين عبادي الإيرانية الحائزة على جائزة نوبل للـــسلام عام ٢٠٠٣ لتشيع إيران بقولها "في النهاية اتجهنا إلى التشيع لنختلف عن العـــرب لأنهم سنّة، لا زلنا مسلمين لكنا لسنا عربا" .وهكذا فأول ما يعرّف بـــه الإيرانيـــون أنفسهم هو " أنهم ليسوا عربا"[٧٥].

- ويستمرئ النائب في البرلمان العراقي " الشيخ " جلال الصغير، الإيراني الأصـــل ،الشتم وهو في خطبة جمعة٢٠٠٤/١٢/٣١ عندما يقول: " وماذا يعني أن يكثر أقزام الأردن في التحدث عن ما يريدون من خلال إثارة الصهاينة والأمريكيين ضد شيعة العراق ؟ ومن أعطاهم الحق في ذلك ؟ وأين اتزان الدبلوماسية يا أقزام الأردن ويا أعراب الجزيرة؟.[٧٦].

وقد صدق الأديب العربي الجاحظ، في أن الكره الذي تكنه هذه النخبة للعرب نابع عن كـــره الإسلام الذي حملوه " فإنما عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاءه عن طريق الشعوبية ، فمـــن أبغض شيئا أبغض أهله..إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف"[٧٧].
وهكذا سممت الشعوبية المتشنجة، والعنصرية المتطرفة، التاريخ بالتوتر العدواني الدائم بـــين الفرس من جهة والعرب والمسلمين من جهة أخرى.

---

72 - علماء الشيعة يقولون وثائق مصورة : ١٢٠- ١٢٢ .
73- العيص ١٩٩٣ :١٢٥.
74 - NATIONAL GEOGRAPHY- august 2008: 62 .
75 - المصدر نفسه :٦٢(ibid)
76 -كمال وأخرون ٢٠٠٦ :٣٥٦ .
77 -معروف ١٩٨٩ :١٤٦ .

ولكن الفرس يعيشون في محيط إسلامي ، فماذا يفعلون ؟

مشت النخبة على خطى إمبراطورياتها في التمويه على أهدافهم السياسية الكبرى، خلف شعار تميل اليه قلوب العرب والمسلمين جميعا، وهو حب سادة العرب– اهل البيت .أي أن الفرس ليسوا ضد العرب والمسلمين وإنما هم من محبي اهل البيت والمدافعين عن مظلوميتهم ! في عملية إرباك لبسطاء المسلمين واضحة.

(٢) الإرباك العقلي:

والإرباك هو الإتيان بالقول ونقيضه في الوقت نفسه لإرباك عقل السامع أو التمويه السياسي عليه تجنبا لاتخاذ موقف حاسم يكون عرضة للمحاسبة .

وقد اعترف طوسي بهذا التناقض، وحذر مما سيجره هذا الإرباك على المذهب وطلابه، مما قد يؤدي إلى إبطال المذهب فقال : " ذاكرني بعض الأصدقاء ..بأحاديث أصحابنا، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لايكاد يوجد خبر إلا وبإزائه ما يضاده ! ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينفيه ! حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا وتطرقوا بذلك الى إبطال معتقدنا"**.فمثلا**:

ينسب ابن بابويه قمي في كتابه "من لايحضره الفقيه" إلى الإمام محمد الباقر قوله في تعظيم المتعة " إن النبي صلى الله عليه وآله لما أسري به إلى السماء قال:إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء"(ظهير ١٩٨٣ :٢٢٢).

وينقل مجلسي في بحار الأنوار عكس ذلك:عن عبد الله بن سنان في تقبيح المتعة فيقول :سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة فقال :(لا تدنس نفسك بها) (ح.الموسوي: ٤٥).

ولما كان التمييز بين القول الكاذب من الصادق مستحيلا في الاقوال المتناقضة والمتعارضة فالقضاة يسقطون كلا القولين في الشهادة لتعارضهما.

وسيجد القاريء الكريم في الفصول اللاحقة كثيرا من هذا الإرباك العقلي في أقوال قادة النخبة.

وتطاولوا في إرباكهم حتى على تفسير القرآن، فصرفوا معاني القرآن الواضحة إلى معنى باطني مناقض تماما لمقتضى اللغة العربية التي نزل بها، مدعين أن للقرآن ظاهرا وباطنا.
ومن الأمثلة على ذلك:

المثال	التفسير الظاهر = ما تقتضيه القواعد العربية	التفسير الباطن = ؟ ؟ ؟
الجبت والطاغوت	مايطغي به من صنم وشيطان	أبو بكر وعمر
الكوثر	الكثير	فاطمة الزهراء

ولما كان العقل السليم لا يقبل بمثل هذا الإرباك والتضليل، ولمصادرة حرية اختياره استخدموا أسلوبا جماهيريا نفسيا يستغل **غريزة القطيع** بتحريض الجماهير نفسيا واثارة للعواطف البدائية الحادة في مجالس عامة كمجالس العزاء . وهكذا ستمنع هذه السياسة أي عقل سليم من التساؤل المنطقي ولا تعطيه أي فرصة للمحاجة العقلية، فتمرر النخبة ما تشتهي من أفكار وأساطير إلى عقول الناس.

(٣) التحريض الجماهيري:

استخدمت النخبة في تفريس التشيع التأثير النفسي على شخصية الشيعي الطيبة بالتحريض الجماهيري السلبي المباشر في اجتماعات حاشدة وهي مجالس العزاء والمجالس العامة، وهو تحريض مكرر معاد جمدوا عليه على مدى القرون، وكان ضحية تحريضهم انتهاك حرمات أصحاب رسول الله ﷺ الأموات وامهات المؤمنين، وحوادث تاريخية مضت :

- معركة الجمل: هي معركة وقعت في البصرة عام ٣٦ هـ بين قوات ألخليفة علي ابن أبي طالب وجيش يقوده الصحابيان طلحة ابن عبيد الله والزبير ابن العوام بالإضافة إلى أم المؤمنين السيدة عائشة التي كانت في هودج جمل، المطالبين بالاقتصاص من قتلة عثمان.
- حرب صفين: المعركة التي وقعت بين جيش الخليفة علي ابن أبي طالب وجيش معاوية ابن أبي سفيان والي الشام في سنة ٣٩هـ.في صفين على نهر الفرات في شرق سوريا.
- معركة كربلاء : هي أهم ما أبقوا في القلوب والأذهان حية حاضرة، تلك المعركة التي قتل فيها الحسين على يد قوات تابعة ليزيد ابن معاوية في ١٠ محرم سنة ٦١ لهجرة (١٢/١٠/٦٨٠م)، حتى أصبحت عقيدة دينية مقدسة لا يجوز المساس بها.

يحرص معتلو منبر العزاء على التحريض السلبي في اللعن والطعن والتشهير برموز المسلمين الأوائل: الخلفاء الراشدين الثلاثة، وقادة فتح بلاد فارس، وأصحاب النبي محمد ﷺ بصورة عامة، وأمهات المؤمنين عائشة وحفصة، وأتباعهم . وقد جعلوا هذا دينا يتقربون به إلى الله، وهو في حقيقته، رمزا، لعداء سياسي بين النخبة، ورموز المسلمين الكبار، فاتحي بلاد فارس، هدفه سحب الشرعية الإسلامية والسياسية من هذه الرموز، وبالتالي إبطال دين الإسلام وهدم كيانه في احتيال سياسي واضح .
يتخذ هذا التحريض الجماهيري أسلوبا نفسيا حادا يتجسد بسلوك شاذ ينكره التشيع الاسلامي الاصيل ولايقره العرب والمسلمون : النياحة واللطم وشق الرأس والسب والشتم، من أجل إثارة عواطف الحقد والبغضاء وحب الثأر والانتقام.
ومن أسوا صفات هذا التحريض أنه : ينتقل بالعدوى ،
ويقبل الخرافة والأسطورة ،
ولا يقبل المحاجة العقلية ،
فلا يصغي إلى دليل أو برهان.

وإذا ابتعدت الجماهير عن منطق العقل في التصرف فلن تعرف إلا العواطف الحادة "وبما أن الجماهير لا تعرف إلا العواطف البسيطة والمتطرفة، فإنها تقبل أو ترفض دفعة واحدة الآراء والعقائد التي يحرضونها عليها . فهي إما تعتبرها حقائق مطلقة أو أخطاء مطلقة، لأن هذه هي دائما حالة العقائد المتشكلة عن طريق التحريض النفسي الخالي من التعقل والمحاجة العقلانية"[٧٨] .

(٤) الإكثار بالمبالغة والتكرار:

ان إكثار الاتهامات بالمبالغة فيها وتكرارها واعادتها هي سياسة ثابتة معروفة لقادة التفريس . فالنخبة الفارسية تعيد وتجتر المواضيع ذاتها دون كلل ولاملل، ولا جديد، وليس لها نهاية :

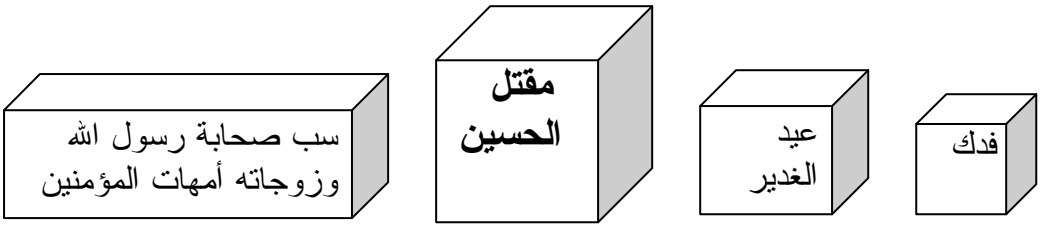

ليس هناك دراسة أو بحث علمي رصين في الاتهامات التي تجترها النخبة. وإنما هدف تكرارها هو محاصرة عقل القاريء والسامع بطريقة نفسية تحريضية دون الاتيان بالدليل العقلي المفهوم أو الدليل النقلي الموثوق.

ومن أساطين المبالغة والتكرار : العائلة الشيرازية التي سكن بعض رموزها مدينة كربلاء العراقية. منهم على سبيل المثال محمد تقي مدرسي وأخوه هادي مدرسي أحفاد الجد الأعلى حسن شيرازي (المتوفى:١٨٩٥)، وهم من أبدع "**النظرية المليونية**" الخطيرة.

والنظرية المليونية :

حقيقتها = سياسة تمويهية خادعة،

أسلوبها = النفخ في بالون " تكثير الأتباع والمناصرين وزوار الأضرحة " كذبا،

هدفها الخارجي = منافسة أعداد المسلمين الضخمة بالنسبة لها،

هدفها الداخلي = إحداث أثر سايكولوجي بالغ في نفوس تابعيها بأن أقليتهم المنعزلة هي كبيرة وكثيرة .

فمثلا:

ذكر صدر الدين تبريزي الذي لقب نفسه القبنجي خطيب مرقد علي في النجف أن عدد زوار مدينة كربلاء في أربعينية الحسين عام ٢٠٠٦ وفي الظرف الأمني العصيب بلغ ١٣مليون زائر!. في محاولة اظهارالتفوق على اعداد حجاج بيت الله الحرام

[78] - لوبون: ٧٦ .

ولكن ليس في العراق المغلقة حدوده هذا العدد من الشيعة فضلا عن القادرين على الزيـــارة! ومن يعرف مدينة كربلاء يدرك انها أصغر محافظة عراقية، و ليس بها إلا شارعان لا يسعان لأكثر من خمسين ألف زائر.
إن عواصم كبرى مثل لندن واستنبول يستحيل عليها إدارة هذا العدد من الزائرين! ولاتقـــدر بناها التحتية، من نقل وسكن وغذاء وخدمات ماء وصحة، على تلبية طلبات هذا العدد . وإن طابورا من الراجلة والسيارات عدده ١٣ مليون سيمتد عميقا إلى الـــدول المجـــاورة المغلقـــة الحدود!.

ويتحدثون عن مظاهرات مليونية في بغداد بعد احتلال أمريكي أقل مواصفاته أنه:
لا تأمن فيه الناس الخروج من بيوتها ،
والأحياء مسوّرة بأسيجة كونكريتية ارتفاعها ٤ أمتار،
والشوارع مقطعة بكتل إسمنتية وأسلاك شائكة تمنع الحركة والانتقال.

ومن مبالغاتهم:
إطلاق اسم **الحرمين** على قبري الحسين + أخيه غيـــر الـــشقيق العبـــاس فـــي كربلاء،
في مقابلة **الحرمين الأصليين**:الحرم المكي بيت الله الحرام في مكة + حرم المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة .
ويطلقون على كربلاء "كربلاء المقدسة" وعلى النجف "النجف الأشرف" في محاولة لجعل هذه المدينتين أعظم شأنا من مكة المكرمة والمدينة المنورة .
وأن كربلاء حيث قبر الحسين أعظم مقاما من الكعبة، على لسان شاعرهم:

وفي حديث كربلا والكعبة لكربلا بان علوّ الرتبة

وأهم المبالغات جميعا هو الإكثار والتكرار بدون كلل ولا ملل عـــن المظلوميـــة التاريخيـــة الموهومة وسحبها على الوقت الحاضر . فمثلا يذكر البروفـــسور حنـــا بطـــاطو أن عـــدد المعارضين للنظام العراقي السابق الذين قتلـــوا "فـــي الفتـــرة الممتـــدة بـــين ١٩٧٤-١٩٨٠ حوالي(٥٠٠) من أفضل رجال العراق، من بينهم المرجع الشيعي محمـــد بـــاقر الـــصدر و٨ علماء آخرين والدكتور علاء الشهرستاني الذي كان يوما مدير لجنة الطاقة الذرية العراقية"[٧٩] . في حين يذكرأساطين سياسة المبالغة والتهويل دون أي دليل أو برهان أن ضحاياهم مئـــات الآلاف من القتلى وملايين المهجرين!.

"والسؤال الذي نريد طرحه مجاراة لنظرية المبالغة والتهويل : مالذي حـــصل علـــى صـــعيد ديموغرافية العراق فيما يخص الطائفتين : السنية والشيعية في هذه الحقبة الوطنية التي امتدت ٨٢ سنة، منذ تأسيس الدولة العراقية في ١٩٢١ إلى سقوطها في ٢٠٠٣ ؟

لنأخذ العاصمة بغداد، والبصرة ميناء العراق الوحيد مثالين على تساؤلنا:

في سنة ١٩٢١ كانت بغداد مدينة سنية بامتياز حيث لم تزد نسبة الشيعة فيها إلى السنة علـــى ٥ %، وقريبا من هذه النسبة كانت البصرة.

[79] - بطاطو :٤٧ .

فما الذي طرأ على هذه النسبة عندما انتهت الدولة العراقية الوطنية في سنة ٢٠٠٣ ؟

إذا كانت التهمة التي يطنطن بها الساسة الطائفيون من أن انتماء الدولة في هذه الحقبة كان "سنيا" يمارس القتل والتهجير ضد الشيعة، صحيحة، فكان يجب أن تزداد نسبة السنة، أو على الأقل تبقى كما هي!
ولكن المفاجأة المسكتة لهم هي أن الذي حصل هو العكس تماما!.

فقد ارتفعت نسبة شيعة العاصمة بغداد في نهاية المطاف إلى قريب من ٤٠ % !.أو أكثر خصوصا بعد الاحتلال الامريكي وسياسة التطهير العرقي التي مارستها الميليشيات وفرق الموت التابعة لحكومة الاحتلال .

أما البصرة، فحالها أشد من بغداد، حيث زادت نسبة " الشيعة" فيها حتى تجاوزت الـ ٦٠ %. والمثال الصارخ فيها أن قضاء الزبير، على الحدود مع الكويت الشقيق، كان إلى سنة ١٩٧٠" سنّيا" صافيا بنسبة ١٠٠ % . ولكن في سنة ١٩٩٧ ربما وصلت نسبة" الشيعة" فيها إلى الثلث ! فإلى أين وصلت الآن، بعد إرهاب التهجير الطائفي القسري في ظل الاحتلال الامريكي! .

لقد ازدادت نسبة الشيعة في بغداد والبصرة تحت ظل الدولة العراقية الوطنية، لسبب إنساني بسيط هو التزام مسؤوليها بالعقد الوطني ولم يلوثوه بسياسة طائفية أبدا ! بل لم يسمحوا بكلمة طائفية واحدة مطلقا"[٨٠].

وقد احترق العراقيون بلظى اندلاع بوابة الجحيم الطائفي المتحالف مع المحتل وأدركوا معنى قتل مئات الآلاف منهم، ورمي الجثث في المناطق العامة والطرقات ! في ظل سياسة حقد وانتقام مارستها فرق موت وميليشيات تابعة لأحزاب موالية لإيران، ولتبرير الانتقام وإدامة القتل والتهجير جعلت هذه الأحزاب المدعومة ايرانيا، المظلومية برنامجا سياسيا واعتقادا دينيا راسخا.

توريث الامامة اعتقاد ديني:

إذن أفرز الخلاف السياسي بين علي المنتخب ومعاوية الباغي عليه، وبعد أكثر من قرنين، نظرية تشترط العصمة والنص من الله في تعيين الإمام، فسُمي أتباعها بـ"الإمامية ". ويصف السمعاني في (الأنساب) الإمامية أنهم : جماعة من غلاة الشيعة ، لقبوا بهذا الاسم لأنهم يرون الإمامة لعلي واولاده، ويعتقدون أنه لا بد للناس من إمام، وينتظرون إماما سيخرج في آخر الزمان .
ويقولون أن الإمامة وصية أوصى بها النبي ﷺ الذي أسماهم قبل وفاته وبأوامر إلهية دون غيرهم من المسلمين :

- فسارت في علي و عقبه من أبناء الحسين فقط دون أولاد الحسن،
- حتى بلغت الإمام الحادي عشر الحسن العسكري .
- وفي ٢٦٠ هـ استتر ابنه محمد بن الحسن العسكري في غيبة صغرى كان يتصل بها بالناس وفقا لما تقوله موسوعات المراجع الفارسية عبر نوابه الأربعة .
- ثم غاب في ٣٢٩ هـ غيبة كبرى .

[80] موقع القادسية ٢٠٠٩ : سلسلة القادسية - الدولة الوطنية وشعاراتها أخطر مظلة للتمدد الطائفي الشيعي في العراق .

ولا يزال يتردد نداء الشيعة الإمامية أن يعجل الله فرجه ويظهره ليملأ الدنيا عدلا بعدما ملئت جورا .

وقد حصرت هذه النظرية الإمامة في أهل بيت علي، وليس أهل بيت النبي، والفرق جلي واضح.

وهكذا أصبحت الإمامة أمرا إلهيا واعتقادا دينيا مقدسا لا يجوز الخروج عنه، حيث أن الإمام يقوم بدور الوسيط بين الله والناس ! وأن أول ما يسأل عنه الإنسان بعد موته هو" الولاية" أي هل كان له إمام يتولاه أم لا. فالإمامة عند قادة التوريث هي امتداد لقيادة الأمة عن طريق الأئمة ليكونوا قادة "روحانيين" وبرهانا(حجة)على حقيقة التنزيل ولتوجيه المجتمع .

والإماميون الفرس هم أول من جعل التشيع السياسي اعتقادا دينيا، وزرعوا أول بذرة لنسخة مختلفة عن التشيع الاسلامي الأصيل هي توريث الامامة، كما في المقارنة الآتية :

التشيع الاسلامي الاصيل	التشيع الفارسي الدخيل
سياسي فحسب يعني المناصرة والتأييد ولا يمس العقائد الاسلامية لا من قريب ولا من بعيد لا يؤمن المسلمون ،الذين يشكلون ربع سكان الكرة الأرضية ، بنظرية الإمامة ،ولا يرون العصمة لغير رسل وأنبياء الله. بل يتخذون من مبدأ الشورى آلية سياسية لاختيار الإمام أو الخليفة.	حركة **سياسية** عنيفة تلبس عباءة **الدين** بابتكار "الإمامة" المعصومة كركن أساسي **وسيلتها** : التحريض السلبي بالطعن واللعن والتشهير **ضحيتها**:تبشيع قادة العرب والمسلمين خصوصا أهل بيت النبي ﷺ وصحابته. **على** مدار التاريخ الإسلامي منذ اجتماع "سقيفة بني ساعدة" حتى اليوم. **هدفها**: سحب الشرعية الإسلامية من هؤلاء الرموز والقادة لإبطال الاسلام.

وهذه شهادات كبار مراجعهم أن جعلوا الإمامة أهم أصول الاعتقاد الشيعي :

- يرى شيخ الطائفة الشيخ المفيد "أن من لا يؤمن بها كافر خالد في النار . ودفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر ،لأن الجهل بهما على حد واحد"[٨١].
- ويرى خميني أن "الإيمان لايحصل إلا بواسطة ولاية علي وأوصيائه المعصومين الطاهرين عليهم السلام ، بل لايقبل الإيمان بالله ورسوله من دون الولاية"[٨٢].
- وقد أسقط محمد باقر طبطبائى الحكيم الشهادتين من أركان الاسلام واستبدلها بالولاية.، فقال: " بنى الإسلام على خمس :الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية (= ولاية أهل البيت).ويقول أن الولاية أهمها لأنه لا قيام للأركان الأخرى بدونها ، وأنها أول ما يسأل عنها العبد بعد موته[٨٣] .
- والإمامة عند آية الله العظمى كاظم حائري أعظم مرتبة من النبوة[٨٤].

---

[81] -العيص ١٩٩٣ : ١٨ .
[82] -فضائية المستقلة رمضان ١٤٢٩ =أيلول ٢٠٠٨ بنامج الحوار الصريح بعد التراويح.
[83] - في درس له مسجل على قناة الفرات الفضائية.٢٠٠٨
[84] - الدليمي- ب - ٢٠٠٧ :٥٣ .

ولكن في مقابل هذه الشهادات لا نجد نصا قرآنيا واحدا يشير إلى ركن الإمامة المهم" لا نجد التصريح بهذا الركن العظيم في القرآن الكريم؟! إنما نجد القرآن قد صرح بغيره من الأركان والواجبات التي هي دونه، كالصلاة والزكاة والصيام والحج . بل صرح القرآن الكريم ببعض المباحات كالصيد مثلاً.. فأين الركن الأكبر من الثقل الأكبر.

لماذا ؟

يعلل خميني عدم ذكر " إمامة علي " في القرآن بإحجام الرسول عن ذكرها في القرآن أمام الناس لخوفه على القرآن من التحريف من" الحزب المناويء" الذي يقوده أبو بكر وعمر بقوله " لقد أثبتنا في بداية هذا الحديث بأن النبي أحجم عن التطرق إلى الإمامة في القرآن خشية أن يصاب القرآن من بعده بالتحريف" .ويتجاوز خميني الى أبعد من ذلك، عندما يتهم الرسول بعدم التبليغ فيقول : "وواضح بأن النبي لو كان قد بلّغ بأمر الإمامة طبقا لما أمره الله به، وبذل المساعي في هذا المجال لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك . ولما ظهرت ثمة خلافات في أصول الدين وفروعه" [٨٥].

فهل كان الرسول ﷺ، حاشاه، سبب كل الخلافات بين المسلمين!.

شروط وعلامات الإمام :

لقد ارتكزت عقيدة توريث الامامة على أن الإمام لا يمكن أن ينتخب من عامة الناس الضعفاء، أو يترك انتخابه لتقلبات الزمان. لذلك تقوم نظرية الإمامة على أساس وراثة عمودية منصوص عليها من الله، وأوصى بها رسوله الذي سمّى الأئمة قبل وفاته.

ولكي يكون الإمام " معصوما " فينبغي أن يحقق معادلة أكمل إنسان في زمانه = العالم في الدين والعادل المطلق والكامل الذي ليس له خطيئة أو خطأ . ولذلك وضع كليني وابن بابويه قمي والحر العاملي، خصالا وشروطا للإمام أهمها:

(١) " لايموت الإمام حتى يعلم من يكون بعده، فيوصى إليه" .
(٢) "لا تعود الإمامة فى أخوين بعد الحسن والحسين أبدا ، انما جرت من على بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى [وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله] فلا تكون بعد على بن الحسين إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب" .
(٣) "للإمام علامات منها أن يكون أكبر ولد أبيه".
(٤)"إن الإمام لايغسله إلا إمام من الأئمة عليهم السلام"
(٥) يكون عنده سلاح رسول الله "والسلاح فينا بمنزلة التابوت فى بني إسرائيل، تكون الإمامة مع السلاح حيث ماكان".
(٦) "إن الامام يعلم بما كان وما يكون ، وإنه لا يخفى عليه شيء ، وعنده جميع الكتب التى نزلت من عند الله عز وجل ويعرفها على اختلاف ألسنتها".
(ظهير١٩٨٤: ٢٨٣-٢٩٠).

ويغدق خميني على الأئمة تعظيما يجعل لهم طبيعة إلهية فيقول: "إن للأئمة مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيرتها جميع ذرات الكون. ومن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وبموجب ما لدينا من روايات

[85] - العيص ١٩٩٣ : ٥٠- ٥٢ .

وأحاديث، فإن االرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كانوا قبل العالم أنـــوارا، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله" [٨٦].

أبو الأئمة " علي " ينقض نظرية التوريث :

لم تنطبق الصفات والشروط أعلاه، على أي من الأئمة الاثنى عشر المعينين، كالعـــصمة و الوصية و التغسيل والوراثة العمودية وصفتي الكبر وعلم الغيب.بل لم تنطبق حتى على ذرية الحسين التي قالوا أنها لا تكون بعده إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب.

وإنما أثارت نظرية التوريث تساؤلاً حقيقياً على مدى التاريخ وهو: من هو الإمام الذي يـــأتي بعد الإمام السابق، ويكون موفيا بشرط كون الإمامة تعيينا إلهيا ونصا من الإمام السابق على اللاحق الذي يليه ؟. أوقع هذا التساؤل الخطير ألقائلين بتوريث الامامة في أزمـــات سياســـية وحيرة عبر التاريخ في كيفية اختيار الإمام التالي للذي قبله.

وبمبايعة علي لأبي بكر وعمر وعثمان يكون قد نفى علي العصمة عن نفسه أو أن تعيينه كان من الله. فكيف لإمام مثل علي أن يتنازل عن أمر الهي! . يقول طبرسي في" الاحتجاج" عـــن علي :

"أنه لما اجتمع بالمهزومين في الجمل قال لهم: فبايعتم أبا بكر، وعدلتم عني . فبايعت أبا بكر كما بايعتموه ..فبايعت عمر كما بايعتموه فوفيت له بيعته...فبايعتم عثمان فبايعته وأنا جالس في بيتي. ثم أتيتموني غير داع لكم ولا مستكره لأحد منكم فبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر وعثمان. فما جعلكم أحق أن تفوا لأبي بكر وعمر وعثمان ببيعتهم منكم ببيعتي "[٨٧].

ولم يذكر علي "تعيينه" الالهي في كتابه الذي جمعه الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٤ هـ): **نهج البلاغـــة** . وتنازل الحسن المجتبى عن الخلافة بطريقة شورية ورضا تام لمعاوية بـــن أبـــي سفيان، ولم يوص لأخيه الحسين.

ولم يذكر القرآن الكريم العصمة، ولو بآية صريحة واحدة، أو بالإشارة إليها في أي من سوره! كما لم يذكر القرآن أن الرسول سمّاهم قبل وفاته ، وإنما ذكر أن الرسول قد نفى علم الغيـــب عن نفسه في الآية وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ (الأعـــراف : ١٨٨) كما لم ينقل أي حديث صحيح صريح عن الرسول ﷺ تشير إلى هذا التوريث.

وما ينقض صفة الكبر القائلة بأن الإمام يجب أن يكون أكبر ولد أبيه : فقد مات إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق قبل أبيه، ولو كان الإمام الصادق يعلم بما يكون لما أوصى لإسماعيل! وهكذا أصيبت " نظرية الإمامة بنكسة شديدة عندما توفي إسماعيل بن جعفر الصادق ، وكان الإماميون في الكوفة قد التفوا حوله ونقلوا عن أبيه :إن إسماعيل خليفته من بعده . فلما توفي في حياة ابيه، تبين أن تعيينه ليس من الله ، وإلا لم يكن ليموت قبل أبيـــه أو كـــان الإمـــام يوصي الى من يعلم من الله انه سوف يبقى بعده "[٨٨].

---

[86] -خميني :٥٢

[87] ظهير ١٩٨٣ ٦٥ – ٦٦ .

[88] - الكاتب ٢٠٠٥ :١٢٧ .

وبدل الاعتراف بالخطأ، وتصحيحه ابتدع علماء التوريث عقيدة "البداء" التي تنسب الجهل والسهو إلى الله سبحان وتعالى، لا الى انفسهم، للخروج من هذا المأزق الخطير !
كيف ؟

إن الله نشأ له رأي جديد فأعطى الإمامة لموسى بن جعفر بدل إسماعيل ! "فقد حدث أن إسماعيل ، وهو الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق، قد توفي في عهد أبيه، فانتقلت الإمامة إلى أخيه موسى بن جعفر، الابن الاصغر للصادق . وهذا التغيير في مسار الإمامة التي هي منصب إلهي يسمى بداءا حصل لله، فانتقلت الإمامة الإلهية بموجبه من إسماعيل إلى موسى بن جعفر ومن ثم إلى أولاده ولم تأخذ طريقها الطبيعي الذي هو انتقال الإمامة من الأب إلى الابن الأكبر" [٨٩].

ويردد الشيعة عند دخول مرقد الإمامين العاشر والحادي عشر المدفونين في سامراء شمال بغداد دعاء يبتدئ بـ "يا من بدا لله في شأنكما" . ولكن المربك حقا هو توجيههم الدعاء إليهما وليس إلى السابع من الأئمة موسى بن جعفر الذي حل محل إسماعيل حسب "البداء "!.ولما كانت عقيدة البداء تستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله، فقد عدّها علماء المسلمين من أعظم الكفر حتى ولو جعلها علماء التوريث من أعظم العبادات.

وأما القول بأن الإمام لا يغسله إلا إمام!، فلم تنطبق هذه الصفة على الإمام الثامن الرضا الذي لم يغسل أباه موسى الكاظم بعد وفاته :حيث توفي الكاظم في بغداد وكان الرضا في المدينة.

وأما أن الإمام لا يموت حتى يعلم من يكون بعده بوصية من أبيه، فقد قبل الرضا ولاية العهد من المأمون الخليفة العباسي المشهور الذي لم يكن إماما، ولا أبا للرضا، ومات الرضا في سفره ولم يوص لابنه محمد الجواد. وبينما كان الإماميون يثبتون إمامة الرضا توفي في خراسان ودفن في مدينة مشهد سنة ٢٠٣ هـ وترك ابنه محمد الجواد وهو ابن سبع سنين، ولم يوص له، وما كان الله ليعين طفلا لقيادة المسلمين[٩٠].

وقد أدّى عدم انطباق الصفات على أي من الأئمة، إلى انقسام الشيعة إلى فرق وطوائف زادت عن الثلاثمائة فرقة، منها: الكيسانية والإسماعلية، والعلوية، والقرامطة، والدروز والشيخية ..الخ وأهمها الطائفة الاثنى عشرية

الطائفة الاثنى عشرية:

ينتمي أكثر شيعة اليوم إلى الطائفة الإمامية الاثنى عشرية.
وقد ظهر مصطلح الاثنى عشرية في القرن الرابع الهجري في زمن الحكم البويهي. و تعتقد طائفة الاثنى عشرية بالتعيين الإلهي لاثنى عشر إماما من أهل بيت علي ليكونوا هم أهل الحكم في الدين والدنيا وبطريقة وراثية وهم :

تسلسله	اسم الإمام	لقبه	مدة إمامته من إلى سنة ميلادية
١	علي بن ابي طالب	أمير المؤمنين	٣٠ سنة (٦٣٢ – ٦٦١)
٢	الحسن ابن علي ابن أبي طالب	المجتبى	١٠ سنوات (٦٦١–٦٦٩)

[89] -م – الموسوي ١٩٨٧ ١٤٨ .
[90] لمزيد من التفصيل انظر الكاتب ٢٠٠٥ :١١٩-١٦١ .

٣	الحسينابن علي ابن أبي طالب	الشهيد	١١ سنة (٦٦٩–٦٨٠)
٤	علي ابن الحسين	زين العابدين	٣٥ سنة (٦٨٠ – ٧١٣)
٥	محمد ابن علي	الباقر	١٩ سنة (٧١٣–٧٤٣)
٦	جعفر ابن محمد	الصادق	٣٤ سنة (٧٤٣–٧٦٥)
٧	موسى ابن جعفر	الكاظم	٣٥ سنة (٧٦٥–٧٩٩)
٨	علي ابن موسى	الرضا	٢٠ سنة (٧٩٩–٨١٨)
٩	محمد ابن علي	الجواد	١٧ سنة (٨١٨–٨٣٥)
١٠	علي ابن محمد	الهادي	٣٣ سنة (٨٣٥–٨٦٨)
١١	الحسن ابن علي	العسكري	٦ سنوات (٨٦٨–٨٧٤)
١٢	محمد ابن الحسن	المهدي/الغائب/ القائم	ممتدة فهو حي مرتقب الظهور

يرى علماء التوريث أن جميع هؤلاء الأئمة قتلهم الخلفاء المسلمين بالسم،عدا استشهاد علي ابن أبي طالب وابنه الحسين . وكان المهدي هو الناجي الوحيد الذي اضطر إلى "الغيبة " خوفا من السلطة العباسية الحاكمة آنذاك، وهو طفل، في سرداب في سامراء سنة ٢٦٠ هـ أي منذ مايقرب من ١٢ قرنا! . وستستمر حياته إلى يوم ظهوره في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا، ولذلك يذكر المظلومون من أتباع الطائفة الاثني عشرية دعاء "عجّل الله فرجه" بعد ذكراسمه، ويختصرونه في الكتابة بـ "عج". وتشكك مصادر مرجعية شيعية كثيرة في وجوده أصلا كما أسلفنا.

الغيبة لب النخبوية:

أصابت النخبة، سلسلة إحباطات سياسية متكررة، وقنوط تاريخي دائم، بعد فشل كل ثورة ضد الدولة الإسلامية يساندها الفرس. أدى هذ الاحباط واليأس إلى نشوء نظرية الغيبة المرتبطة بالسرية والحفاظ عليها. والسرية أو الطلسمية هي جزء رئيسي من الفلسفة (العرفان) والتصوف (الروحانية) الذين لهما علاقة عضوية بالتشيع الدخيل. ففكرة التشيع الدخيل تؤمن بأن الإمام السابق يسلم، شخصيا، الإمام الذي بعده **الأسرار** السماوية اللدّنية التي تسلمها من الرسول ﷺ " إن وجود المعتقدات السرية في هذا التشيع يترتب عليها بعدان دينيان : أولاهما أن الوصول إلى الإمام لا يعتمد على إرادة أي شخص، وإنما عن طريق إرادة عليا التي هي لب النخبوية. وثانيهما لا بد من إجراءات تصون هذه الأسرار بالخداع الفكري أو وضع القيود على المؤمنين "[٩١].

وبسبب الإخفاق السياسي المتكرر، جعل الفرس سلطة الأئمة سلطة " روحانية" وليست دنيوية. والروحانية تعبير ليس له مثيل في القرآن أو لغة العرب، ويطلق عادة على عالم الدين عند الفرس. ومن هنا جاء لقب الروحاني أو روح الله، مثال ذلك روح الله خميني. أما الغيبة أو السرية والاحتجاب عن الناس، فهي عرف ثقافي معروف عند الفرس، لإضفاء التقديس والهيبة على القيادة، التي هي ألاساس آلاخر للنخبوية . لذا شاع في بلاد فارس حكم بيوتات قليلة دام الحكم فيها ولم يخرج منها.

[91] RICHARD Y1995 :58-

عندالفرس: الدين والملك في بيت واحد.

إن حصر الحكم في " بيت واحد" واعتبار أن حكم من سواه حكم غير شرعي وباطل، هو اعتقاد مارسته طبقة الكهنوت المجوس في زمن الدولة الساسانية، التي أكدت على الطبيعة الإلهية للملوك، وأنهم ظل الاله في الارض وأن الدين والملك يجب أن يكونا في بيت واحد.
" كان الفرس في الديانه الزرادشتية القديمة يعظمون الملوك . فهم ينسبون الدين إلى زرادشت، لكنهم يركزون على الإله "أهورا مزدك " ونائبه على الأرض الملك، الذي اعتبروه ظل الإله على الأرض، وأن إحدى وظائفه : الوصية لمن سيخلفه.
وقد احتفظت وسيطرت الدولة الساسانية على أمرين :
(١)الاحتفاظ بلقب الأشراف(السادة) للسلالة الحاكمة حصرا .
(٢) ان هذه السلالة الحاكمة هي المسؤولة عن تسمية من سيخلفها في الحكم .
كما اعتمدت في حمايتها على قوتين:
(أ) جيش مرتزق يقوده ضباط أشراف لكنهم أقل درجة في الشرف من السلالة الحاكمة.
(ب) طبقة الكهنوت الملقبين بالمجوس، ومن وظائفهم التأكيد على الطبيعة الإلهية للملوك ورئاسة القضاء وجمع الضرائب، الأساس الأقتصادي للامبراطورية.وكانت لها سلطة سياسية تظهرعندما عندما ينحى الملك بطريقة لا تسمح له بتسمية من سيخلفه، فيسمي الكهنوت الخليفة من سلالة الملوك نفسها.لذا توحد الدين بالسياسة في الدولة الساسانية"[٩٢] .

وقد سحبوا هذه النخبوية وحكم البيت الواحد، المعمول به في النظام السياسي الساساني على بيت علي بن أبي طالب . ويعتقد القائلين بحصر الحكم في بيت واحد أن النبي محمد الذي لم يكن له ولد لوراثته، قد أوصى بالإمامة لابن عمه وزوج ابنته فاطمة علي بن أبي طالب بعد حجة الوداع عند مكان قريب من مكة يسمى "**غدير خم**" في جمع من الصحابه يقدره مراجع التشيع الدخيل بحوالي ١٢٠ ألف صحابي[٩٣]. خطب الرسول ﷺ فيهم خطبة غدير خم إلى أن قال :من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ثم نزلت الآية ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ (المائدة: ٣).

بايع الصحابة جميعهم، أبا بكر بالخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ إلا قلة لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة. ويعتقد أصحاب التوريث بأن هؤلاء الصحابة المبايعين قد خانوا الولاية بعدم تقديمهم علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، فهم جميعا كفرة إلا ثلاثة وهم : المقداد بن الاسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري . يقول كليني في كتاب الروضة "كان الناس أهل ردة بعد النبي إلا ثلاثة المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي"[٩٤] وفي رواية خمسة أو سبعة أصحاب فقط . ويصفونهم بـ"**المنتجبين**" عند الدعاء.[المنتجبين = المختارين المفضلين على سواهم لنفاستهم]

ولكن تبرز هنا أسئلة استنكارية لا بد منها :

- كيف يمكن لأكثر من ١٠٠ ألف صحابي أن يتواطؤوا على السكوت عن أمر نبوي

---

[92] - ROBERTS.J.M 1992 :252-254

[93] هذا العدد من الصحابة في حجة الوداع وليس في غدير خم .

[94] - ظهير١٩٨٣ : ٤٥ .

أمرهم به علنا وأمام الأشهاد ؟.

- لمَ لمْ يحتج الإمام علي عند بيعة السقيفة بوصية غدير خم أبدا ؟
- لمَ لمْ يذكر الإمام علي هذه الولاية الإلهية ولا حتى تلميحا في نهج البلاغة ؟
- كيف لإمام مثل علي أن يتنازل عن أمر إلهي؟

وقد أجمعت كتب السير والتاريخ على أن النبي ﷺ بعد رجوعه من حجة الوداع ، مرض . وأثناء مرضه الذي توفى فيه قدم أبا بكر ولم يقدم عليا للصلاة بالمسلمين ، والصلاة هي أعظم رمز للإمامة في الدين!.

وقد نفى علي بن أبي طالب العصمة عن نفسه، في ظرف الفتنة الكالح والتباس وجه القرار الصحيح، عندما طرد قتلة الخليفة الراشد الثالث، الذين أرادوا مبايعته، فقال لهم : " دعوني، والتمسوا غيري، **فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان...** وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيرا خير لكم مني أميرا "[٩٥] . ونسف علي دعوى التعيين الإلهي له من أساسها عندما بايع الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان. ولم يذكر في فترة خلافته وهو في السلطة أن هؤلاء الثلاثة قد غصبوا الخلافة منه !. فيكون علي قد قام بالمبايعة ليس عن عجز ولاعن تقية ولا خيانة وإلا لم يصلح للإمامة وعند خلافه السياسي مع معاوية، لم يحتج علي في أي من رسائله الكثيرة إلى معاوية بحادثة غدير خم طيلة فترة خلافه معه حتى يوم استشهاده. والأبلغ أن آية " اليوم أكملت لكم دينكم " مدنية أي نزلت في المدينة ولم تنزل في مكة حيث غدير خم[٩٦] .

اتسمت فترة خلافة على بن أبي طالب(٣٦-٤٠هـ) بالحروب الداخلية المتعددة التى طالبته بالقصاص من قتلة عثمان بن عفان قبل إعطائه البيعة. كما أن خذلان شيعته له منعه من الاستمرار في الفتوح التي بدأها الخلفاء الثلاثة قبله . اغتيل علي في مسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ ودفن في مدينة النجف(الواقعة ١٢٠ كم جنوب بغداد).وتعد النجف عند الشيعة من أقدس المدن في العالم .

بويع الحسن بن علي بن أبى طالب للخلافة لفترة قصيرة ٦ أشهر فقط، ولم يكن لأبيه اي دور في انتخابه ولم يكن تعيينه الهيا والا لما تنازل عن الخلافة مختارا وبايع معاوية خليفة للمسلمين، بعدما رأى أن معاوية خير له من شيعته الذين ابتغوا قتله وأخذ ماله. ولم تجر الإمامة الوراثية في أي من أولاد الحسن، بل انتقلت الى أخيه الحسين وبعض أولاده!.
لماذا؟ هل لأنه سيد أصلح الله به فئتين عظيمتين متقاتلتين بين المسلين كما وصفه جده؟!.
ان النخبة لاتذكر الحسن الا قليلا ومنعت الامامة في نسله وهي لاتحبه مطلقا وتعده رمزا لوحدة المسلمين وقد أطفأ نار الصراع بينهم، التي تحرص النخبة على إدامة اشتعاله.

التوابون الجدد:

وخلافا لسياسة التوريث، ثار الحسين على سياسة بني أمية في توريث الحكم . فقد اعتبر الحسين مبايعة يزيد بن معاوية الذى عينه أبوه وليا للعهد غير شرعى ومخالفا للشورى التى ارتضاها المسلمون.

---

[95] -عبدة ٢٠٠٨ :١٤٦ .

[96] لمزيد من التفصيل انظر مقال للاستاذ نوري المرادي على موقعه الالكتروني بعنوان "غدير خم ..ام غدير وهم" .

بايع أهل الكوفة الحسين ودعوه لمحاربة يزيد فخرج لمقاتلته. وأصر الحسين على هذا الخروج رغم أن الكثيرين ومنهم ابن عباس من أل البيت نصحوه بعدم الخروج ! لماذا ؟ جاءت الأخبار أن شيعته، وإن زاد عددهم على ١٨٠٠٠ رجل من أهل الكوفة ممن بايعوه ودعوه للخروج إليهم، قد تخلوا عنه وقتلوا مبعوثه : أبن عمه مسلم بن عقيل!. خذل أهل الكوفة الحسين، المعارض للتوريث، وتخلوا عنه بعدما علموا بمجيء جيش يزيد من الشام بقيادة عبيدالله بن زياد . يذكر شيخ الطائفة المفيد فى كتابه(الإرشاد) قول الحسين وهو واقف في كربلاء يذكرهم ببيعتهم له:

" أيا شيث بن ربعي ، وياحجار بن أبحر، ويا قيس بن الأشعث، ويا
يزيد بن الحارث [أسماء شيعته] ألم تكتبوا لي أن قد أينعت الثمار ؟
واخضر الجناب؟إنما تقدم على جند لك مجندة! .

كما يذكر المفيد الدعاء الذي دعاه الحسين على أتباعه الذين خذلوه والذي أدى إلى قتله " ثم رفع الحسين عليه السلام يده داعيا :

اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ،
فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا"[٩٧] .

ومع هذا حارب الحسين بشجاعة نادرة، من اجل تثبيت مبدأ الشورى– منهج الاسلام العظيم في تداول السلطة، ومنع الظلم والاستبداد .

إن هذه المواقف تضع ألقائلين بالتعيين الالهي وتوريث الامامة في إرباك شديد عند محاولة التوفيق بينها، كما أوردها الاستاذ الخراشي في اسلوبه المنطقي الواضح " لقد تنازل الحسن بن علي لمعاوية وسالمه، في وقت كان يجتمع عنده من الأنصار والجيوش ما يمكنه من مواصلة القتال. وفي المقابل خرج أخوه الحسين على يزيد في قلة من أصحابه، في وقت كان يمكنه فيه الموادعة والمسالمة. فلا يخلو أن يكون أحدهما على حق، والآخر على باطل: لأنه إن كان تنازل الحسن مع تمكنه من الحرب (حقاً) كان خروج الحسين مجرداً من القوة مع تمكنه من المسالمة (باطلاً)، وإن كان خروج الحسين مع ضعفه (حقاً) كان تنازل الحسن مع (قوته) باطلاً!.
وهذا يضع المراجع الفرس في موقف لا يحسدون عليه! لأنهم:

- إن قالوا إنهما جميعا على حق، جمعوا بين النقيضين، وهذا القول يهدم أصولهم.
- وإن قالوا ببطلان فعل الحسن لزمهم أن يقولوا ببطلان إمامته، وبطلان إمامته يبطل إمامة أبيه وعصمته، لأنه أوصى إليه، والإمام المعصوم لا يوصي إلا إلى إمام معصوم مثله حسب مذهبهم.
- وإن قالوا ببطلان فعل الحسين لزمهم أن يقولوا ببطلان إمامته وعصمته، وبطلان إمامته وعصمته يبطل إمامة وعصمة جميع أبنائه وذريته، لأنه أصل إمامتهم وعن طريقه تسلسلت الإمامة، وإذا بطل الأصل بطل ما يتفرع عنه!.

بعد مقتل الحسين ندم الذين خذلوه، وأعلنوا التوبة عن فعلتهم الشنيعة، وخصوصا أنهم هم الذين دعوه للمجيء إلى الكوفة ووعدوه بالقتال تحت إمرته. ومما زاد أمرهم سوءا أنهم لم

[97] -ظهير ١٩٨٣ :٣٠١- ٣٠٢ .

يستجيبوا له حتى بعد مناشدته لهم . وللتكفير عن ذنبهم، شكلوا فرقة انتحارية، على حد تعبير الاستاذ محمد الجابري ، بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي. سارت الفرقة عام ٦٥ هـ لمجابهة الجيش الأموي بقياد عبيد الله بن زياد أيضا، الذي قتلهم قرب دمشق عن آخرهم تقريبا . وسمي هؤلاء في التاريخ " التوابون ".[٩٨].

أطلق محمد باقر طباطبائي الحكيم بعد ١٤ قرنا اسم التوابين على إحدى فرق فيلق بدر الذراع العسكري" للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق" الذي يرأسه الحكيم نفسه. توابو الحكيم هم الجنود الذين أسروا إبان الحرب الإيرانية–العراقية (١٩٨٠–١٩٨٨) .وقد سماهم التوابين بعد صدور فتوى دينية منه تؤكد توبتهم من حزب البعث، وأصبحوا جزءا من قوات فيلق بدر الذي "أصبح جزءا من الحرس الثوري الإيراني الجناح الثاني للقوات المسلحة الإيرانية.دربت القوات الإيرانية وسلحت ونشرت فيلق بدر. فكان هناك دائما حوالي ألف جندي من هؤلاءعلى خطوط الجبهة في دهلران وعيلام وبختران وكردستان العراق "[٩٩].

جاء بعد الحسين ابنه زين العابدين علي الذي كان على علاقة جيدة ببني أمية، فكان يدعو للمرابطين على الثغور أيام يزيد بن معاوية التي يصف شريعتي دولته بالطغيان! "لقد كان الإمام زين العابدين يدعو لأهل الثغور في ظل حكومة يزيد وطغيان بني أمية"![١٠٠].

جاء من بعد علي بن الحسين ثمانية أئمة كلهم من نسل الحسين حصرا دون غيره من أبناء الإمام علي السبعة عشر. وقد ولد جميع هؤلاء الأئمة من زواج الحسين من شهربانو بنت كسرى يزدجرد الثالث الذي فقد ملكه في معركتي القادسية ونهاوند المشهورتين في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.

وانتهت سلالة الأئمة من الحسين بن علي بغياب الإمام الثاني عشر محمد المهدي بن الحسن العسكري الملقب بصاحب الزمان أو القائم من آل البيت والذي اختفى وهو طفل صغير في سرداب في سامراء منذ ١٢ قرناً خوفا من السلطة العباسية الحاكمة – بالرغم من حسن علاقة الأئمة مع الدولة العباسية آنذاك ! ويعتقد الشيعة أنه حي و سيظهر يوماً، " فيملأ الدنيا عدلاً وقسطاً بعدما ملئت جوراً وظلماً ". يعزي الشيعة ومراجعهم الإمام المهدي بالمناسبات الحزينة ويهنئونه بالمناسبات السعيدة ويقولون بهذه المناسبات" أرواحنا له فداء " !

فما لهذه الغيبة استمرت رغم زوال الخطر عنه بقيام بعض الدول الشيعية على مر التاريخ، كالعبيديين والبويهيين والصفويين، وآخرها دولة خميني المعاصرة! ؟.

فالتشيع الدخيل إذن:

- حركة سياسية سرية تمويهية مربكة غير متماسكة، لاتعتمد الحجة والبرهان في الإقناع وكسب المؤيدين، بل على التحريض السلبي ضد مواقف سابقة متفرقة ومختلفة في تاريخ المسلمين لم يقل أو يحتج بها أبطالها في تثبيت أحقية الحكم أو الإمامة غرضها بث الفرقة والنزاع بين الشيعة وعامة المسلمين.

والتشيع الدخيل

---

[98] -الجابري ١٩٩٥ :٣٦٧ .
[99] - JABAR.F.2003 :253
[100] شريعتي ٢٠٠٢ : ٢٨٠ .

- يؤسس لنظام استبدادي وراثي محصور في بيت واحد. ويجعله عقيدة دينيـــة مقدســـة تمنع الاعتراض والاحتجاج، وهذا مناقض للشورى الواردة في القرآن الكريم، والتي ارتضاها المسلمون كآلية في انتخاب الخليفة او الإمام لإدارة الأمور العامـــة للنـــاس، والرجوع عند التنازع إلى مرجعية عليا وهي :
القرآن والسنة النبوية الصحيحة

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا.(سورة النساء:٥٩).

ولقد جاء السلوك السياسي للأئمة الكبار كعلي بن ابي طالب وولداه الحسن والحسين مطابقا لما جاءت به هذه الآية القرآنية الكريمة . فقد التزم أهل البيت بمبدأ الشورى في الحكـــم والحيـــاة وقد جاءت نظرية الفلاسفة والمتكلمين الاولين والمتأخرين القائلين بالعصمة وتوارث الـــسلطة في سلالة أهل البيت مناقضة تماما لسلوك أهل البيت . ولوكان فاتح بـــلاد فـــارس، عليـــا، ومستشاره عمر لأصاب عليا، السب والشتم بإعتباره غاصبا، ولكانت الإمامة والحكم في بيت عمر، بإعتبار ان بنته زوجة النبي، وهي من أهل البيت المذكورين في الآيات القرآنية حقا.

فهذا التشيع الدخيل

في حقيقته نظام سياسي فارسي قديم ، نقل التقدس الوراثي الذي أسبغته طبقة رجـــال الـــدين المجوس على الأكاسرة إلى النظام السياسي للمسلمين في نهاية العهد الاموي وبداية العـــصر العباسي وقد كان المجوسي المستعرب روزبه دازويه(عبد الله بن المقفع) من اكبر مروجـــي وناشري فكر النظام الكسروي المبني على التوريث والاستبداد وتأليه الحاكم وتقديسه فلوثوا به نظام الشورى الاسلامي وسحبوه على بيت علي ابن أبي طالب .وجريا على عادة التوريث والتقديس قاد هذا الفكر نخبة من العلماء والفلاسفة والمؤرخين على رأسها ســـلالات عائليـــة محصورة في اعداد قليلة من المراجع العليا جميعهم من الفرس .

الفصل الثالث

المرجعية :قيادة عالمية للتوجيه واتخاذ القرار

المرجعية:

قسمت النخبة الفارسية المجتمع الشيعي إلى ثلاث درجات في نظام طبقي متميز، كما في الشكل، وهي :
المراجع الدينية، والوكلاء والأحزاب، والمقلدون .

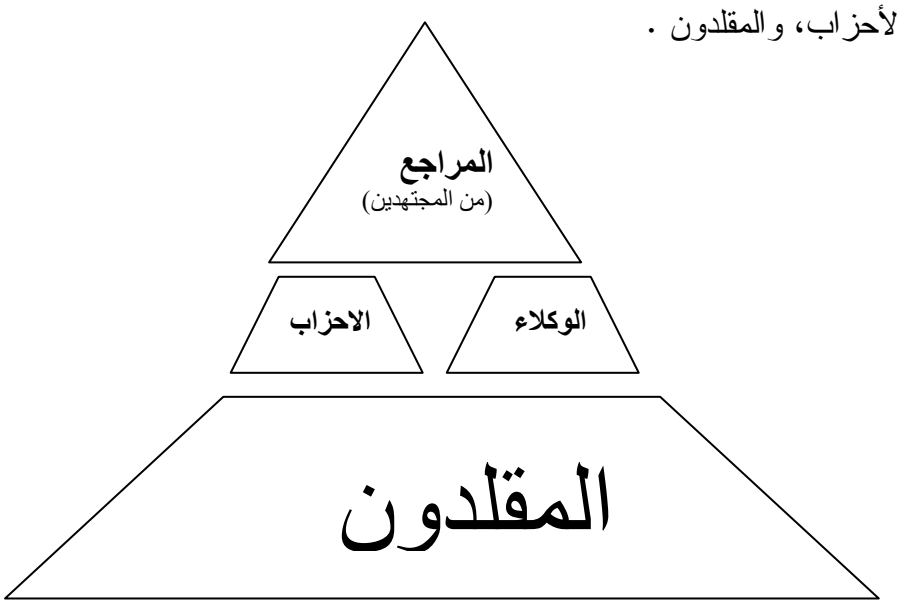

والمرجعية نظام ديني هرمي يحمل لقبا لكل درجة فيه، يبدأ تسلسل الهرم بحجة الإسلام والمسلمين، وينتهي بألقاب ضخمة مثل آية الله، ثم آية الله العظمى، يشبه إلى حد بعيد التسلسل الهرمي الديني للكنيسة الكاثوليكية البابوية .

يجلس على قمة هذا الهرم عدد من المجتهدين (الذين يغوصون في المسائل الدينية بعمق) من درجة آيات الله العظمى، يرأسهم مجتهد يحمل أضخم الألقاب كلها يسمى المرجع الأعلى، الذي يتبعه أكثر شيعة العالم، ويتم تعينه من بين المجتهدين، بطريقة معقدة يكون القول الفصل فيها، للسلطة الحاكمة في إيران.

ولما كان " الأعلى " في علم النفس هو الضمير الأخلاقي المراقب لسلوك الإنسان، فقد جعل المرجع الأعلى من نفسه المراقب والقاضي المسؤول عن مراعاة النواهي والمسموحات في سلوك وممارسة المجتمع الشيعي المتدين، ويوقع العقاب على من يخرق قواعد هذا السلوك.

يشكل المجتهدون والمرجع الأعلى ← المرجعية. والمرجعية ليست قيادة جماعية منظمة، كما قد يتبادر إلى الذهن أول مرة، وإنما هي مرجعية شخصية فردية، وترى أن التنظيم المؤسسي المنظم غير شرعي وسبب للفساد والانحراف. يقول آية الله العظمى محمد سعيد طباطبائي الحكيم، أحد الأربعة الكبار الذين يشكلون مرجعية الشيعة اليوم في النجف العراقية : "إن حصر حق القرار بمؤسسة يحمل المنحرفين على التسلل إلى تلك المؤسسة، لأنهم وحدهم

القادرون على سلوك الطرق الملتوية من الغش والرشوة والكذب والتهريج والتشنيع والتخويف.. وغير ذلك مما يترفع عنه ذوو المبادىء وأهل الاستقامة فإذا تسللوا، وسهل عليهم السيطرة على المؤسسة، واستحصال قراراتها لصالحهم بطرقهم الملتوية التي أشرنا اليها كما حصل في الشورى التي كان حصيلتها خلافة عثمان واستيلاء بني أمية- الشجرة الملعونة- على مقدرات الاسلام والمسلمين"[١٠١] !.

وعلى خطى موالي الكوفة، أفاض الاصفهاني الحكيم طعنا في بني أمية كلهم الذين منهم أم المؤمنين أم حبيبة، وهزأ بالشورى التي جاءت بصهر النبي عثمان الى الخلافة، ثم أتهم السابقين الاولين من المهاجرين والانصار التي اداروا هذه الشورى بالفساد، !. ويعتقد أن مرجعيتة الفردية فقط هي المستقيمة الوحيدة، وأن كل مؤسسات الدنيا دينية وإنسانية وسياسية : " قد انحرفت عن أهدافها النبيلة التي أسست من أجلها، بل تخلت عنها لتكون من مؤسسات الشرور والفساد أو المنسقة معهم . وأول مؤسسة في الإسلام هي مؤسسة الشورى التي كان أعضاؤها من (السابقين الأولين)، ثم مؤسسة التحكيم، ثم بقية المؤسسات المنتمية إلى فرق الإسلام . ومثل ذلك مؤسسة الفاتيكان وغيرها من مؤسسات الأديان الأخرى، ومؤسسة عصبة الأمم المنحلة، وخليفتها مؤسسة هيئة الامم المتحدة، ومجلس الأمن وما يتبعها من مؤسسات . وانظر كيف يتم التلاعب بالمؤسسات البرلمانية للدول، بل حتى مثل مؤسسة جائزة نوبل : من المسيطر عليها ؟ وإلى صالح من تعمل؟! إلى غير ذلك مما لا يحصى"[١٠٢].

أترون كيف يطلق الحكيم قوله(السابقين الأولين) ،الذي اتهمهم بالشر والفساد ،على الذين وصفهم الله تعالى بـ{وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ } (سورة التوبة:١٠٠) .

ولم يذكر الحكيم كيف يتسلل الفساد إلى مؤسسة تدار بطريقة جماعية يصعب على أفرادها التواطؤ على الغش والرشوة، بينما لا يدخل الفساد الى إدارته الفردية، بعيدا عن مراقبة الناس ؟!.

وخلافا للدرجة العلمية التي تعطيها سلطات أو مؤسسات علمية عليا، كالجامعات والمعاهد، يعطي المرجع شخصيا درجة الاجتهاد لطالبه بعد أن يكتب الطالب دراسة عن عمل قام به المرجع. أي ان الطالب يأخذ شهادته من معلمه مباشرة، وليس من المدرسة، فمثلا حصل محمد باقر الصدر على درجة الاجتهاد بدراسة عن كتاب "رياض الصالحين" لأستاذه المرجع محسن الحكيم، كما نال خميني درجة الاجتهاد بدراسة عن مرجعه البروجردي .وبفضل هذه الدراسة يحصل التلميذ من المرجعية على وظائف عليا ومساعدات مالية وحق تعيين الاخرين [١٠٣].

أما مهمة هذه المرجعية الفردية فهي : تنظيم الشؤون الدينية والاجتماعية والمالية للشيعة فى غيبة الإمام، وتجسيد تقاليد المجتمع الشيعي، وتعيين من سيخلفها في القيادة .

---

[101] - رؤوف ٢٠٠١ :٣٢٥

[102] - المصدر نفسه :٣٢٦ .

[103] - JABAR.F. 2002 : 102

المرجع :سلطة قائمة بذاتها.

إن أهم واقدس شخصية في التشيع الدخيل هوالمرجع . ولكل مرجع أتباع يسمونهم " المقلدين " يقلدون " مرجع التقليد " فيما يقول ويفعل دون مساءلته بتاتاً .

فالتقليد ليس علاقة عالم بمتعلم، كما هي الحال عند علماء المسلمين، بل هي التبعية الكاملة للمرجع في كل شيء، في الدين والاقتصاد والسياسة، ومن دون مساءلته مطلقا !. وهو تحذير واضح للجاهل من ولوج باب العلم . كما أن التقليد ليس علاقة إنسان بإنسان، بل علاقة سيد وعبد، وهو جزء من التراث الفارسي الغابر " في التراث الايراني القديم ثمة تعبير للشاعر الفردوسي يقول فيه(كلّنا مماليك واتباع خسرو) وقد بلغت تلك التبعية والتقليد حدا يصفه الشاعر سعدي بالقول: إذا قال (السيد) للنهار أنه ليل ! فعليه، أي العبد، أن يقول ما أحلى القمر !"[١٠٤]. فالعلاقة بين المرجع والمقلد لاتقوم على أساس حقوق متبادلة وواجبات متكافئة، بل على أساس تبعية مطلقة للمرجع ورضوخ تام له . إن علاقة المرجع أو" السيد" بالمقلد هي علاقة تسلط وقهر ووصاية عامة، وإذا أراد المقلد المحافظة على وجوده فلا بد له من الانتقال من مرجع إلى مرجع آخر.

إن المؤمن الشيعي ليس له رأي في ما يقوله أو يفعله المرجع باعتباره أنه الأعلم، مما يجعل الشيعي يحس بالجهل والعجز والنقص. لذا أبقت المراجع على هذا الإحساس الدوني لدى جماهيرها من أجل إدامة السيطرة عليها ؟ "لا شك أن الفئة المتسلطة، بغية استمرار تسلطها، تعمل على تغذية عقدة النقص والعجز لدى الجماهير حتى تظل على استكانتها وتبعيتها، وحتى لا تحاول اتخاذ زمام المبادرة في تقرير مصيرها بنفسها"[١٠٥]. وهكذا تتفرد المرجعية برأيها في شؤون المقلدين، فهي محتكرة لآرائهم، مستبدة بهم، غير مسؤولة تجاههم، بل وتحجب العلم عنهم . فلا يعرف عوام الشيعة، حتى المثقفين منهم، مذهبهم ومعتقداتهم الأصلية ! لأنها محجوبة عنهم ومختصة في كتب سرية يطلع عليها المراجع فقط، دون غيرهم وبأمر من الأئمة " ففي الأصول من الكافي (ج٢ ص٢٢٢) بسنده عن سليمان بن خالد قال:

يا سليمان أنتم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله " [١٠٦].

إن أمهات الكتب الشيعية كانت محجوبة عن عامة الشيعة. حيث يلاحظ المرء خلو دور النشر العالمية والمكتبات العامة من أمهات الكتب التي انبنى عليها التشيع الفارسي، إلى حين تسنمت الأقلية الفارسية الحكم في العراق بعد الاحتلال الامريكي له في ٩ نيسان ٢٠٠٣ . فالمرجعية تعتقد أن اطلاع عامة الناس على علومهم وفلسفاتهم قد يكون سببا لثورة المقلدين عليهم ، إذ العلم هو أحد أهم أسباب التحرر. فهي تعمل جاهدة على إبعاد الجماهير عن هذه العلوم والفلسفات لإبقائهم جهالا. وهذا يضمن لها استمرار تسلطها عليهم وتبعيتهم لها فقد شن هبة الله الشهرستاني هجوما على سكوت العلماء عن تبيان الحق في مقال له في مجلة "العلم" تحت عنوان (علماؤنا والتجاهر بالحق) فيقول: " فصار الفقيه يتكلم من خوفه بين الطلاب غير ما يتلطف به بين العوام وبالعكس، ويختار في كتبه الاستدلالية غير ما يفتي به في الرسائل العلمية، ويستعمل في بيان الفتوى فنونا من السياسة والمجاملة خوفا من هياج العوام"[١٠٧].

---

[104]- شريعتي ٢٠٠٢ :٣٠٧ .
[105] - حجازي ١٩٨٦ :٤٤ .
[106]- الزرعي ١٩٨٣ :٥٠ .
[107] -الوردي ٢٠٠٩ :٢٥٦ .

ولكن :

قد جعل الإسلام العقل والحرية مناطي التكليف . كما أن الاجتهاد واجب فردي في دين الإسلام . وكان الحث على القراءة أول آية نزلت في القرآن ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (سورة العلق:١) . ويرى الإسلام أن العلم من أهم أسباب التحرر من الاستعباد، لذا صار الاسلام علما مباحا متاحا يدعو أهله إلى الاجتهاد وعدم تقليد الآباء، حيث أن المساءلة يوم القيامة فردية {وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا }(سورة مريم:٩٥) . وحث النبي المسلمين كافة، أفرادا وجماعات، على نشرالعلم وتبليغه ولو بآية واحدة. لذا ترى توفر كتب الصحاح في الحديث، كصحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرها، جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم في كل مكتبة ومسجد بحيث يستطيع كل إنسان الاطلاع عليها سواء كان مسلما أو غير مسلم.

وزيادة في الاستعلاء يحتجب المراجع عن الناس ولا يتصلون بهم مباشرة، بل لكل واحد منهم وكلاء، دونه في الدرجة، موزعون على كافة أنحاء البلاد في شبكة إدارية بشرية منظمة مهمتها ضبط العلاقة بين المرجع والمقلدين في شوؤن الحياة مثل جمع الخمس، والفتيا، وتوصيل الرسائل والتعليمات في الشؤون العامة. يعطي المقلدون المال للمرجع لقاء اجتهاده الديني، وبذلك تتناسب قوّة المرجع طرديا مع عدد مقلديه. فالمرجع إذن سلطة قائمة بذاتها تربط المقلدين – عن طريق الوكلاء– به شخصيا وليس بالمرجعية ككل.

ومن هنا فإن المرجع قيادة سياسية عليا، توظف شبكة بشرية من المعتمدين والوكلاء الثقات لايصال الاوامر والتعليمات والتبليغات الخطيرة والمهمة بصورة شخصية وشفوية. ولاتستخدم القيادة وسائل الاتصال الحديثة العامة كالبريد والتلفون لئلا تقع بايدي السلطات "الغريبة"[١٠٨] خصوصا اذا كانت هذه السلطات قوية، بل تستخدم هذه الشبكة البشرية بصورة مباشرة باعتبار ان هؤلاء الوكلاء رجال دين ظاهريا، وحقيقتهم نشطاء سياسيين منظمين يتلقون الاوامر من المرجع. ودورهم السياسي النشط في كل من العراق المحتل ولبنان، مثال على مانقول.

سلسلة المراجع العليا كلها من بلاد فارس :

أخذت المرجعية شكلها الحالي بعد رحيل كثرة من العوائل الدينية الفارسية إلي العراق في فترة الحكم الأفغاني لإيران (١٧٢٢–١٧٢٩) واستقرارها في النجف، حيث مرقد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب..وكان أول عالم فارسي استقر في النجف هو محمد باقر أكمل وحيد بهبهاني (١٧٠٥–١٧٩١)[١٠٩].

وكانت النجف منطقة قاحلة تقع على حافة الصحراء، إلى أن شق السلطان العثماني سليم الأول (المتوفى:١٥٧٤) ترعة من نهر الفرات لإروائها، وقام على إدامة هذه الترعة الصفويون والعثمانيون في فترات مختلفة. النجف مشهورة بكثرة سراديبها (أبنية تحت الأرض) وأزقتها الضيقة. وقد اضطر اهلها ربما للهروب من الحر الصحراوي الشديد الى بناء هذه السراديب، أو لأسباب أمنية كما يصفها الاستاذ حنا بطاطو، مما اضطرهم الى "تكوين بلدة سرية في النجف حيث صار جزء من هذه المدينة يقبع عميقا في اعماق الارض، فلكل بيت قديم غرفة محفورة تحت الارض (السراديب) والتي تكون أحيانا بعمق ثلاثة أو أربعة ادوار موصولة

[108] السلطة الغريبة حسب نظرية الامامة الوراثية : هي كل سلطة يقودها من لايؤمن بهذه النظرية.

[109] - ROY.O 1999 :170 .

بغرف البيوت الاخرى بواسطة ممرات (جوفية) بحيث يمكن للانسان ان ينتقل من أقصى المدينة الى أقصاها دون أن يرى" [110].
وبعدما فشلت الدولة العثمانية، رغم محاولاتها الكثيرة، في دمج الشيعة بالأمة المسلمة الكبيرة. أبرمت مع ملوك القاجار معاهدة أرض روم في عام ١٨٤٧، الذي صار الشاه بموجب أحد بنودها هو راعي الشيعة في العالم، والمسوؤل عن العتبات في مدينتي النجف وكربلاء. فأصبح القرار بيده في تعيين المراجع العليا للشيعة، فمثلا بعد وفاة المرجع الأعلى بروجردي في آذار ١٩٦١ أرسل الشاه رضا بهلوي رسالة تعزية إلى محسن الحكيم في النجف مشيرا أنه أصبح المرجع الأعلى للشيعة في العالم[111].

وأعطت هذه المعاهدة، المراجع امتيازات سياسية خاصة، فصارت المرجعية في النجف في زمن الدولة العثمانية سلطة شبه مستقلة عن الدولة والحكومه المركزية وتحت الإشراف المباشر للشاه. ومنذ ذلك الحين بدأ بناء الحسينيات، وان اول حسينية بنيت كان في عام ١٨٧٠ م في الكاظمية في بغداد .والحسينية منسوبة الى الشهيد الحسين وهي مكان تعبد وتجمع الشيعة في مقابل مساجد الله عند الغالبية العظمى للمسلمين . وبدأوا كذلك في بناء المدارس خارج النظام التعليمي للدولة العراقية الحديثة منها مدرسة الشرافة الايرانية في الكاظمية ايضا مما اضطر القومي العلماني ساطع الحصري، مدير التعليم انذاك، الى غلقها مع كل المدارس الاخرى التي لاتخضع للنظام التعليمي المركزي المعمول به. وكان هذا الغلق سببا لإتهامه الشديد والمتكرر بالطائفية (طائفي سني!).

وعلى ضوء تعاليم كتاب أردشير الذي يجعل طبقة رجال الدين خادمة للملوك، عقد المراجع مع الملوك الصفويين "اتفاقا وافقوا بموجبه على الإقرار بالنظام الملكي طالما ظل العرش مدافعا عن الهوية الشيعية والعالم الشيعي " [112]. ولم يخرج عن هذا الاتفاق التاريخي إلاّ خميني الذي جعل المصالح الفارسية والتشيع تحت قبضة رجال الدين مباشرة .

كما ان الإرث الكبير للإمبراطورية الفارسية وتفوقها في الشوؤن السياسية والإدارية، جعل من المراجع قوة مسيطرة ومهيمنة، ومنذ ذلك الحين صارت المرجعية بغضّ النظر عمن يحكم بلاد فارس هي الراعية الحقيقية للأقليات الشيعية في العالم الإسلامي، وظلت تسعى دائما لفصل هذه الأقليات عن محيطها الطبيعي وجعلها أحد الركائز الرئيسية في السياسة الخارجية الفارسية.

وفي الأصل، هناك سبب ثقافي، ديني لهيمنة المراجع الفرس، وهو أن كتب الحديث الأربعة المعتبرة عندهم، والتي يستقي منها علماء الشيعة والمعروفة بـ(كتب الرجال)، ألّفها كلها مراجع فرس، وهي:

الكافي **في علم الدين** لـ كليني	الاستبصار لـ طوسي	تهذيب الأحكام لـ طوسي	**من لا يحضره الفقيه لـ ابن بابويه قمي**

[110] -بطاطو-٢- ١٩٩٦ :١٢٣ .
[111] -- JABAR F 2003 :123
[112] -نصر ٢٠٠٧ :١١٧ .

وهذه الكتب تعادل عند الشيعة كتب البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عند عامة المسلمين.

كما يرى الفرس انهم ارقى حضارة من العرب، خصوصا وقد كان العرب تحت الحكم الكسروي مدة أثنا عشرقرنا قبل الاسلام. لذا يعدون أنفسهم "السادة " التي يجب ان يدين لهم الاخرون حتى بعد الاسلام الذي جاء لمحاربة هذه السياسات العنصرية المتعالية.

إن الذي لايمكن ادراكه هو كيف ان دينا قاده العرب، ونبيه عربي، وكل الائمة عرب تقودة قيادة الغالبية العظمى منها من الفرس، وان القيادة العليا محصورة دائما في الفرس دون احتلال عربي واحد لهذه القيادة العليا؟!.
إن سلسلة المراجع العليا للشيعة ومنذ القرن التاسع عشر كلها من بلاد فارس[113] ليس بينهم عربي واحد، ويدعون النسب العلوي(سادة) ويلبسون العمامة السوداء العلامة المميزة لـ " العالم السيد " باستثناء أنصاري وهم :
الشيخ مرتضى أنصاري(متوفى: ١٨٦٤)
السيد محمد مرزا حسن شيرازي (متوفى: ١٨٩٥م)
السيد محمد كاظم خراساني (متوفى:١٩١١)
السيد كاظم يزدي (متوفى:١٩١٩)
السيد محمد تقي شيرازي (متوفى:١٩٢٠)
السيد أبو الحسن أصفهاني (متوفى: ١٩٤٥م)
السيد حسين بروجردي(متوفى:١٩٦١) ،
السيد محسن طباطبائي الحكيم (متوفى:١٩٧٠م)
السيد أبو القاسم خوئي (متوفى: ١٩٩٢)
والسيد علي سيستاني المرجع الأعلى لشيعة العالم اليوم.[114] .

اغتيال الصدر الثاني: المرجع الأعلى الذي لم توافق عليه إيران:

إن المرجع الأعلى العراقي الوحيد هو محمد محمد صادق الصدر(الصدر الثاني)، وأصله من جبل عامل جنوب لبنان . وجده الأعلى عبد الحسين علي الكركي، كان من أوائل الملتحقين بالبلاط الصفوي في القرن السادس عشر. نِشأ وعاش الصدر الثاني في العراق وصار مرجعا أعلى من دون موافقة إيران، وبدعم مباشر من الحكومة العراقية ومن الرئيس العراقي صدام حسين (١٩٣٧– ٢٠٠٦) . وخلافا للمراجع الفرس فقد اتصل الصدر الثاني مباشرة بالناس ولم ينعزل عنهم، كما كان يقيم صلاة الجمعة في العراق على عهد الرئيس الراحل صدام حسين.

اغتيل الصدر الثاني مع نجليه في النجف في ١٩/٢/ ١٩٩٩ . وتشير أصابع الاتهام في اغتياله إلى مؤسستين فارسيتين هما: " المجلس الأعلى للثورة الاسلامية" (المجلس الاعلى) في العراق الذي يرأسه محمد باقر طباطبائي الحكيم، ومؤسسة الخوئي في لندن التي يرأسها عبد المجيد خوئي نجل المرجع الاعلى أبي القاسم خوئي. قادت هاتان المؤوسستان الفارسيتان حملة تحريضية ضد المرجع العراقي ففي " /١٢/١٩٩٨ صدر في إيران كرّاس بعنوان "مرجعية السيد محمد الصدر" من "إعداد لجنة عمل الداخل" ليوزع بشكل "خاص ومحدود" على الكادر "المثقف والجهادي"، غير أن الجهة التي كانت وراءه لم تفصح عن هويتها. و

[113] بقيت بلاد فارس معروفة بهذا الاسم حتى عام ١٩٢٥ عندما غيّر الشاه رضا بهلوي اسمها إلى إيران.
[114] - JABAR.F 2003 Table 9-1 : 173- 174

شنت الجهة السرية التي أصدرت الكراس " هجوما صاعقا على الصدر الثاني، فأساءت إلى شخصه ونالت من سمعته وشككت في مرجعيته وتحركه، وكالت له من التهم ما لم ينله أي مرجع آخر"[١١٥]. وقال علي العضاض " ممثل المجلس الاعلى في جنيف في المذكرة التي قرأها أمام لجنة حقوق الإنسان في جنيف، في معرض حديثه عن جرائم الحكومة العراقية بحق العلماء الشيعة: "إن الحكومة العراقية تساند رجل دين آخر(يقصد الصدر الثاني) الذي لا يعترف به رجال الدين الشيعة ولا يصلح للمرجعية" [١١٦]. وقد شنت مؤسسة الخوئي حملة إعلامية تحريضية واسعة النطاق ضد الصدر الثاني في مجلتها "النور" . ففي أعقاب مقتل مرتضى بروجردي، صرح خوئي لجريدة" الحياة" بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٤ " تم في إطار تصفية المنافسين المحتملين لمرشح السلطة، ترشيح مرجعا دينيا أعلى، وهو السيد محمد الصدر، المتعاون مع السلطة التي تستغل اسم عائلة الصدر لفرضه مرجعا، مع أنه غير مؤهل " [١١٧].

وبعد يومين من اغتيال الصدر الثاني تظاهر أتباعه ورفعوا شعارات " ثأرية" في " مسجد أعظم " بمدينة قم الإيرانية تندد بعائلة الحكيم . وضرب المتظاهرون محمد باقر طباطبائي الحكيم الذي كان موجودا في المكان وقتئذ بما كانوا ينتعلون به، حتى سميت تلك الحادثة (انتفاضة النعل). وكان مصير عبد المجيد خوئي قتلا مروعا في النجف في يوم ٢٠٠٣/٤/١٠ أي بعد دخوله مع القوات الأمريكية المحتلة للعراق بيوم واحد فقط. وقد أتهم الابن الوحيد المتبقي للصدر الثاني مقتدى بجريمة القتل رسميا، وصدر أمر، لم ينفذ، بإلقاء القبض عليه[١١٨]

التشيع والتفريس يدا بيد:

إن الغالبية العظمى من المجتهدين في العالم هم من الفرس، يأتي بعدهم الهنود، وأقلهم العرب. ولا يتجاوز عدد العرب في العراق مثلا عدد أصابع اليد الواحدة مثل كاشف الغطاء الجواهري والخالصي والصدر.[١١٩] . ويحمل المجتهدون العراقيون العرب الجنسية الإيرانية، منهم على سبيل المثال حسن بن صاحب الجواهري والخالصي وأولاده وابن أخيه[١٢٠].ومعروف ان زوجة الشيخ محمد الخالصي إيرانية الجنسية .وإن المراجع الأربعة الكبار في النجف العراقية اليوم، كلهم أجانب ليس بينهم عربي أوعراقي أصيل واحد، وهم : الباكستاني :بشير النجفي، والأفغاني : محمد إسحاق الفياض، والإيراني الاصل محمد سعيد الحكيم، والمرجع الأعلى علي سيستاني الإيراني الجنسية.

وهنا يثور استفهام تاريخي : لماذا لايوجد مرجع أعلى عربي واحد ؟ أو مرجعية وطنية عراقية في النجف ؟ وقد عاش ومات ودفن ستة من الأئمة العرب في العراق !.
التفسير هو أن التشيع قد مرّ ابان الحكم الصفوي بمرحلتين:"الأولى تحول إيران إلى التشيع في القرن السادس عشر، والثانية هي العملية التي لم تنته في تفريس الأقليات الشيعية من خلال إنشاء نظام ديني متطور يهيمن عليه الإيرانيون" [١٢١]. وهكذا، بعدما فرضت الدولة الصفوية التشيع على بلاد فارس، بدأت ممارسة التفريس لغير الفرس بإنشاء نظام ديني دقيق يرأسه فارسي، هكذا سلسلته:

---

[115] -علي ٢٠٠٠ :٧٣ .
[116] -المصدر نفسه : ٧٥ .
[117] المصدر نفسه : ١٦٥ .
[118] BREMER.L.P. 2006 :130
[119] JABAR.F.2003 Table 9-1 : 173 -174 -
[120] -نقاش ١٩٩٦ :١١٥ و ١٥٥ .
[121] ROY.O.1999 : 167 -

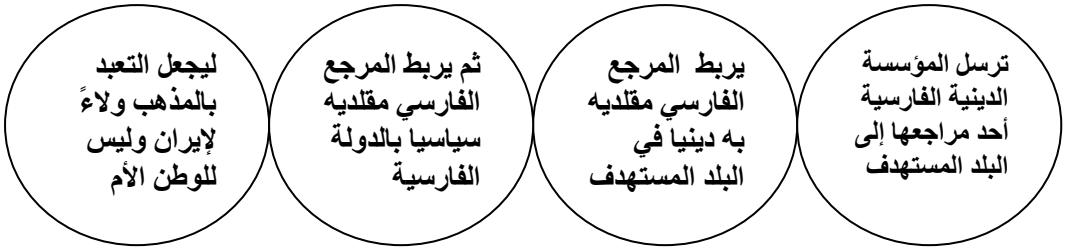

لقد جعل المراجع، ومنذ العهد الصفوي، الوحدة الدينية والسياسية متداخلة جداً لدرجة يصعب معها التفريق بين التشيع والتفريس .ومنذ ذلك الحين صار التشيع هوية سياسية جامعة، يكون الولاء فيه لبلاد فارس " وكقاعدة عامة، ومنذ القرن السادس عشر، أصبح التشيع وليس الانتماء القومي هو أساس الولاء للدولة الإيرانية"[١٢٢]. فعلى الطريقة الساسانية القديمة، حصل ترتيب متبادل واتفاق بين علماء الدين والنظام الصفوي الجديد يتم بموجبه توحيد الاعتقاد الشيعي بالدولة الفارسية . فقد أبرم المراجع عقدا ضمّنوا أحد بنوده الإقرار بشرعية النظام الملكي، طالما ظل الملك مدافعا عن التشيع والعالم الشيعي.

اعتمد المراجع في تنفيذ سياسة التفريس على خلق شبكة علاقات اجتماعية معقدة من خلال المصاهرات العديدة، بين الفرس والأقليات غير الفارسية، خصوصا بين القيادات، فمثلا تربط محمد خاتمي الرئيس الايراني السايق علاقة مصاهرة مع السيد عبد الحسين شرف الدين المرجع اللبناني الكبير في خمسينات القرن العشرين.وان عائلة الصدر انحدرت من زيجات بين عائلتي اسماعيل الصدر وحسين قمي. وكان الشيخ محمد الخالصي متزوجا من فارسية، و ابراهيم جعفري رئيس وزراء العراق (٢٠٠٥- ٢٠٠٦) على علاقة مصاهرة مع سيستاني .....وهلم جرا، واتبعوا أساليب بعيدة المدى، ثقافية وسياسية عديدة ومتنوعة لتنفيذ هذه السياسة. فقد تبنت المراجع، وليست الدولة الفارسية، استراتيجية عملت بصورة تصاعدية على تفريس الأقليات الشيعية غير الفارسية، الى أن أصبحت سياسة للدولة الإيرانية عام ١٩٧٩ [١٢٣].

أخذ التفريس طابعا جديا في النصف الثاني من القرن العشرين، فشمل الثقافة في العادات والألقاب والملابس والشعارات " فقد تغلب الطابع الإيراني، بدءاً من السبعينات، على رموزالشيعة غير الإيرانيين ، مثال ذلك:في عاداتهم، تبني اللبنانيون والأفغان الهزارة الطقوس الإيرانية في الاحتفال بعاشوراء . وفي ملبسهم، تبني حزب الله في مظهره اللحية والجاكيت الجلد أو "الباركا" التشاودر الأسود وفي الأسماء أضافوا ياء النسبة لدى الهزارة الأفغان، مثل توصلي توكلي بهشتي...الخ، بدلا من مرزا حسين أو غلام علي في الجيل السابق. وفي الراية، تبني حزب الله في جنوب لبنان علم الحرس الثوري الإيراني. وفي لغتهم، بدأ الهزارة الأفغان، الذين كانوا يتكلمون لهجة خاصة جدا هي الهازرجي، يستخدمون اللهجة والمصطلحات الإيرانية "[١٢٤].

وبالإضافة إلى نشر العادات والتقاليد الفارسية جعل المراجع الفرس تعلم اللغة من أولى المهام السياسية الكبرى، كقوة قائدة في توحيد المشاعر وتوجيه الغايات. لذا نجد كل المجتهدين ومنهم العرب يتقنون اللغة الفارسية ويحملون ثقافة الفرس التي تعلموها أثناء دراستهم الطويلة في حوزات مدينة قم الإيرانية، وهي المركز المقدس الثاني بعد النجف .

---

[122]-المصدر نفسه :١٨٠(ibid) .
[123] -المصدر نفسه :١٨٥(ibid) .
[124] -روا ١٩٩٤ :١٨٠ .

" قم " معهد استراتيجي :

قم : مدينة فارسية تاريخية قديمة تقع على ضفاف نهر قم، وتبعد قرابة مائة ميل جنوب غرب طهران. فتحها المسلمون زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وممن ساهم في فتحها الصحابي المشهور أبو موسى الاشعري. يوجد فيها، الضريح الذهبي لـ "فاطمة المعصومة" أخت الإمام الثامن علي بن موسى "الرضا" المدفون في مشهد.
صارت قم مركزا للدراسات والبحوث في زمن الدولة الصفوية وحكم القاجار. وعند احتلال الانكليز والروس لإيران عام ١٩١٥ م، أصبحت قم مركزا للنشاط السياسي والعسكري" لهيئة المقاومة الوطنية" الايرانية.واليوم مدينة قم من أهم المراكز الشيعية في إيران والعالم، ففيها أكثر من ٥٢ حوزة علمية يديرها أكثر من ٣٠ مرجعا بدرجة آية الله وآية الله العظمى . يؤمها زوار كثيرون ويتعلم بمعاهدها أكثر من ٥٠ ألف طالب من كل أنحاء العالم . وكانت قم مقرا للخميني قبل الثورة الإيرانية ١٩٧٩ "[١٢٥]. إن مدارس قم هي مؤسسات ثقافية وسياسية هدفها خدمة الدولة الفارسية . فهي تمثل مركزا استراتيجي خطيرا لتخريج نشطاء سياسيين. وتشكل قم مع مدينة النجف العراقية المركزين العالميين للقيادة والتوجيه، وإن أحد أهم مهام قم السياسية هو نشر ثقافة الحقد والكراهية ضد أصحاب محمد ﷺ، رموز الإسلام وقادته، في محاولات دائبة لسحب الشرعية السياسية والإسلامية من هؤلاء القادة، لهدم الاسلام .

ومن النشطاء السياسيين المستشيعين المتخرجين من معهد قم الاستراتيجي :

السوري / هشام آل قطيط، والتونسي / محمد التيجاني السماوي، والأردني / المحامي أحمد حسين يعقوب .هؤلاء جميعا " يتفقون على ما اتفق عليه روزخونية المنابر في الدرجة الرابعة، من عناية واهتمام وشراسة ورغبة في استجماع روايات وأساطير لإنتاج المثالب وصبها على عمر بن الخطاب أولا، وكأنهم خلية حزبية توزع عليهم التعاميم والتعاليم والتوجيهات، فينطلق أعضاؤها بمفردة واحدة، وعلى نهج واحد يتكرر ويتكور ويدور عليهم مثلما تدور الأقداح على الأفواه في مجالس الشراب فيخيل إليك أن صاحب المجلس هو المجلسي"[١٢٦].

ويقضي الطلاب في قم آمادا طويلة للتشبع بعادات الفرس وثقافتهم وتعلم فنون السياسة والادارة والحوار. " يقضي هؤلاء الطلبة عدة سنوات في قم وهم يتعلمون الفارسية والعربية والعلوم الدينية والشريعة وعلم الكلام والفلسفة ..... وإن الفترات الطويلة نسبيا التي يقضوها في الدراسة في قم تتيح للطلاب أن ينسجوا عرىً ثقافية مع إيران وأن يتعلموا كذلك الشيء الكثير عن هذه البلاد .واذا كان التعليم الديني في ثمانينات القرن العشرين يسير جنبا الى جنب مع التثقيف بالفكر الثوري، فإن الجيل الحالي من طلبة الدين يقرؤون عن المناظرات الاصلاحية، والحملات الانتخابية، والمشاكل التي تواجه القادة العلمائيين في حكم دولة حديثة واقتصاد عصري "[١٢٧] .

---

[125]- http: /en,wikipedia .org/wiki/Qom 2008).

[126] - العلوي٢٠٠٧ :٢٣١ .

[127] - نصر٢٠٠٧ : ٢١٥ -٢١٦ .

-

إن معهد قم الاستراتيجي يمنح مع الاجتهاد لقبا ضخما آخر لبعض هؤلاء النشطاء السياسيين لقاء خدمات جليلة ومتميزة يقدمونها إلى الدولة الإيرانية وإرثها الساساني، وهذا اللقب يمنح صاحبه كثيرا من الامتيازات المالية والاجتماعية والسياسية. وأما هذا اللقب الضخم فهو:"**السيد**".

"السيد": موقع سياسي يهديه المركز الاستراتيجي.

السيد عند المسلمين نسب إسلامي عربي أصيل لانتمائه إلى النبي وأهل بيته، يكنّ له العرب والمسلمون احتراما وتقديرا عظيمين، ويلزم حامله الاقتداء بسيد ألخلق محمد ﷺ في سلوكه وخلقه، ليكون أهلا لهذا النسب الكريم. يقوم السيد، بسبب أرومته النبيلة، بوظائف اجتماعية كثيرة مثل: بذل المال وحل المنازعات بين الأطراف والموافقة على التزويج أو الطلاق وترأس الوفود ..الخ. ويعتقد بسطاء الشيعة أن للسيد قدرة خارقة على إنزال البركات على المطيعين وشفاء الأمراض أو بالعكس إنزال عقوبة بالمخالفين كما هو الشأن عند بعض الصوفية. يذكر د. علي الوردي هذه القصة الطريفة عن السيد "يروى عن سيد معروف أنه غضب ذات يوم على أحد الشيوخ وهدده بالكارثة. وشاءت المصادفة أن تحترق بيادر الشيخ بعد برهة قصيرة فاعتبر الناس ذلك شارة للسيد! فأصبح في نظرهم مقدسا وتضخمت ثروته وقد صار اولاده من بعده يتمتعون بقدسية ابيهم. وقد ادركت أحد أولاده فوجدته يسكب المال الوفير في الريف على شهواته في المدينة "[١٢٨] .

ولما كانت صفة السيد تعطي حاملها امتيازات خطيرة وسلطة وسطوة على الأتباع وتضفي عليه هيبة كبيرة، وان كان عاطلا متبطلا او ليس له درجة علمية أو مهارة فنية للنجاح في الحياة ، صارهذا اللقب سلعة تجارية وسببا للعيش باستغلال البسطاء والطيبين من الناس . ونقل هذا التبطل إلى الأجيال اللاحقة حتى صار التبطل عند السادة عملية أسرية وراثية. تقول الباحثة الاجتماعية ميري فارمر "تستخدم القرابة في المجتمع من قبل ألافراد كعجلة للوصول إلى مواقع اجتماعية وسياسية واقتصادية، وبالذات عند الفرد الأقاق الذي لا يمتلك مقومات الطموح بشكل كامل، الامر الذي يدفعه إلى تسخير الروابط القرابية لتحقيق طموحاته الأفاقة، التي تكون بعيدة المنال بالنسبة له، أولا يستطيع بلوغها بشكل قانوني أو بجهوده الخاصة"[١٢٩].
وبسبب هذه الامتيازات المالية الضخمة والمكانة الاجتماعية المرموقة، انتحل كثير من الناس هذا اللقب ، "..... فأن العضوية في هذه الفئة تمنح مكانة اجتماعية وإمكانية الكسب المادي فإن مدعي مرتبة السيد كانوا أحيانا يغيرون مكان سكناهم لتفادي تحقيق رجال العشائر تدقيقا كاملا في موقعهم"[١٣٠].

وعند استقرار العشائر العربية، القادمة من الجزيرة، في جنوب العراق في القرن التاسع عشر، التي لم يكن في تنظيمها الاجتماعي " سادة " أو أية شخصية دينية أخرى، بدأت عملية التبشير بالتشيع خلال هذه الفترة، وظهر بين هذه العشائر فجأة عدد كبير من السادة الذين يدعون أنهم علويون من فاطمة الزهراء أو "فروخ الزهراء"، فكان "بين عشيرة الشبانة في الأهوار،على سبيل المثال ، كان السادة يشكلون نسبة كبيرة قدرها ٢٠% من السكان حتى منتصف القرن العشرين. وفي الأهوار حيث كان رجال العشائر زراعا ومربي جاموس، كانت هناك قلة من القرى التي لم تفتخر بعائلة واحدة على الأقل تدعي نسبها إلى الرسول

---

[128] - الوردي ٢٠٠٩ :٢٧٠ .
[129] -عمر ١٩٩٦ :١٦٠ .
[130] - نقاش ١٩٩٦ :٦٥ .

.وكانت هناك أيضا بعض القرى الصغيرة التي تتألف كلها من السادة"[١٣١]. علما أن كثرة من سكنة الأهوار هم موجات بشرية قادمة من شرق نهر دجلة (شروقيون) من لورستان وبلوشستان والهند .استوطنوا جنوب العراق واستخدمهم ملاك الأرض والإقطاعيون في الزراعة وتربية الجاموس، وألحقوا بتلك القبائل عن طريق" نظام الدخالة" المعروف عند العرب، الذي يجيز للدخيل من تغيير اسمه وحمل لقب العشيرة.

يدعي السيد والمرجع انهما يتصلان سراً بالإمام المهدي في غيبته في سرداب سامراء لتلقي الأوامر والتعليمات منه لنقلها إلى عامة الشيعة، وقد أعطاهما الامام وكالة عامة يفرضان بموجبها ضريبة مكتوبة قدرها ٢٠% على الشيعة واجبة الدفع لهما. وعلى الشيعة اطاعتهما واتباعهما فيما يقولا ويفعلا دون مساءلة من أحد . يتقاسم السيد مناصفة مع المرجع الخمس من كسب المؤمنين الشيعة، ويسميه" سهم جدي" (جده الرسول!). ويسميه المرجع " سهم الامام ". ولما كان الفارسي يتميز بالحذاقة والدهاء، فقد انتحلت الغالبية العظمى من المجتهدين الفرس صفة السيد ، وأصبحت سلسلة المراجع العليا كلها من السادة، ليس بينهم عربي واحد!.ولن يمر ادعاء المراجع العليا، النسب العلوي، دون تساؤل إستفهامي خطير :

فكل *الأئمة عربا، ولدوا وعاشوا وماتوا في بلاد العرب، ولغة القرآن عربية، وبدأ التشيع السياسي عربيا إسلاميا أصيلا، فكيف يطغى الفرع الفارسي على الأصل العربي الاسلامي* ***!؟***

إن هذا التساؤل يلقي ظلالا من الشك حول انتحال الفرس صفة السيد ، لأسباب منها:

- عبادة قادة الفرس للمال ،
- وممارسة السادة الفرس اللعن والطعن والتشهير ضد سادة العرب: أهل البيت وصحابة النبي محمد ﷺ وضد العرب بصورة عامة،
- وفجائية اكتساب الفارسي صفة السيد ،
- والحقد الكبير لمهديهم المنتظر على العرب عامة وقريش عشيرة النبي محمد ﷺ خاصة،
- واستنكاف السادة الفرس التكلم باللغة العربية .

وفي ما يأتي شيء من التفصيل عن هذه النقاط الخطيرة:

السيد يعبد المال:

لقد اشتهر الفرس في التاريخ بحب المال وبخلهم فيه، حتى ألّف أديبنا الكبير أبو عمرو الجاحظ كتابا أسماه" البخلاء" يتحدث به عن بخل أهل خراسان. ويصف السيد مصطفى فاتح، الذي شغل موقع معاون الإدارة المركزية لشركة النفط الإيرانية–البريطانية عام ١٩٢١، القادة الفرس بأنهم يقدمون مصلحتهم الشخصية على الصالح العام ويحبون المال حبا إلى درجة الاستعباد له، ويسلكون كل الطرق للوصول إليه وإن كانت لا أخلاقية وغير قانونية. فيقول : "حين عايشت أقرب الرجال، تأكد لي أن غالبية الشريحة الحاكمة في إيران، من الوزير والوكيل والكتّاب والساسة..كلهم على شاكلة واحدة، لا يعادل عندهم الوطن والدين

[131] - نقاش ١٩٩٦ :٦٠ .

والحكومة والضمير فلسا، فغايتهم التي يقدمون لها فروض الطاعة هي السلطة والمال . ولذلك فهم يمثلون كالخدم لدى من يكفل لهم تأمين مطامعهم الوضيعة.ويتحول الكذب والنفاق والرياء-بالطريقة الشرقية- رأسمال حياتهم.ولقد التقيت أشخاصا يمارسون السمسرة السياسية تحت غطاء النضال من أجل الحرية. وعرفت آخرين كان لديهم الاستعداد لتقديم مصالح بلادهم قربانا للثروة والمال، دون أن يحترزوا عن أي لون للرذيلة. "[١٣٢].

وبسبب قوة نفوذ المال، وحبهم له، فقد انتحل المرجع الفارسي صفة السيد لتكون هذه الجائزة- جائزة الخمس- الكبيرة كلها له دون مشاركة احد فمثلا " قدرت إيرادات الخمس لشيعة دول الخليج في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي بحوالي ثلاثة ملايين جنيه استرليني شهريا، أي ٣٦ مليون جنيه سنويا" [١٣٣]. وبعد وفاة المرجع، الذي يعيش حياة شبه سرية ظاهرها الزهد والبعد عن حياة الترف، وحقيقتها كنز المال وجمعه، ينتقل مال الخمس الذى جمعه إلى ورثته وذويه، وتصبح أموالا شخصية خاصة بهم " وفي الخمسينات كما في الثمانينات كما الآن بقيت المؤسسة الدينية أسيرة لفوارق طبقية مرعبة حتى في داخلها وتحولت الكثير من الحقوق الشرعية إلى أموال شخصية تنتقل من المرجع إلى أولاده أو المقربين منه، وتحول هؤلاء الأولاد زعماء بالقوة للعلاقة العميقة بين المال والطغيان"[١٣٤].

تدار هذه الثروة الطائلة بطريقة عالمية سرية وأهم هذه المؤسسات هي مؤسسة الخوئي العملاقة المثيرة للجدل. فقد تأسست هذه المؤسسة في لندن عام ١٩٩٢، التي يديرها عبد المجيد خؤئي نجل المرجع الأعلى أبي القاسم خؤئي. " لقد صرف مبلغ ٦٥ مليون دولارعلى هذه المؤسسة خلال سبع سنوات من عمرها(١٩٨٩-١٩٩٦) حسب إحصاءات مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية المنشورة عام ١٩٩٦، ولا شك أن اموالا مماثلة صرفت قبل هذه الفترة وبعدها، مما يعني أن مؤسسة الخوئي هي مؤسسة دينية ومالية عملاقة "[١٣٥].وتتعامل هذه المؤسسة المالية الكبيرة على المستوى الدولي " فقد قدمت هذه المؤسسة مبلغ ثلاثة مليارات، لم يحدد نوع عملتها، إلى إحدى الدول العربية الفقيرة "[١٣٦]. وبعد مقتل عبد المجيد خوئي في النجف في ١٠/ ٤ /٢٠٠٣ انتقلت أموال المؤسسة إلى زوجته.

وبسبب عبادتهم للمال، ارتبط المجتهدون مع ملاك الأرض والطبقة البرجوازية في وسط وجنوب العراق بالمصاهرات، وأبرزها عائلة قزويني وعائلة بحر العلوم الفارسيتين " ومما يوضح هذه المسألة بشكل ساطع قضية الشيخ ستار من عشيرة آل علي المتفرعة من الـ بني حسن. ففي أواخر القرن التاسع عشر عمد ستار إلى تزويج ابنتيه للسيدين هادي القزويني ومحمد إبراهيم بحر العلوم الذين كانا ينتميان إلى أسر دينية شيعية مرموقة".[١٣٧]. والمثال الاخر الواضح لهذا التحالف هو معارضة المرجع محسن طباطبائي الحكيم واولاده لقانون الاصلاح الزراعي رقم ٨٨ لعام ١٩٥٩ الذي اصدره الرئيس العراقي يومئذ عبدالكريم قاسم واعتبروه مناف للشريعة. إن هذا القانون الجريء قوض سلطة الاقطاع ضد فقراء الفلاحين في الجنوب العراقي لكنه حرم المراجع من أموال الخمس التي يدفعها الاقطاع .

---

[132] - كديور٢٠٠١ :٣٧ .
[133] - JABAR.F.2003 :151
[134] - رؤوف ٢٠٠١ ٣٦١- ٣٦٢ .
[135] - علي٢٠٠٠ :١٧٠ .
[136] المصدر نفسه: ١٦٨ .
[137] - نقاش١٩٩٦ :٦٧ .

ويحذر الكاتب العراقي الشيعي رؤوف من الخطر الداهم الذي يهدد مستقبل الشيعة بسبب هذا التحالف الخفي بين المراجع ورأس المال فيقول: " سوف تبقى المؤسسات الشيعية – كمؤسسة السيد الخوئي– قاصرة ما دامت خاضعة للنمط الحوزوي القائم على صراع المراجع ورجال الدين، والقائمة على بنية برجوازية. وليس من شك أن التحالف الخفي بين برجوازية الشيعة ورجال الدين خطر كبير يهدد في المستقبل صميم الشيعة"[١٣٨].

السيد مهمته التشهير بسادة العرب !:

خلافا لأقوال قمي وخميني التي تضع الأئمة في منازل قدسية عالية، وأنهم من أصلاب وأرحام طاهرة، وخلافا لكل الأقوام غير العربية المسلمة التي تكنّ الحب والاحترام للعرب وساداتهم من أهل البيت وأصحاب رسول الله ﷺ، قامت وتقوم المراجع "السادة " بحملة حاقدة شعواء قوامها التطاول على العرب والتشهير بهم وبساداتهم، ستملأ كتبا ومجلدات لتسطيرها إذا استلت من موسوعات التشيع الدخيل، ولذلك سنكتفي ببعض أمثلة للتوضيح فقط:

- صرح خميني أن أهل البيت كانوا يفتون بخلاف أحكام الله– تقية– للمحافظة على الشيعة والخروج من المآزق: "وقد كلف الأئمة من قبل النبي والإله بوجوب الحفاظ عى أعراض الشيعة وأموالهم، ولذا كانوا من باب التقية يصدرون أحيانا أوامر مخالفة لأحكام الله، حتى ينشب الخلاف بين الشيعة أنفسهم لتضليل الآخرين وتفاديا لوقوعهم في مآزق "[١٣٩] .

ولكن المعلوم عند المسلمين أن الذي يفتي بغير ما حكم الله تنتزع صفة الإيمان منه!.

- ويذكر كليني في مصنفه "الأصول من الكافي" – كتاب الحجة – قصة تزويج جعفر الصادق من جارية ابتاعها من نخاس أرادها بسبعين دينارلا تزيد ولا تنقص. دفع أبو جعفر لمن يشتري الجارية صرة لايعلم المشتري عدد الدنانير فيها. يقول الراوي " فدنونا وفككنا الخاتم ووزنا الدنانير ،فاذا هي سبعون دينارا لاتزيد ولاتنقص. فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر عليه السلام وجعفر قائم عنده . فأخبرنا أبا جعفر بما كان. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها:ماسمك ؟ قالت حميدة. فقال حميدة في الدنيا،محمودة في الآخرة، أخبريني عنك أبكر أنت أم ثيب؟ قالت بكر!قال :وكيف ولايقع في أيدي النخاسين إلا أفسدوه! فقالت: قد كان يجيئني مقعد الرجل من المرأة ،فيسلط الله رجلا أبيض الرأس واللحية فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني، ففعل بي مرارا وفعل الشيخ به مرارا فقال: ياجعفر ! خذها إليك ! فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر عليه السلام"!![١٤٠].

- وقد شكك ابن بابويه قمي في كتابه "عيون أخبار الرضا " في نسب جعفر بن موسى الرضا المعروف بجعفر الثاني، لتغير في لونه، فأقام له قمي أشبه مايكون بمسرحية في بستان وأحضروا أهل جعفر وهو بينهم وأقعدوه. ثم أدخلوا أباه الرضا متنكرا وكأنه يعمل في البستان وجاء النسّابة ليلحق جعفر بأبيه المتنكر، فنسبه اليه بعدما عرف أن شكل قدميه، تشبه قدمي أبيه الرضا.

---

[138] - رؤوف٢٠٠١ : ٣٥٥ .

[139]- العيص ١٩٩٣: ١٣٢

[140]- ظهير١٩٨٣: ٢٨٨-٢٩٣ .

- وبعد الاهانة والطعن في الانساب جعلوا من الأئمة مادة للسخرية والاستهزاء والضحك، فقد رووا عن جعفر الصادق أنه قال لـ حنان ابن سدير وعليه نعال أسود وهو ينصحه بإبداله بنعال أصفر، :"عليك بلبس نعل صفراء، فيها ثلاث خصال . قال قلت : وما هي؟ قال: تحد البصر، وتشّد الذكر ، وتنفي الهم"!. وينسبون إلى محمد الباقر(ع) انه قال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخرفلا يدخل الحمام إلا بميزر. فقال:فدخل ذات يوم الحمام ، فتنور–أي جعل النورة على جسمه– فلما أطبقت النورة على بدنه ألقى الميزر ، فقال له مولى له: بأبي أنت وأمي! إنك توصينا بالميزر ولزومه وقد ألقيته عن نفسك؟ فقال: أما علمت أن النورة قد أطبقت العورة؟"[١٤١] .
- وتجسد التشهير بالأئمة والصحابة في العصر الحالي في أبشع صوره في كتابات مرتضى عسكري(١٩٠٥ –٢٠٠٧) .وعسكري هذا " سيد" من قرية ساوة جنوب غرب إيران، ومؤرخ صفوي كبير وأحد مؤسسي "حزب الدعوة الإسلامية في العراق"

يتهم عسكري فاتح فارس، عمر بن الخطاب ، حما النبي محمد ﷺ وصهر علي، في شرفه ونسبه بطريقة تنم عن نفسية في غاية التهتك والانحراف، ناسبا القول إلى الإمام جعفر الصادق، فيقول : "متى كان عمر بن الخطاب شريف بني عدي!. أما نسبه ففي كتاب الدرر بإسناده عن الحسن بن محبوب عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: كانت صهاك جارية لعبد المطلب، وكانت ذات عجز! وكانت ترعى الإبل، وكانت من الحبشة . وكانت تميل إلى النكاح، فنظر إليها نفيل جد عمر في مرعى الإبل فوقع عليها فحملت منه بالخطاب! فلما أدرك البلوغ نظر الى أمه صهاك فأعجبه عجزها، فوثب عليها فحملت منه حنتمة . فلما ولدتها خافت من أهلها فجعلتها في صوف وألقتها بين أحشام مكة، فوجدها هشام بن المغيرة بن الوليد فحملها إلى منزله وسماها بـ حنتمة. وكانت شيمة العرب أن من يربي يتيما يتخذه ولدا.فلما بلغت حنتمة نظر إليها الخطاب فمال إليها وخطبها من هشام فتزوجها فأولد منها عمر! فكان الخطاب أباه وجده وخاله ! وكانت حنتمة أمه وأخته وعمته"[١٤٢]

[أحشام جمع حشم = عبيد وأهل جيرة ، حنتمة = كل أخضر مسوّد كخزف أو جرة أوسحاب أوشجرة حنظل].

وباعتباري عربيا، ومن المنتمين إلى آل النبي ﷺ ،فإني أبريء الإمام الجليل جعفر الصادق من حتى الاقتراب في خياله من مثل هذه الروايات التي لا ينحط إليها أسفل الناس خلقا وأوضعهم نسبا، فكيف بإمام جليل، فرع الشجرة النبوية الطاهرة؟!.

إن هذا التشهير والإسفاف يكذب دعوى خميني وعسكري بانتسابهما العلوي، كما يعكس الإحباط والعقد النفسية التي أصابتهما وفقدان الأمل في إعادة بناء الإرث الساساني العظيم الذي أسقطه حمو النبي، عمر.
وينكشف سر الطعن والتشهير في أهل البيت إذا علمنا أن الغالبية العظمى من نساء أهل البيت، وخصوصا نساء بني هاشم، تزوجن من بني أمية وأحفاد أبي بكر وعثمان– فاتحي بلاد فارس– . يروى عن جعفر الصادق أنه قال: " ولدني أبو بكر مرتين". فقد ولد في ٨٣ هـ وتوفي عام ١٤٨هـ "ودفن بالبقيع حيث دفن أبوه وجده والحسن عليهم السلام، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. و تزوجت

[141]- المصدر نفسه:٢٤٧–٢٤٨ .
[142] – شريعتي٢٠٠٢ : ١٠٢ .

حفيدة علي: سكينة بنت الحسين، من حفيد عثمان: زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان. وتزوجت البنت الأخرى للحسين : فاطمة من الحفيد الثاني لعثمان: محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان. وقبلهما أم المؤمنين زوجة النبي محمد ﷺ أم حبيبة أخت معاوية بن ابي سفيان .

وفي دعوة واضحة للكراهية نعت خميني بطريقة تدعو الى الانتقام، علماء دين عرب كبار، أمثال بن تيمية وتلميذه بن القيم ومحمد بن عبد الوهاب، بأنهم **وحوش**، وحداة بعران ، وأنهم أسوأ المخلوقات البشرية المجردين من كل علم ومدنية.

السيد: خسروي يحب الانتقام من العرب:

قال ﷺ" يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وذلك هو المهدي "[143]. أما عند المراجع الفرس فهو رمز الوحشية والقسوة والإرهاب، قاتل دموي مرعب، ليس همه إلا الانتقام من العرب فقط دون الاقوام الاخرى، وقبيلة قريش خاصة التي ينتمي اليها الرسول ﷺ . وهذا بعض من شهاداتهم:

يروي نعماني عن محمد الباقر(ع) أنه قال : " لو يعلم الناس مايصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس .أما انه لا يبدأ إلا بقريش فلا يقبل منها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم " !.
ويروي محمد حسن طوسي ومحمد باقر مجلسي أن المهدي اذا خرج "يبهرج سبعين قبيلة من قبائل العرب ". [يبهرج = يبيح إراقة دمائهم بلا دية].
ويروي نعماني وغيره عن أبي جعفر(ع)أنه قال "يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد على العرب ، شديد ليس شأنه إلا السيف ، لايستتيب أحدا ، ولا تأخذه في الله لومة لائم وعن أبي جعفر(ع) قال "يذبحهم ، والذي نفسي بيده ، كما يذبح القصاب شاته ، وأومأ بيده الى حلقه "[144] ().
وأورد الصافي في تفسيره " تفسير الصافي " عن جعفر بن الباقر أنه قال " إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم
والسؤال *أين نذهب بآيات القرآن " لا تزر وازرة وزر أخرى " ؟!*
"(الأنعام:١٦٤+الإسراء:١٥+فاطر:١٨+الزمر:٧+النجم:٣٨).

ومن شدة تعطشه للدم والعنف لايقتل العرب الأحياء فقط، بل يحيي أموات قريش فيقتلهم أيضا! حيث يذكر المفيد في كتابه" الإرشاد" عن جعفر بن الباقر أنه قال " إذا قام القائم من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم، أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات "[145].

لكن لماذا كل هذا الحقد على العرب وعلى قريش بالذات؟!.

---

[143] -حديث صحيح / ابن تيمية في منهاج السنة8/254
[144]- الدليمي-أ-٢٠٠٧ :٦٢-٦٣ .
[145]- ظهير ١٩٨٣ :٢٤٥ .

لقد صعقت هذه العنصرية الدموية الحاقدة والتوعد بقتل العرب احياءا وامواتا، أبا خليفة علي القضيبي الشيعي العربي من البحرين. عندما علم أن أحد ألقاب صاحب الزمان (خسرو مجوس) فقد ذكره العلامة النوري الطبرسي وقال أن هذا اللقب هو السابع والاربعين للإمام!!

" لكن إن أردت أن تتصدم معي أكثر، فأقرأ هذه الرواية من بحار الانوار للعلامة المجلسي.
روى المجلسي عن النشجان بن البودمردان قال: لما جلا الفرس عن القادسية، وبلغ يزدجرد بن شهريار ماكان من رستم وإدالة العرب عليه، وظن أن رستم قد هلك والفرس جميعا، وجاء مبادر وأخبره بيوم القادسية وانجلائها عن خمسين ألف قتيل، خرج يزدجرد هاربا في أهل بيته ووقف في باب الايوان وقال : السلام عليك أيها الايوان! هأنذا منصرف عنك، وراجع إليك أنا او رجل من ولدي لم يدن زمانه ولا آن أوانه.

قال سليمان الديلمي: فدخلت على أبي عبد الله (ع) فسألته عن ذلك وقلت له: ماقوله "أو رجل من ولدي " فقال: ذلك صاحبكم القائم بأمر الله عز وجل السادس من ولدي، قد ولده يزدجر فهو ولده"
أنه يوم الانتقام!

صاحب الزمان ابن يزدجرد سينتقم لآبائه الفرس من أهل الاسلام الذيت فتحوا فارس هكذا تقول الرواية"[١٤٦].

ان هذا الكره والبغض للعرب عاشه ولمسه والي خراسان الاموي نصر بن سيار فوصفه ادق وصف بنظمه :

قوم يدينون ديناً ماسمعتُ به عن الرسول ولاجاءت به الكتبُ
إن كنت تسأل عن دينهمو فإن دينهمو :أن تقتل العربُ

ولهذا تجسدت هذه العقيدة " المهدوية" الفارسية المبنية على الحقد وحب الانتقام من العرب والمسلمين أثناء الاحتلال الامريكي للعراق. فقد تأسس " جيش المهدي" تحت نظر ورعاية القوات الأمريكية المحتلة، كجيش " عقائدي " تحت إمرة المرجعية العليا، على حد وصف قائده مقتدى الصدر. يتكون جيش المهدي من ميليشيات مسلحة تتألف من "حشاشين" و"فرق موت" أرسلتها إيران الى العراق، تحت قيادة كاظم حائري[١٤٧] القابع في قم الإيرانية. لقد اقترف جيش المهدي فظائع تعذيب، وقتل، وتمثيل، وترويع، وسلب ونهب بحق العراقيين العرب الأبرياء فاقت كل خيال، حتى اضطر العراقيون للاحتماء بالمحتل الامريكي خوفا من جيش المهدي. كما أصبح الجيش الأمريكي يهدد العراقيين بجيش المهدي.

فجائية إكتساب اللقب الثمين "السيد ":

إن السيد لقب ثمين يدر الأرباح الكبيرة، والتمتع بالنساء ويعطي حامله مهابة كبيرة وسلطة سياسية قوية تؤهله للسب وإساءة الادب مع سادة العرب ورموز الإسلام و الدعوة للانتقام منهم دون مساءلة. لذا " تزيا نصف السادة الإيرانيين بهذا اللقب الثمين بطريقة غير

---

[146] - القضيبي ٢٠٠٥ :٤٦

[147] حائري هو مرجع التقليد لمقتدى الصدر والتيار الصدري.

شرعية"[148]. وقد أكسب بعض المجتهدين والمراجع الفرس أنفسهم لقب السيد فجأة لمنافسة آخرين، مثال ذلك :

- أعطى مير مهدي شيرازي نفسه فجأة لقب" سيد" ليصبح مرجعا أعلى منافسا للمرجع محسن الحكيم "على حين غفلة من أمره لقب نفسه بالحسيني الشيرازي وادعى المرجعية وانفصل عن مرجعية محسن الحكيم في النجف في ١٩٦٥/٦/٤ "[149].
- ويقول الوردي أنه إبان الاحتلال الانكليزي للعراق، ونظرا لتعاون المرجع الاعلى يزدي معهم فقد " ساءت سمعته كثيرا في أعقاب ثورة النجف، وانتشرت حوله الاشاعات. ومن جملتها أن السيد كاظم اليزدي ليس سيدا وليس يزديا بل هو انكليزي لبس العمامة السوداء تنكرا "[150].
- ويقول حمزة الكرعاوي في كتاباته: دخل سستاني العراق أثناء الحرب الإيرانية العراقية، وهو من تلامذة أبي القاسم خوئي. وينقل السيد سيف الخياط عن محمد صادق الصدرأن سيستاني دخل بعمامة بيضاء ثم انقلبت سوداء فيما بعد في النجف. وصار الايراني سيستاني راعيا للعملية السياسية في العراق في ظل الاحتلال الامريكي . ولم يصرح سيستاني ولو مرة واحدة من على وسائل الإعلام إلى الشعب العراقي العربي لأنه لا يحسن اللغة العربية أو يأنف التكلم بها.

السيد يأنف التكلم باللغة العربية:

العربية لغة القرآن الكريم، لما تتمتع به من خصائص فريدة في التعبير والإبانة. وقد أختص الله العرب بحمل رسالة القرآن وإيصالها، وجعل لغتهم أداة التفقه بالدين وفهمه :{ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)}(الشعراء:١٩٣-١٩٥).(وانظر كذلك يوسف:٢،الزخرف:٤٣،الزمر:٢٨،الأحقاف:١٢،٣،فصلت:٤٤ ،الكهف:١،مريم: ٩٧ ، طه:١١٣،الدخان:٥٨ ،الرعد:٣٧).

ولما كانت العربية أداة فهم الإسلام فقد فضّلها علماء المسلمين، عربهم وعجمهم، على سائر اللغات، مثال ذلك قول الثعالبي:"الإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة ! إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين"[151]. وكتب العلامة محمد شفيع الديوبندي مفتي باكستان كتيبا سماه(النفحات في فضل االلغة العربية على سائر اللغات) . وقد توحدت أمم الاسلام بهذه اللغة إبان قوتهم وعزهم. يقول حسن البنا(١٩٠٦-١٩٤٩) مؤسس جماعة الإخوان المسلمين وهو يخاطبهم في مؤتمرهم الخامس:

> "ثم إن هذا الاسلام الحنيف نشأعربيا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب. وجاء كتابه بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين . وقد جاء في الأثر إذا ذل العرب ذل الإسلام . وقد تحقق هذا المعنى حيث دال سلطان العرب السياسي وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم . فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه"[152] .

---

[148]- RICHARD.Y.1995 :77

[149]- الناهي٢٠٠٢: ٢٧٣ .

[150] - العلوي ١٩٩٢ :١٠٣

[151]- معروف١٩٨٩ : ٤٥ -

[152] – البنا: ١٧٦ .

فاللغة هي أساس توحيد الأمم، لأن كل الأمم متعددة الأعراق والديانات والألوان. فما الذي يمكن أن يوحدها؟ اللغة!. ولذلك لايقبل الساسة أبدا الا لغة رسمية واحدة، لأنه إذا تعددت لغات الأمة انقسمت الأمة !. يقول بن باديس-رحمه الله- : "تكاد لاتخلص أمة من الأمم لعرق واحد، وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد . فليس الذي يكوّن الأمة ويربط أجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد"[١٥٣] .

إذن اللغة وما يرتبط بها من معان وعادات وتقاليد هي عنصر توحيد الأمم وهي من أهم مقومات أي أمة، فهي القائد الحقيقي لكل الأمم كما يقول عالم الاجتماع لوبون[١٥٤]. ولهذا فان كل قادة المسلمين غير العرب تعربوا حبا بالقرآن وأهله. وقد هام المثقفون الأعاجم من غير الفرس باللغة العربية والعرب، فهذا إقبال الشاعر الباكستاني المشهور ينظم شعرا يقطر حبا وشغفا بالعرب ولغتهم:

أنا أعجمي الدّن لكن خمرتي ... صنع الحجاز وكرمها الفينان
إن كان لي نغم الهنود ولحنهم ... لكن هذا الصوت من عدنان

[الدن في الأصل = الوعاء ، فاستعمله إقبال بمعنى الجسد ، كما استعمل خمرتي = روحي . والفينان = ذي الأفنان وهي الغصون المستقيمة بمعنى الأجيال الصالحة ، عدنان = جد العرب]

وخلافا للأقوام المسلمة من غير العرب، التي هامت بالعربية : أداة فهم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لا يأنف المراجع تكلم اللغة العربية فحسب بل جعلوا من أولى سياساتهم الرئيسية أن يتعلم غير الفرس، وبضمنهم العرب، اللغة الفارسية لما للسان من قوة جذب وتوحد . وألجأوا كل قادة المجتمعات الشيعية إلى تعلم اللغة الفارسية في سياسة مقننة لتفريس غير الفرس وجعل الأقليات الشيعية في العالم الإسلامي تابعة لبلاد فارس . خذوا هذه الأمثلة:

- إن علماء جبل عامل الذين خدموا في الشؤون الدينية للبلاط الصفوي أجبروا على إتقان اللغة الفارسية. وترجم طلابهم إرشاداتهم إلى الفارسية، فسار التفريس يدا بيد مع نشر التيار الرئيسي للاعتقاد الشيعي [١٥٥]
- يذكر فائق الشيخ علي في كتابه "اغتيال شعب" أن محمد صادق الصدر كان يترجم دروس خميني عندما كان في النجف بين ١٩٦٤-١٩٧٨ من الفارسية فورا:" لم يلق الخميني درسا واحدا بالعربية، بل بالفارسية . لكن السيد الصدر كان يفهم دروس خميني، لأن السيد الصدر يتقن الفارسية ويقوم بترجمتها الفورية إلى العربية"[١٥٦].

إذن عاش" السيد" خميني في العراق الذي لغته الرسمية العربية ١٥ عاما ولم يلق درسا واحدا باللغة العربية، كما لم يصرح تصريحا واحد في إيران باللغة العربية، فما تفسير هذا؟ إما أنه:

(١) يعرف اللغة العربية ويأنف التكلم بها لدوافع عنصرية !

153- معروف١٩٨٩ :٤٥-٥٦ .
154 -لوبون : ١٠١ .
155- Chehabi 2006 :76 .
156 - علي٢٠٠٠: ٢١ .

(٢) لا يعرفها ، فهو ليس أهلا لدرجة الاجتهاد في الدين!
يقول الإمام الشاطبي "فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدىء في فهم الشريعة، أو متوسطا فهو متوسط في فهم الشريعة. والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة" [١٥٧]

وكلا التفسيرين يلقي تساؤلا على إدعاء خميني بأنه مجتهد وأنه" سيد" من نسل علي، أفصح العرب طرا .فأين الاعتزاز بعلي وبنيه؟!.

- السيد سيستاني، راعي العملية السياسية في العراق العربي، يزوره قادة العراق الجدد في غيبته لأخذ موافقته على كل القرارات السياسية والدستورية والأمنية الخطيرة، ولكنه لم يصرح على وسائل الإعلام ولو لمرة واحدة، بل تنقل أقواله وقراراته عن طريق الوسطاء!. لماذا ؟ هل لأنه " لا يزال السيد علي سيستاني ينطق العربية تخالطها نبرة إيرانية واضحة "![١٥٨]

- ويذكر الأستاذ عادل روؤف عن منظمة العمل الإسلامي في العراق التي يقودها "السيد" محمد تقي مدرسي وكيف تسنم عدد من كوادرها مسؤوليات كبيرة في ايران بعد انتصار ثورتها وإن الكثير من كوادر المنظمة كانوا يتحدثون اللغة الفارسية منذ وجودهم في العراق، وعامل اللغة سهّل إقامة جسور تفاهم وتواصل بينهم وبين الإيرانيين"[١٥٩] . ومن تتبع أحاديث وخطب وتصريحات غالبية "السادة" المعممين العرب لاحظ أنهم لا يحسنون حفظ أو قراءة القرآن، بالرغم من قدرتهم الخطابية الكبيرة، مثل حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في لبنان. وكثير منهم يتكلم لغة عربية شوّهتها لكنة فارسية.

السيد سلطة فارسية وراثية:

إن انتحال صفة السيد هي صناعة فارسية وموروث ثقافي تاريخي للفرس ليس له علاقة مطلقا بالسيد العربي الأصيل سليل رسول الله ﷺ وأهل بيته "فإن أول دولة في تاريخ عيلام [الفارسية]:Hal-tampt تعني بلاد السيد."[١٦٠].

وقد جعل الفرس هذا اللقب مع الاجتهاد أمرا عائليا لتسهيل انتقال الامتيازات المرافقة لهذا الموقع الديني/الاجتماعي إلى الأبناء والأحفاء بطريقة عمودية. ويتنافس على لقب "السيد" ولبس العمامة السوداء كثير من الناس لما له من امتيازات سياسية واقتصادية واجتماعية . يمنح المركز الإستراتيجي في قم هذا اللقب والعمامة السوداء لناشطين سياسيين لقاء خدمات جليلة يقدمونها للدولة الفارسية . وتتمثل تلك الخدمات في صناعة عداوة بين المسلمين بالتحريض السلبي ضد رموز الإسلام والمسلمين وتاريخهم، في دهاء سياسي خطير هدفه سحب الشرعية الإسلامية والسياسية من هؤلاء القادة العظام، خصوصا العرب منهم، الذين أختصهم الله لرفع لواء الإسلام وحراسة مبادئه.

---

[157]-معروف ١٩٨٩ :٤٥ .
[158] - كيبيل٢٠٠٤ : ٢٧٢ .
[159] - رؤوف-أ- ٢٠٠٦: ٢٨٦ .
[160] - الدليمي-أ-٢٠٠٧ :١١٢ .

فمن تساءل :

لماذا يتولى حامل لقب "السيد"، التطاول والتشهير، بأهل البيت وصحابة النبي محمد ﷺ وهم سادة العرب، ناشرا ثقافة الكراهية والحقد ضدهم وضد تاريخهم، في عملية تبشيع لهم ؟

فلعل الإجابة هي عدم صحة نسب السادة الفرس إلى السادة العرب الأصليين! فلو كانوا منهم لردوا كيد الأعداء عنهم، واعتنوا بلغتهم، واعتزوا بتاريخهم.

بل يصعب فهم حقدهم التاريخي الموروث على كل ما هو عربي وإسلامي إلا بافتراض أنهم مدفوعون بحملة إرباك وتشويه وحقد لكل ما يتعلق بالإسلام ورموزه انتقاما لسقوط المجد الساساني .

يورث منصب المرجعية، خصوصا المراجع" السادة"،عموديا

من الأجداد ←الآباء ← الاحفاد على شكل سلالات عائلية في بيوت محددة!

منها طباطبائي الحكيم، وقزويني، وشيرازي، وتبريزي، وخوئي، والصدر وسيستاني... ..الخ. وكما سنرى لاحقا، فقد انتقلت القيادة الدينية والسياسية في عائلة الحكيم: من محسن طباطبائي الحكيم والى ابنائه حسب الكبر مهدي ومحمد باقر وعبدالعزيز ثم الحفيد عمار طباطبائي الحكيم (ابن عبد العزيز).

ونفس الشيء ينطبق على عائلة شيرازي: فقد انتقلت القيادة من محمد ميرزا حسن شيرازي، الى أبنه محمد تقي شيرازي ثم الحفيد مير مهدي شيرازي ثم ابني الحفيد محمد وحسن، ثم ابني أخت ميرمهدي محمد تقي مدرسي شيرازي وأخيه هادي.....وهلم جرا.

ولكن هذه الوراثة العائلية، وحصرها في بيوت، تتعارض كليا مع تعاليم الشورى التي جاء بها القرآن والسنة النبوية، المعروفة بداهة عند كل المسلمين.

والوراثة عند المراجع ليست في المنصب الديني فقط بل في الموقع السياسي والمالي والإداري أيضا . فقد بنى مقتدى الصدر، موقعا سياسيا كبيرا بعد الاحتلال الامريكي للعراق على إرث أبيه وما تركه من مؤسسات مالية وشهرة بين فقراء الشيعة . وورث عبد المجيد خوئي أموال أبيه وراثة شخصية في أكبر مؤسسة من مؤسسات التمويل العالمي "مؤسسة الخوئي" ، والتي انتقلت ملكيتها إلى زوجته بعد مقتله.

والمثال على توريث الإدارة هو: "المدرسة الشيرازية" .فبمجرد إعلان وفاة آية الله محمد الشيرازي، رشح أخوه صادق الشيرازي كمرجعية بديلة، وشغّلت على الفور كل عقول المدرسة إلى تسليط الأضواء على" مؤهلات" المرجع الجديد واتجاهاته وأفكاره فكانت ظاهرة لاتخلو من التجرؤ، وكأن هذا الأمر بات بديهيا وطبيعيا في ظل تقاليد عائلية وراثية أسرية مزجت قهرا باستخدام الدين وأدوات المال من جهة، وباستخدام أدوات الحواشي من جهة ثانية" [١٦١].[الحواشي جمع حاشية = الأتباع].

ومن أغرب التناقضات أن هذه النخب التي جاءت بوراثة الحكم والدين عللت تحريضها وتشهيرها في بني أمية لأنهم جاؤوا بقانون وراثة الحكم !.

[161]- رؤوف- ب-٢٠٠٦ :٤٠٧-٤٠٨ .

فبعد جمع المرجع بين القيادة الدينية والنسب العلوي المنتحل : اكتسب قدسية خاصة وسلطة سياسية قوية في نفوس الشيعة، ثم صار حاكما وراثيا مطلقا له حق إلهي لايجوز رده . يقول إبراهيم الزنجاني في كتابه عقائد الإمامية الاثنى عشرية : " عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط أنه نائب عام للإمام (ع) في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام ، والراد على الإمام راد على الله وهو على حد الشرك بالله"[١٦٢] .

ويرجع جمع المرجعية للسلطة الدينية والسلطة السياسية إلى الموروث الثقافي الفارسي .فقد كان الدين والحكم المطلق محصور في بيت واحد : فقد توحد عند الفرس الملك بالدين في العائلة الواحدة، والخارج عليها مغتصب يجب محاربته "وصار البيت الديني هو البيت المالك، فكان سببا في شيوع الاعتقاد الديني لديهم بأن الملك يجب أن يكون محصورا في بيت واحد، وأن من نازعه الملك أو خرج عليه فهو ملعون خارج على الدين نفسه "[١٦٣].

وقد أكد خبراء غربيون أن الرضوخ لمن هو أعلى منهم والغطرسة والعلو على من هو ادنى منهم هو من خصال الإيرانيين فإن "الإيرانيين يتسمون باللين والأدب مع نظرائهم في المرتبة، غير أنهم خاضعون لمن هو أعلى منهم، بينما يتعاملون بالغطرسة والتزوير مع أفراد الطبقة الدنيا"[١٦٤]. وعن طريق هذه السياسة قبضت المرجعية على قوة كبيرة وامتيازات عظيمة بين الشيعة مكنتها من القيام بكثير من أعمال الحكومات التي يعتبرونها غير شرعية حيث " تقوم المرجعية بكثير من أعمال الحكومة منها تسيير النظم التعليمية، وجمع الضرائب، وحل المنازعات، وإصدار الفتاوى. على اعتبار أن الحكومات السنية غير شرعية. وللمرجعية أحيانا قوات شبه عسكرية للدفاع عنها أو مهاجمة الآخرين بها "[١٦٥]. وتجد المرجعية الفارسية، في صراعها القومي التاريخي مع الغالبية العظمى للمسلمين ودولهم، مبررا قويا لها في إنشاء ميليشيات طائفية تابعة لها وليس للدولة . وما ميليشيات حزب الله في لبنان، وجيش المهدي وفيلق بدر في العراق إلا أمثلة واضحة للعيان.

وبهذه القوة والسلطان صارت علاقة المتدين الشيعي بالمرجعية علاقة تبعية ورضوخ تامين خوفا منها وطلبا لحمايتها، وسلّم المؤمنون الشيعة أنفسهم للمرجعية بصورة مطلقة حتى أصبحت "الشيعة هي الطائفه الإسلامية الوحيدة التي سلمت نفسها إلى زعاماتها المذهبية بلا قيد ولا شرط"[١٦٦] .

إذن فالمراجع هم ، أولا وقبل كل شيء، قادة سياسيون وراثيون يسعون للحصول على السلطة وجمع المال باستغلال الطوائف الشيعية في العالم الإسلامي. لذا لاحظنا بروز القادة الفرس خوئي وسيستاني في العراق، اللذان كانا يوصفان بالمحافظة وعدم التدخل في السياسة، قائدين سياسيين عند ضعف السلطة المركزية، أيام التمرد المسلح في الجنوب العراقي عام ١٩٩١ وفور سقوط بغداد، عام ٢٠٠٣ على التوالي .

---

[162]- الدليمي –أ–٢٠٠٧ :١٧٥ .
[163] - المصدر نفسه :١٩١ .
[164] - كديور٢٠٠١: ٣٦ .
[165] - POLK W. 2005 :60 .
[166]- م.الموسوي-١٩٨٧: ١١٩

الهيبة أساس قوة المرجعية الفارسية:

إن أساليب المرجعية من :عيش عزلة واحتجاب عن الناس +

ادعاء النسب العلوي بأنهم "سادة" +

ألقاب ضخمة تحملها،

جعل المرجعية العليا هيئة مهابة مرهوبة، مما سهل هيمنتها على الناس:

- فالمرجعية تعيش أكثر أوقاتها في سراديب النجف المشهورة في احتجاب وانعزال(الغيبة) عن الناس، اقتداءا بالمهدي الذي يعيش في سرداب في سامراء في غيبته منذ قرون، وقد فعلته حرصا على الاستعلاء ومنع ألفة الناس لهم، هدفه إضفاء هالة من القدسية والتعظيم عليهم، فزاد الغموض والسرية من قوة وسحر المرجعية ومثالهما الابرز في الوقت الراهن خميني وسستاني.

- وادعاء المرجعية، خصوصا المراجع العليا النسب العلوي وأنهم" سادة " من نسل فاطمة، وضعهم في برج اجتماعي مقدس، تدين الجماهيرله بالولاء، ويعطيهم امتيازات مالية ودينية وسياسية كبيرة هيمنت بها على المجتمع الشيعي البسيط .

- وتزيّ المرجعية بألقاب ضخمة، مثل المرجع الأعلى وآية الله العظمى، وحجة الاسلام والمسلمين جعل لها هيبة مكتسبة أقوى من هيبة المراجع الشخصية " فيكفي أن يحتل فرد ما منصبا معينا أو يمتلك ثروة ما أو يتزيا ببعض الألقاب، حتى يصبح مكللا بهالة الهيبة مهما كانت قيمته الشخصية منعدمة أو منحطة"[١٦٧].

ويعلم المسلمون من سيرة رسولهم ﷺ أنه كان من صفاته : يهابه من رآه، ويحبه من خالطه. "أتى النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد " = لحم مملح مجفف[١٦٨]). وكان النبي يخالط الناس، ويسلم على الأطفال، ويمازح زوجاته وأصحابه، لرفع هذا التعظيم وإقامة علاقة إنسانية راقية بالتواضع والبساطة مع كل الناس. بل كان يحذّر من تعظيمه ويقول أنها من عادة الأعاجم !. فقد "خرج رسول الله ﷺ متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا"[١٦٩].

والخلاصة

هي أن المرجعية نخبة سياسية صغيرة محصورة في عدة سلالات عائلية من الفرس.وهي سلطة عالمية تنافس الحكومات المركزية لعزل وقيادة المجتمعات الشيعية في العالم الإسلامي. وكحال النخب السياسية، تعيش المرجعية معزولة ومحتجبة عن الناس ولا تتصل بهم مباشرة، وإنما عن طريق وسطاء .ولزيادة هيبتها وجني الأرباح المالية ادّعت أن لها إرثا من أهل

---

[167] -لوبون : ١٣٧

[168]- صحيح ابن ماجه للألباني 2693 .

[169] - حديث حسن/ ابن حجر العسقلاني- / هداية الرواة4/336)

البيت، الذي يعطي حامله امتيازات مالية واجتماعية وسياسية وراثية كبيرة في مجتمع طيـــب بسيط كالمجتمع الشيعي.

ولإحكام السيطرة على هذا المجتمع وجعله مجتمعا منعزلا ومنغلقا، وله وعي حاد بطائفيتـــه، استخدم المراجع آلية عزل نفسية واجتماعية خطيرة، جعلوها دينا أسموها **التقية**.

الفصل الرابع

التقية : آلية العزل الاجتماعي والتعصب.

وردت التقية في القرآن الكريم في سياق الآيـــة { لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّـهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّـهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى ٱللَّـهِ ٱلْمَصِيرُ }(آل عمران :٢٨).وهي رخصة للمؤمن بتلفظ كلمة الكفر بلـــسانه دون قلبـــه تخلصا من بطش الكفار وتعذيبهم عند سطوتهم . وهي استثناء لمن لا يطيق الصبر والتحمل ، ويقول علماء المسلمين : يبقى الأصل ثابتا وهو العزم والتحدي والثبات ولو أدى ذلـــك إلـــى هلاك النفس والمال في سبيل الله.

أما التقية عند المراجع الفرس :

فتعريفها :

- من الناحية العقائدية: " أن تقول شيئا وتضمر آخر، أو أن تقوم بعمل عبادي أمـــام سائر الفرق الإسلامية وأنت لا تعتقد به ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد بها في بيتك "[١٧٠] . وهي واجب يثاب فاعله ويعاقب تاركه، يقول خميني في كتابه(كشف الاســـرار): "إن كل من له أقل قدر من التعقل يدرك أن حكم التقية من أحكام الإله المؤكدة، فقد جاء أن من لا تقية له لا دين له "[١٧١]. وينسب إلى الإمام الصادق قوله " التقية دينـــي ودين أبائي" الذي يؤكده قمي بقوله : إن من يتخلى عن ممارسة التقية قبل ظهـــور قائم الزمان يكون خارجا عن دين الله، عاصيا الله ورسوله وإمامه. وقائم الزمـــان = المهدي المنتظر.

- ومن الناحية السياسية: " التقية في حالة الخوف من السلطات الغريبة عنه، فللمـــرء أن يعلن تأييده أمرا وهو يبطن فى الحقيقة معارضته "[١٧٢]. وأما عند الـــتمكن مـــن السلطة ! نعم حتى عند التمكن من السلطة " هي منهج لسلوك الاقلية فـــي مقابـــل الاكثرية في مجتمع معين وذلك بهدف الحفاظ على الوحدة الداخلية وضـــمان عـــدم تعريض الاهداف المشتركة الى الخطر وشماتة الاعداء، (ومثالها الأبرز سيرة علي حيال معارضي حكومته في الداخل)"[١٧٣].
- ومن الناحية الاجتماعية: فأفضل شاهد على التقية ما نسبه ابن بابويه قمي إلى الإمام جعفر قوله : لقد أسمع الرجل يسبني في المسجد، فأختبأ خلف عمود كي لا يراني"[١٧٤]

فالتقية إذن منهج كامل يصبغ جوانب الحياة المختلفة للمؤمن الشيعي فـــي الـــدين والـــسياسة والعلاقات الاجتماعية . وتتولد عن التقية بمعناها غير القرآني كثير من الآثار السلبية المدمرة منها : انعدام الكفاءة الاجتماعية، و تبخيس الذات، وتشكيل مجتمعات منغلقة ذات وعي حـــاد بطائفيتها، والتضليل والتعتيم في المواقف السياسية حتى تضيع معه الحقيقة وتنعدم الثقة.

وفي ما يأتي بعض من تفصيل الآثار السلبية المدمرة للتقية.

---

[170] - م.الموسوي١٩٨٧ :٥٢ .
[171] - العيص١٩٩٣ :١٣٢ .
[172] - عطية ١٩٨٨ : ٧٠ – ٧١ .
[173] - شريعتي٢٠٠٢ : ٢٥٧ .
[174]- النفيسي١٩٩٠ :٣٠ .

التقية" وانعدام الكفاءة الاجتماعية" :

عاشت الشخصية الفارسية أكثر من ٢٥٠٠ عام تحت نير الظلم والتسلط، فاصطبغت بعقدة الريبة والشك في علاقاتها بالآخرين مع عدم الإحساس بالأمان، نتيجة للاستبداد المبرمج للسلطات على مر العصور. لذا نشأ عند الفرس فن فريد في التعامل والتفاوض في شؤون الحياة: فهم يقولون "نعم" و"لا" في آن واحد.فنعم لاتعني الرضا والاتفاق، و"لا" لاتعني الاختلاف وعدم الاتفاق، هو (فن **نعم لا**)، أو فن التعارف.

كتبت السيدة كايدس في مجلة الجغرافية الوطنية تحت عنوان: إيران القديمة، داخل روح الأمة الفارسية في توصيفها ل لفن التعارف: في إيران نظام اجتماعي معقد في التعامل اليومي يسمى **التعارف**. وهو دستور غير مكتوب يحكم نشاطات الحياة جميعا في الضيافة، والحب، والشؤون العائلية، والمفاوضات السياسية. وحقيقة التعارف أنه إذلال النفس من أجل تمجيد الآخر.هو فن التظاهر، كما يصفه أحد السجناء السياسيين السابقين والذي يعيش في باريس الآن:... أن تبدو ناعما ومخلصا في حين تخفي مشاعرك الحقيقية! هو قمة التعارف، وهو رصيد اجتماعي كبير، فلا تظهر أبدا نواياك الحقيقية أوهويتك. وعليك التأكد أن لا تعرض نفسك للخطر، لأن تاريخنا مليء بالأخطار الكثيرة . وعند تعامله مع الايرانيين في الشؤون اليومية يقول عالم اللغات الانسانية في جامعة منيسوتا الامريكية وليم بيمان : للتأكد من تلبية احتياجاتك هناك كثير من الجلبة والهرج الذي يتحول فجأة الى موارية وخداع، فهم يحاولون أرضاءك أو هكذا يبدون ويرفضون العروض أوهكذا يبدون، النوايا الحقيقية غير معروفة: ذهاب ومجيء، توسلات وممانعات، قراءة للافكار وجذل وحبور، وحوار لامعنى له، الى أن تفصح الحقيقة عن نفسها [١٧٥].

وخلافا لرسالة الإسلام التحررية الداعية إلى العزة والإباء ورفض الظلم والمهانة يجعل قمي المهانة دينا عندما يطلب من الشيعي أن يختفي ويتوارى خلف عمود المسجد عندما يسمع رجلا يسبه! بدل الدفاع عن كرامته وعزته!. لقد حوّل قمي المسجد من مكان توثيق علاقة السلم الاجتماعي والهدوء النفسي بين المسلم والشيعي إلى مكان نزاع بينهما، في محاولة لعزل الشيعي عن بقية المسلمين، ليسهل استعباده.

في واقع الامر يهدر قمي بهذه التربية السلبية القيمة الإنسانية للمؤمن الشيعي، ويهدد توازنه ويفقده الاحترام الجدير به، ويملؤه بعار الاضطهاد من أجل أن يستسلم للرضوخ والاستعباد. وبالتالي، فإن المتدين الشيعي سيدجّن بالخضوع للآخرين ولن تكون له كفاءة اجتماعية، وسيكون جاهزا لخضوع أكبرعند تقليد" أسياد " طائفته الذين يمارسون تبخيسا لشخصيته واستبدادا سياسيا عليه.

التقليد تبخيس للذات:

التقليد هو علاقة عبد وسيد، أو جاهل وعالم كما يصفها شريعتي . فالتقليد ليس علاقة عالم بمتعلم، أو علاقة واجبات متكافئة وحقوق متبادلة، بل علاقة حاكم ومحكوم. فالمرجع حاكم مطلق والراد عليه كالراد على الله، فلا يجوز مساءلته عما يفعل، إلا ما يتكرم به هو على المقلد . فالمراجع الفرس ساسة مستبدون، وقد بنوا أستبدادهم على الاحتجاب عن الناس، والتزي بالألقاب الفخمة وكثرة المقلدين وأخذ الخمس من أموالهم، فهم تماما كحكام الشرق، "

[175] - NATIONAL GEOGRAPHY-august - 2008 :46

يسترهبون الناس بالتعالي الشخصي، والتشامخ الحسي. ويذلونهم بالقهر والقوة وسلب الأموال حتى يجعلوهم خاضعين لهم، عاملين لأجلهم، يتمتعون بهم كأنهم نوع من أنعام : يشربون من ألبانها ويأكلون لحومها ويركبون ظهورها، وبها يتفاخرون "[١٧٦].

لقد هيمنت المرجعية بهذا الأسلوب على الأتباع، فصاروا يتلقون أوامرها وإرشاداتها بإذعان دون بحث أو سوأل . وتخوّف المرجعية مخالفها بغضب الله والمقاطعة الاجتماعية وتفريق الأزواج. ولا مناص لأتباعها إلا بدفع الخمس و وتنفيذ أوامرهاإتقاءاً لهذا الغضب .وقد أجمعت آراء أكثر علماء الاجتماع على أن الاستبداد السياسي يتولد من الاستبداد الديني "والبعض يقول إن لم يكن بينهما توليد فهما أخوان، أبوهما التغلب وأمهما االرياسة، أو هما صنوان قويان بينهما الحاجة على التعاون لتذليل الإنسان، والمشاكلة بينهما أنهما حاكمان :أحدهما في مملكة الأجسام والآخر في عالم القلوب "[١٧٧].

وتسعى المرجعية لتطبيع الشيعة على تلقي أوامرها بمثل هذا الرضوخ والإذعان .فصار أكثر ما يقلق المؤمن الشيعي هو الاقتراب من نقد المرجعية، أو الحديث السلبي عنها. فاختلط في ذهنه الفرق بين الله الواحد القهار وبين المرجعية ذات السلطة والهيبة والتظاهر بالوقار : من حيث التشابه في استحقاق المزيد من التعظيم، وعدم المساءلة على الأفعال والاقوال. وبناء على هذا التشابه لا يرى المؤمن الشيعي حقا لنفسه في مراقبة المرجع، فضلا عن نقده، للفرق الهائل بين علم المرجع وجهله، وقوة المرجع وضعفه.

الإسلام عدو الاستعباد:

ليس هناك في القرآن ذكر لما يسمى " رجل الدين " أو مرجع، إذ يستطيع المسلم الاتصال بربه بدون واسطة . وقد جاء القرآن سهلا ميسرا، يفهم مقاصده الأساسية كل مسلم.

والإمامة عند المسلمين نوعان : إمامة صغرى، وإمامة كبرى.

والإمامة الصغرى :
هي قيادة الصلاة في المسجد . ويستطيع قيادة الصلاة أي مسلم بشروط بسيطة منها حفظ وحسن قراءة القرآن، ومعرفة أحكام الصلاة، والبلوغ. وأهم الشروط التقوى ، وأن يكون المسلم ذا خلق عال رفيع يكسب به احترام الناس وتقديرهم. وعمليا يمكن لأي مسلم أن يقود الصلاة اذا علم أركانها وشروطها وهيئتها.

وهناك العالم المسلم، مهمته التوجيه والإرشاد الأخلاقي مع إمامة الصلاة . كما له دور سياسي بإبداء الموقف الشرعي والنصح في المواقف السياسية التي تخالف قوانين الإسلام. و يتقاضى راتبه من الدولة باعتباره مواطنا مسؤولا يؤدي واجبا، ولا يأخذ مالا من المسلمين أبدا. و ليس له سلطة سياسية عليهم كما هو حال بابوات الكنيسة الكاثوليكية، أو المراجع الفرس.

---

[176] - عمارة ١٩٧٥ : ١٤١ .

[177] - المصدر نفسه:١٤١ .

أما الامامة الكبرى أو الخلافة وفق التصور الإسلامي فهي منصب سياسي لشخص تتوافر به شروط خاصة وينتخبه المسلمون وفق مبدأ وآلية الشورى . وظيفته قيادة المسلمين وضبط النظام الاجتماعي لهم وفق الشريعة الاسلامية . فليس للخليفة أو الإمام حق إلهي! بل إنه عرضة لأن يحاسب أمام القضاء المستقل كأي إنسان عادي إذا كسر قانون الشريعة أو أخلّ بالنظام. إذن فوظيفة الشريعة هي تحصين المجتمع من الاستبداد والاستعباد. يقول المفكر المصري فهمي هويدي: " لقد كان هناك حكام مستبدون في تاريخ الإسلام.هذا صحيح، ولكن الذي لا يدركه كثيرون ولايلحظونه هو أن هؤلاء المستبدين جميعا لم يستخدم واحد منهم سلطة التشريع لتمكين استبداده أو إعطائه صفة شرعية . ولم تسمح له الشريعة بذلك" . ويواصل القول: "إن المستبد بقي في شريعتنا خارجا عن القانون، وسيبقى كذلك إلى الأبد .إن استبداده يبقى في نظر الناس جميعا استبدادا خارجا عن القانون، وخروجا على الشريعة وقوانينها"[١٧٨] .

فالإسلام عدو للاستبداد والاستعباد، بل إن من أهم وظائفه تحرير الإنسان من عبادة الأنسان ومن ظلم وقهر الأنسان لأخيه الأنسان.

الشيعي إنسان مقهور:

إن الطلب من الشيعي الاختباء عند الاهانة بدل المواجهة وعلاقة التجهيل بدل التعليم والاستعباد وتنفيذ ألاوامر بإذعان دون بحث أو سؤال والتخويف بالمقاطعة والعقاب عند عدم الطاعة، هي وسائل لزرع الرضوخ، المسهّل للاستعباد : تسلط من المرجع واستكانة من المقلد، فالشيعي في النهاية هو إنسان مقهور ويعامل بقسوة دون ادنى احترام لمشاعره، أو الاحساس بمعاناته.

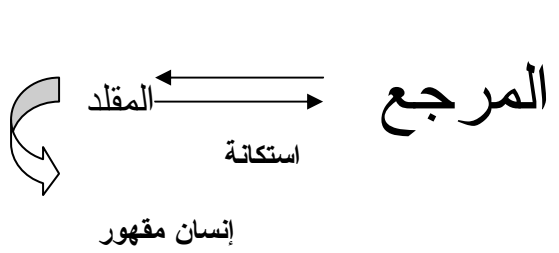

"والواقع أن السيد لا ينظر إلى الآخر المقهور كإنسان فعلي .إنه يفقد التعاطف معه والإحساس بمعاناته وآلامه ومخاوفه وحاجاته .ومن هنا تنشأ القسوة البادية في تصرفاته تجاه من يخضعون له، تلك اللامبالاة إزاء معاناتهم"[١٧٩] فكيف يتوقعون أن يعطيهم حقوقهم!.

ويمكنك أن تجد مثالا لهذه المعاناة والقسوة في ملحق رقم ٨ من كتاب " عراق بلا قيادة" للكاتب العراقي عادل رؤوف . والملحق نص رسالة مؤلمة إلى المرجع كاظم حائري شيرازي كتبها أحد مقلديه، وهو محمد مهدي الساعدي، موفد بعض معارضي النظام العراقي في الداخل، كتبها في قم الإيرانية في ١٣ شعبان١٤٢٠ هـ نقتطف جزءً منها.

لقد كان سبب كتابة الرسالة هو"إعلان موقف وتعبير عن الاحتجاج لما بدر من سماحتكم (يقصد حائري) من أسلوب التعامل الغريب وغير المرضي والإهانة البالغة التي لحقت بي

---

[178]-هويدي ١٩٩٩ :١٢٢-١٢٣ .

[179] - حجازي ١٩٨٦ : ٣٧ .

وبإخواني المؤمنين في بيت سماحتكم. لعلي أنفس عن غيظي او أجبر خاطري الذي كسرتموه وأبيتم جبره" . ثم يستمر الساعدي فيبين غضب حائري عليه عندما ذكر له أن مرجعية خامنئي لها امتداد في العراق "وعندما أتيت إلى هذا المقطع من كلامي احمّر وجهك فجأة وانتفخت أوداجك ونهرتني سائلا مستنكرا:هل تريد أن تقول لي أنني ضد مرجعية السيد الخامنئي في العراق؟" . ثم يبدي الساعدي اندهاشه وتعجبه من طريقة " السيد" في التعامل القاسي معهم وإهانتهم.ومع هذا لا يفتأ يستخدم عبارات التعظيم والتبجيل له فتارة يكنيه" بسماحة السيد" وأخرى "سيدنا الجليل"، ولا يزداد السيد إلا إهانة لهم حتى تركهم جلوسا في داره وخرج بدون أدنى احترام لمراسيم الضيافة .ثم يصل الساعدي إلى وصف هذا التعامل القاسي بأنه لا يقدر عليه حتى العبيد فيقول:" وجربت طريقتكم في التعامل فكانت فظة غليظة- كما بدت لي- فكيف إذا كانت مدعومة بمركز قيادي مرموق، وولاية شرعية لا يقوى على مقاومتها معترض...فإن ولايتكم على هذه الطريقة لا يقدر على حملها حتى عبيد القرون الوسطى"![180].

وبسبب طول معاناة المقلد واجتراره مأساته، تنغرز في لا وعيه، ملامح قبول وهضم معاني الذل والمهانة، وهذا التبخيس يؤدي الى الاحساس بالدونية وعدم احترام الذات، الذي يأخذ شكلين رئيسيين اثنين :

(١) التعظيم و الإعجاب بالسيد (المرجع) والاستسلام له .

(٢) القسوة على الذات وإهانتها بجلد الذات في لطم الصدور، وتطيين الرؤوس، وشق الرؤوس في مجالس العزاء، والزحف على الأرجل و البطون وصولا إلى ضريح الحسين .

الزحف على الأرجل : أخطرأساليب الاخضاع.

180 - رؤوف- ب-٢٠٠٦ :٥٧٢-٥٧٧ .

رد الاعتبار الذاتي...أولا :

إن علاقة التسلط الدائم على المقلد، وما تورثه من إحساس بالعجز والمهانة والقهر، تؤدي إلى ظهور مجموعة عقد تصبغ حياة المقهور، أهمها عقدة النقص، وعقدة العار، فتضطرب حياته، وتتلوث بحزن وكآبة تقتل فيه الإرادة والهمة، وتحي مكانهما التواكل والعجز واللجوء إلى الخرافات والأساطير.

لماذا ؟

لأن عقدة النقص تصبغ عموم الشخصية الإنسانية بعقدة الانغلاق، وعدم القدرة على الاقتحام، والخوف الدائم من المجهول، مع الإحساس الدائم بالتهديد الخارجي فـ"إن عقدة النقص تجعل الخوف يتحكم بالإنسان المقهور:خوف من السلطة، خوف من قوى الطبيعة ،خوف من القدرة على المواجهة، خوف من شرور الآخرين. وهذا يلقي به في ما يمكن تسميته بانعدام الكفاءة الاجتماعية " [١٨١] . لذا كثرت في مفردات ألادب الفارسي كلمات:

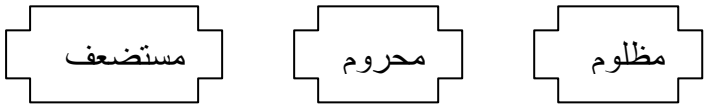

أصبح المتدين الشيعي، وهو يقوم بواجب التقية، يمارس الكذب فيعيش حياة ملؤها التوجس والحذر وعدم الثقة، كما لو كان يحمل عارا أو جرما يخشى انكشافه، . وبذلك تنطفئ قدرته على مواجهة العالم الخارجي أو اقتحام مشاكله مع إحساسه الدائم بالتهديد، يرافق هذه الاحاسيس المؤلمة وموازٍ لها خطاب عاطفي تعويضي عن العزة والكرامة المسلوبة ." . ومع عقدة العار نضع الإصبع على ما يمكن تسميته نفسيا بالجرح النرجسي، أي .. الكرامة المهددة . ولذلك فالعزة والكرامة تحتل مكانة أساسية في خطاب الإنسان المقهور : بقاء الرأس عاليا، والاحتماء من كلام الناس، قضايا مصيرية بالنسبة له"[١٨٢] . فيصبح للمقهور، أولوية هي رده لاعتباره الذاتي، لأنه لا يحتمل إدانة نفسه ووزر العدوانية المتراكمة داخلها بصورة دائمة فيفرغهما بجلد الذات في:

- **مجالس العزاء** في محاولة للهرب من هذه الأحاسيس المؤلمة.
- **طقوس عاشوراء** التي تغرقه بفكرة الخلاص .

وعلى عكس الهرب من هذه الأحاسيس المؤلمة، يشيع عند المقهور كذلك اجترار مأساوي لوجوده بتعميم الحزن على كل شيء في الحياة في الثقافة والسلوك والوجدان، فغلب على المؤمن الشيعي لبس السواد وأصبح أكثر ما يطربه سماع الموسيقى الحزينة والأغاني الكئيبة ،بل صار أكثر ما يستمتع به هو سماع "المقتل"(مقتل الحسين) وترانيم المناحات عليه.

وإذا فشل إنسان بردّ الاعتبار لنفسه تراكمت داخله مشاعر مؤلمة لا يمكن كبتها أو تخفيفها تتجاوز جلد الذات، ولا بد لها من تصريف إلى الخارج. وللتخلص من هذه المشاعر الموذية

---

[181] - حجازي ١٩٨٦ :٤٣

[182] - المصدر نفسه: ٤٥ .

التي زرعتها التقية، يتهم المقهور الآخرين بذات المشاعر الذي يحملها، ويراهم سبب معاناته، وآلامه ، لتبريرعدوانه عليهم، في عملية إسقاط نفسية، وبهذا الاسقاط يدخل حامل المعاناة في مرحلة الاضطهاد.

وجوهر الاضطهاد يدور حول تحديد الذنب والبراءة في العدوانية " هو عدوانية تنطلق من إدانة الآخر وإلصاق الذنب فيه وتحميله مسؤولية ما نخشى أن نجابهه إزاء ضميرنا. فيتحول الآخر في الاضطهاد إلى مذنب يجب عقابه، مما يجعل العدوانية التي تصب عليه مبررة ومشروعة"[١٨٣].

إذن سيتأرجح المسلسل النفسي لممارس التقية بين باطن خفي مظلم، وسلوك علني ظالم هكذا:

تقية خفية ← كذب علني ← شعور خفي بذنب الكذب ← سلوك علني مضطرب ← إسقاط عقدة اضطهاد خفية ← اتهام علني للآخرين بالسوء ← انتقام من الآخرين بالقول والعمل.

فالمضطهد، في ممارسته الاسقاط النفسي، يقلب الحقائق، فلا يرى أن التربية الإذلالية الدائمية التي مارستها المرجعية عليه هي التي ولدت إحساسه بالدونية والقهر والمظلومية، وإنما يتهم عامة المسلمين بها لتبرير العدوان عليهم نافيا التهمة عن المرجعية !.

الإسقاط آلية النخبة لتبرير العدوان:

الإسقاط هو عملية تخلص من مشاعر سيئة واتهام الآخرين بها . فالإسقاط "آلية يطرد الشخص من خلالها تهمة صفات أو مشاعر أو رغبات أو نزوات أو أفكار لا يعترف بها ولا يستطيع أن يقبلها كجزء من ذاته .إنه يطردها كي يركزها في الخارج في أشخاص وظواهر مادية وعلاقات ملصقا إياهم بها، ونافيا للتهمة عن ذاته" [١٨٤] .

صحيح أن الإسقاط عملية نفسية تمارس كثيرا في علاقات الحياة اليومية كإحدى الوسائل الدفاعية لإبقاء النفس الإنسانية متماسكة ومتزنة، حتى لا تتعرض لأمراض نفسية مدمرة، ولكن أن يكون الإسقاط آلية سياسية/دينية فذلك في غاية الخطورة . ومصدر الخطورة هو إلقاء شعب من الشعوب لكل إخفاقاته الاجتماعية وانتكاساته السياسية المتكررة على الآخرين، وجعلها دينا مقدسا، وليس على عجزه أو قصوره الذاتي: في القيادة، أوأساليب الإدارة، أو وسائل التربية ومناهجها، ويجعل الآخر سببا لفشله وبالتالي اضطهاده، مما يوجب وضعه موضع لومه وتأنيبه لتبرير العدوان ضده.

وقد تجلت عملية الإسقاط عند النخبة الفارسية، التي تعيش ضمن مجتمع كبير من المسلمين، في استخدام **الرمزية** المضغوطة في كلمات وعبارات سياسية **مشفرّة** . وتستخدم هذه الرمزية كرسائل تدعو إلى العنف والانتقام ضد قادة المسلمين ،لأن النخبة الفارسية تحمّل هؤلاء القادة مسؤولية فشلها السياسي وانهيار الإمبراطورية الساسانية. مثال ذلك:

الشفرة الشيعية	ما ترمز إليه
الناصب	المسلم من أهل السنة والجماعة
الجبت والطاغوت	أبوبكر وعمر

[183] - المصدر نفسه: ٢٤٧ .

[184] - المصدر نفسه:٢٤٦ .

الثلاثة الذين قبله	الخلفاء الراشدين قبل علي بن أبي طالب
كاسر الضلع ومسقط الجنين	عمر بن الخطاب
نعثل	عثمان بن عفان
ثأر الله	الحسين
ثارات الحسين	شعار للانتقام

ولقد تعزز وكثر استخدام الإسقاط النفسي ليس ضد القادة فحسب بل الأتباع كذلك، ويمتد حتى يشمل المسلم العادي، الذي فتح أجداده بلاد فارس، لتبرير الاعتداء عليه. فمثلا يعلن خميني الحرب الدائمة على الناصب والاستعداد المتواصل للانتقام منه اينما وجد، عندما يلحقه بأهل الحرب، مستبيحا دمه وماله وعرضه فيعرضه للعدوان في الحاضر والمستقبل. ومن هنا يرى خميني الناصب عدوا تاريخيا دائميا، فهو رمز السوء والإحباط الذي لحق بالفرس، فيتحول الناصب بتكرار التعريض به رمزا للشر ليس له حرمة مصونة، بل بالعكس لا بد من الاعتداء على حقوقه للتشفي منه .إن هذا الاعلان هو جوهر الإسقاط النفسي، لعقدة الاضطهاد التي سممت نفسية خميني!.

لكن ألا يعلم خميني :

- أن التحريض والإعلان عن نية مبيتة للاعتداء على الناس بطريقة غير قانونية ولا أخلاقية، تحرمها الأديان السماوية والقوانين الوضعية، بغضّ النظر عن دين ولون واعتقاد الإنسان. فأموال الناس وأعراضهم وحياتهم لها حرمة معظمة في كل القوانين والأديان.
- وأن صك براءة " الناصب"، وهو المسلم المعاصر، يتمثل في :

أولا: إنه لم يكن مشاركا لحادثة وقعت قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة!

وثانيا: إنه لا يحمل بغضا وعداوة لعلي . بل لقد خالط حب علي وبنيه قلوب المسلمين، بدليل أن اسم علي وألقابه مثل حيدر وسيفه " ذو الفقار "، وبنيه الحسن والحسين، وأعمامه حمزة والعباس، هي من أكثر الاسماء انتشارا بين" النواصب "، ولا يسمي أحد بهذه الأسماء إلا حبا واقتداءا .

الإسقاط النفسي تبرير للفشل والإحباط :

لقد برعت النخبة في كثرة استخدام الإسقاط في حربها الدعائية ضد المسلمين لتبرير فشلها وإحباطها، والتنفيس عن عقدها . وهناك أمثلة كثيرة عن هذا الإسقاط منها:

١- تكفير النخبة للصحابة وسبهم وسب أتباعهم بادعاء أن المسلمين يكرهون آل البيت،

٢- وممارسة الطائفية المعلنة الحادة. ويا له من إسقاط نفسي على ممارسات طائفية غير معلنة للدولة العراقية .

٣- واسقاط حقيقة الطائفة الشيعية على الغالبية العظمى للمسلمين ووصفها بالطائفة السنية!.

- أن المراجع من الشيخ المفيد إلى مجلسي وحتى خميني يكفّرون رموز المسلمين وقادتهم الصحابة، خصوصا الخلفاء الراشدين . ويتعبد "السادة" الفرس بسب الصحابة، والتحريض ضدهم، في مجالس العزاء، والمجالس العامة، وفي الزيارة والدعاء، وقد سودوا، الكتب والمجلدات ضدهم ملئت بذاءة وفحشا وتطاولا.وتتهم

وسائل إعلامهم المقروءة والمسموعة الآخر،وهو " السني " بكره أهل البيت ! بينما "السني" مبرأ من هذا الاتهام تماما، وهو ذو ولاء حقيقي لأهل البيت، بل يتعبد بحبهم في صلاته خمس مرات في اليوم والليلة : فيدعو المسلم بالصلوات الإبراهيمية في تشهده عند الصلاة قائلا:

"اللهم صل على محمد وآل محمد،
كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم،
وبارك على محمد وآل محمد ،
كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم،
في العالمين ، إنك حميد مجيد".

- ويردد الكتاب والمنظرون الشيعة مثل عادل رؤوف وحسن العلوي عبارات مثل أن " الطائفية غير المعلنة" و"الحكم السني غير المعلن" كانت أهم ركائز السلطة في العراق والدول العربية كلها.

علما أن الدولة العراقية قامت على أساس علماني ليس للدين أو المذهب أي دور فيه . واتخذت القومية العربية هوية جامعة، باعتبار أن العرب يشكلون أكثر من ٨٠% من سكان العراق . ولم يتجرأ أحد طوال عمر الدولة العراقية منذ تأسيسها ١٩٢١ م وحتى سقوطها عام ٢٠٠٣ م، أن ينبس ببنت شفة عن الموضوع الطائفي أبدا ومالزيادة الهائلة في نسبة الشيعة في بغداد والبصرة الا دليل واضح على عدم طائفية الدولة .

وبالمقابل يصف مروجو الكتابة الطائفية الشيعية الصريحة، وشعاراتها العلنية، وممارساتها المتطرفة، وتحريضها الطائفي المستمر والدائم على وسائل الاعلام، بأنها مجرد انتماء ديني عفوي!. فعند الحديث عن التمرد المسلح في جنوب العراق في آذار ١٩٩١ الذي رفع الشعار الطائفي الخطير "ماكو ولي إلا علي! ونريد حاكم جعفري !" (ماكو=لا يوجد) ، ورفع صور خميني على رؤوس الناس، يبرر عادل رؤوف هذا الفعل الطائفي المفضوح فيقول: أنها إشاعة ! وفعل عفوي مبرر " ومنها ما أشيع وروجت له وسائل إعلام السلطة والخارج حول قيام دولة شيعية في جنوب العراق .. ومنها أيضا الترويج لتدخل إيراني طائفي .هذه كلها تجليات للعقدة الطائفية في موضوع الانتفاضة..إلا انها تجليات مفتعلة في قسم منها من قبل السلطة والخارج، من أجل إفشال الانتفاضة أو تجليات سطحية لا تستبطن خطرا في مضمونها الطائفي، كالشعارات التي رفعها المنتفضون . فهي شعارات لا تنم عن وعي طائفي بقدر ما تنم عن انتماء تديني عفوي أقرب للفطرية منه للتربية الطائفية الواعية" [١٨٥] . ولكن

ماذا سيقول السيد رؤوف عن الوضع في "العراق الأمريكي" الان، من سوء حكم الأحزاب الطائفية في العراق في ظل الاحتلال، بالإعلان الطائفي الحاد والمحاصصة الطائفية المقننة وكثرة الحديث عن مظلومية أهل البيت . حتى أسس الليبرالي أحمد الجلبي، وبتوجيه من المرجعية، (البيت الشيعي) الذي تطور وصار (الائتلاف العراقي الموحد) الذي ضم الأحزاب

[185] - رؤوف- ب- ٢٠٠٦ :٤٧٢-٤٧٣ .

الطائفية فقط دون غيرها . فوضع الجلبي الطائفية المفضوحة فوق البرنامج الوطني، مما أدى إلى استغراق قادة التشيع الصفوي في ممارسات استئصالية وإبادة جماعية وتطهير طائفي ضد العراقيين،فاقت الخيال وبتوجيه من الولي الفقيه،المقيم في طهران.

- وأما عن المقابلة بين الطائفة الشيعية والغالبية العظمى للمسلمين ووصفها "بالطائفة السنية" فهي إحدى إبداعات القاموس السياسي الصفوي ، والذي بدأه مجلسي عند وصفه عمر بأنه " خليفة السنّة"، و رددها أتباع مجلسي ومريدوه . ووقع به خطأ وجهلا بعض الساسة والمثقفين من المسلمين.

إن الاقلية الطائفية في التعريف السياسي هي شريحة صغيرة في مجتمع كبير، لها وعي حاد بطائفيتها، وتعتقد أنها صاحبة الحق والحقيقة، وأن الدين الحقيقي هو دينها . وهي على صراع دائم مع المجتمع الكبير ولا تعترف بأعرافه وقوانينه. وقد لاحظ عالم الاجتماع (ولسن وولس) أن الطائفة الصغيرة غالبا ما تصطرع مع المجتمع الكبير، بسبب أنها تدعي أن الحقيقة الكاملة عندها فقط دون غيرها من الناس، ولهذا فهي ترفض أو تتجنب المجتمع الكبير وقواعد السلوك فيه[١٨٦] . وطائفة الشيعة جزيرة صغيرة لاتتجاوز ١٠% من المحيط الإسلامي الواسع . ويرفض القادة، من الشيخ المفيد حتى خميني، المجتمع الإسلامي الكبير ويعادونه، ويعدون مذاهبه باطلة ! حتى لقد وضعوا قاعدة مطردة في السلوك وإصدار الحكم ضده، نسبوها ظلما إلى الامام الجليل جعفر الصادق تقول:

" خذوا ماخالف القوم أو العامة، ففيه الرشاد"

والقوم أوالعامة هم عامة المسلمين، وهم أمة كبيرة تعدادها أكثر من مليار وربع مليار مسلم، تتنوع فيه الرؤى والاجتهادات والمدارس، فلا يمكن أن ينطبق عليها تعريف الطائفة الذي يختص بالأقلية الصغيرة. ولكن جريا على استخدام الإسقاط الذي أبدع فيه مروجو التشيع الدخيل تراهم يسمون هذه الأمة الكبيرة " الطائفة السنية" مقابل الطائفة الشيعية، من أجل تحجيم سياسي خطير للغالبية العظمى للمسلمين، ومحاولات ذكية لعزل وفصل الأقليات الشيعية عن محيطها العربي/ الاسلامي .

ممارسة التقية وعي ذاتي حاد بالطائفية:

يطالب أساطين التشيع الدخيل، من المتدين الشيعي- وهو من يمارس التقية – أن يبقى مستقلا عن المجتمع المسلم الكبير، ولا يندمج به، ويبقى متميزا باعتباره عضوا في أقلية صغيرة ذات هوية اجتماعية خاصة، فاصبح الشيعي ذا وعي طائفي حاد يحول دون اندماجه في المجتمع الكبير: يريدون منه أن يعيش بين الآخرين في وطن واحد ولكنه في الحقيقة منفصل عنهم، وهو يبدو في سلم ظاهري مع الآخرين، ولكن نفسه متوترة محتقنة قد تنفجر في أية لحظة، فالتقية مهمتها خلق شخصية متعصبة طائفيا عن طريق الوعي الحاد بالهوية الاجتماعية، الغرض منها تشكيل عداء حاد ضد الآخر[١٨٧].

---

[186] - Jorgensen et al 1997 :629.

[187] - Jary & Jary 1991:204 .

ويعتقد شريعتي أن عيش الاقلية في المجتمع الكبير والانفصال عنه في الوقت نفسه، هو سلوك سياسي صحيح للحفاظ عليها "فالتقية إذن هي غطاء يلجأ إليه الشيعي في الحفاظ على عقائده من الضياع والاندثار دون أن يعرض المجتمع المسلم الكبير إلى خطر التشتت والفرقة والخصام" [١٨٨]. فلا يرى شريعتي الدين الإسلامي العام أو الوطن الكبير هو الهوية الجامعة، بل يريد للشيعي أن يتميز بعقائد مختلفة، وعليه أن يحافظ عليها سرا لأنه مختلف عن الآخرين .يلجأ شريعتي بهذه الطريقة إلى ما يعرف بـ "حيلة الوحدة"، التي مارستها الحركة الفاشستية مع أتباعها في الغرب: فهي تؤكد [على أتباعها] أننا مختلفون عن الآخرين ولنا خصال مميزة، ولكننا متساوون بيننا – باستثناء القيادة العليا- وبالوقت نفسه تقول : أننا لا نختلف عن المجتمع الكبير[١٨٩].

لقد كان خميني أكثر وضوحا من شريعتي في تعريف التقية: فهي سلوك سياسي لأقلية ليس سببها الخوف على النفس من الإيذاء ، بل هي أداة سرية للحفاظ على المذهب الذي يخالف المذاهب العلنية الأخرى . فالشيعة "لا يستخدمونها خوفا على النفس من الهلاك وإنما حفاظا على المذهب من الاندراس "[١٩٠] . فالتقية اذن آلية سياسية ذكية تحاول جعل الشيعة أقليات منغلقة، منعزلة عن المجتمع الكبير تربطها معه ومع الجماعات الأخرى علاقات توجس وريبة . وبهذا يتحول الشيعة إلى " جماعات متفاوتة في كبرها مغلقة على ذاتها، تشد أفرادها إليها بقوة لا تقاوم، وتقوم بينها وبين الجماعات المتجاورة علاقات صراع وعداء وحذر واضطهاد"[١٩١].

فالوعي الطائفي الحاد يؤدي الى الاحساس بالتمايز وعدم الثقة بالآخرين منتجا التعصب. والتعصب في حقيقته الاجتماعية هو اعتبار أن الطائفة هي الأصل الذي يؤدي إلى التمايز وفقدان الثقة بالآخرين الذين يعيشون في مجتمع واحد. ويؤكد التعصب على أن الطائفة هي الأهم والأعلى، وأن حضارتها هي أرقى وأعظم في كل المناحي القومية والثقافية والأخلاقية، فيصبح الشخص لا يثق بمن يعتبرهم غرباء عنه [١٩٢]. إن هذا التعصب الطائفي العنصري، المناقض لحقائق الاسلام، تجده واضحا في كتابات أئمة التشيع الدخيل :

> فهم يدعون أن أرواح الشيعة أرقى الناس خلقا، وهي مخلوقة من نور الله .
> ووحدهم يدخلون الجنة وغيرهم في النار. وأن الآخرين أنجاس وهم الأطهار.
> يروي كليني في كافيه عن أبي عبد الله أنه قال :"إن الله خلقنا من نور
> عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة تحت العرش، فأسكن
> ذلك النور فيه، فكنا خلقا وبشرا نورانيين، لم يجعل لأحد مثل الذي
> خلقنا منه نصيبا.وخلق شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة
> أسفل تلك الطينة، ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا الأنبياء.
> ولذلك صرنا نحن، وهم الناس، وسائر الناس همج للنار وإلى النار" .
> وأنه بسبب هذا الخلق الراقي فهم وحدهم يدخلون الجنة، وغيرهم في النار!
> ففي قول منسوب إلى علي أنه قال :
> سيؤتى بالرجل من مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن جاز الولاية والتقية...الخ،

---

[188] - شريعتي ٢٠٠٢ :٢٥٧ .
[189] - Adorno 2001 : 36 .
[190] -خميني :٦١ .
[191] - حجازي ١٩٨٦ : ١١٦ .
[192] - Jary & Jary 1991 :203

ويوقف بإزائه ما بين مائة أوأكثر من النواصب ، فيقال :هؤلاء فداؤك في النار فيدخل هؤلاء الجنة وأولئك النواصب النار!.
ويعتقدون بنجاسة مخالفيهم مطلقا، من أهل الكتاب والنواصب والخوارج ".
فعن خالد القلانسي قال :قلت لأبي عبد الله :ألاقي الذمي فيصافحني؟ قال امسحها بالتراب وبالحائط! قلت: فالناصب؟ قال :اغسلها!" أما خميني فيقول في كتابه تحرير الوسيلة: وأما النواصب والخوارج لعنهم الله فهما نجسان من غير توقف "[١٩٣].

ولا تجد مثل هذا التعالي العنصري الصارخ إلا في الشعارات التي رفعها هتلر إبان الحكم النازي "ألمانيا فوق الجميع " وموسوليني "إيطاليا فوق الجميع ". أو كما أورد القرآن {وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ}(سورة المائدة:١٨).

فوظيفة التقية السياسية تتجلى في أمرين يؤديان إلى الوعي الحاد بالطائفية والانعزال عن المجتمع الكبير وهما :

(١) الحفاظ على عقائد ومذهب ألاقليات الشيعية ومنعها من الاندماج في المجتمع المسلم الكبير.

(٢) التظاهر بالتعالي العنصري في المناحي الاجتماعية والاخلاقية والحضارية .

إن سياسة الخوف من الذوبان في المجتمع الكبير، والتعالي العنصري الذي تبنته القيادة، سيجعل المجتمع الصغير مجتمعا متماسكا منعزلا، لا يقبل العيش مع الآخر، و ينغلق على تفكير جمعي واحد . وهكذا نجح المراجع في عزل ألاقليات الشيعة عن مجتمعاتها الأصلية حتى أصبح المجتمع الشيعي منغلقا جدا، ومتحدا في دينه وسياساته تحت إرشادات شبيهة إلى حد كبير بالتي تفرضها التعاليم الزرادشتية الفارسية [١٩٤].

التفكير الجمعي للطائفة:

التفكير الجمعي هو محاولة القيادة للحصول على موافقة الكل على حساب التفكير النقدي . فيكون لب التفكير الجمعي هو الولاء الأعمى الذي يمنع عضو الجماعة من زعزعة انسجامها، سواء بالشك في الحجة الضعيفة، أوالتفكير غير المعقول [١٩٥].

ومن صفات التفكير الجمعي داخل جماعة طائفية:

- الانخداع بمناعة وحصانة الجماعة نتيجة إجماعها.
- التبرير الجماعي للمواقف.
- الاعتقاد بالخصال والأخلاق العالية للجماعة .

---

[193] - الدليمي-أ- ٢٠٠٧ : ٢٣٦ -٢٣٩ .
[194] -. POLK W . 2005 :60
[195] - Coon 1992 : 630

- الضغط على المخالفين داخل الصف برقابة ذاتية تجهض أي فكرة تعكر صفو الرضا بالجماعة.
- الاتفاق الداخلي على وصم ثابت للجماعات الخارجية عادة يشوهها بشكل مفرط .

يهدف العقل الجمعي، إلى خلق انسجام ظاهري، وإجماع موهوم، لزيادة ثقة الجماعة بنفسها . ومما يعزز العقل الجمعي وجود قيادة قوية موجهة تبسط سلطانها على الجميع لتجعلهم يندمجون بالجماعة احتماء بها[١٩٦]. وبهذا يفتقد التفكير الجمعي لأي شريحة، خصوصا الكبيرة منها، الى البدائل . ويمنع الرأي المخالف داخل الصف . بل يجعل المخالف يغير رأيه وأفكاره للالتحاق بالجماعة نتيجة ضغطها عليه. فالطائفية لا تقبل مخالفا أو خروجا على نظامها ولا تقبل الشورى أوالديمقراطية . فقد لاحظ علماء الاجتماع ....أن الطائفية مرتبطة بالتسلط، والتعصب، والتطرف، وأسلوب الإقصاء، ومنهج مبطن ضد فكرة الديمقراطية، وعدائية ضد الآخرين خارج الطائفة[١٩٧]. وقد تجلت هذه السياسة بشكل واضح عندما قامت الأحزاب الطائفية الحاكمة في العراق، بعد الاحتلال الأمريكي، بتصفية كل الذين تحولوا مذهبيا من طائفتهم، لئلا يحصل انهيار داخل الطائفة بعد أن أطلقوا عليهم اسم "الخوارج". وأصدروا في مايس/مايو ٢٠٠٣ قانونا إقصائيا استئصاليا ليس له نظير في قوانين وشرائع الدنيا، يستأصل فكرا، ويعاقب البريء بإساءة المذنب من حاملي هذا الفكر أسموه " قانون اجتثاث البعث ".

ومن حقائق علم الاجتماع أن سياسة الطائفية المنغلقة تقسم الوطن الواحد الذي تعيش فيه مع الآخرين إلى: " عالمين متناقضين تماما : الخارج والداخل . فأما الخارج فهو العدو ومصدر الخطر والشر. وتكون العلاقة معه عداء أو اضطهادا، ويصبح الموقف منه إما انسحابا تجنبيا أو هجوما تدميريا . وأما الداخل فهو الخير كله، وهو مصدر الامن والشعور بالانتماء ومصدر الهوية الذاتية، وبالتالي هو المرجع والملاذ"[١٩٨].

ولعل هذا يفسر كيف أن المتعصب طائفيا هو انتهازي استئصالي بطبعه، لا يستطيع مشاركة الآخرين أو العيش معهم سوية . وعندما تحين فرصته باكتساب أسباب القوة كالسلطة والمال، تبرزعنده عقدة التفوق بدل عقدة النقص، وعقدة الجبروت بدل العجز والاستسلام، وعقدة الاستعلاء بدل انعدام المكانة . فيصبح المتعصب آلة تدميرية للفساد والتخريب، يكتسح الآخرين معتقدا أن كل الزمن قد أذعن له، فتظهر تصرفات هائجة فيها تسرع وطنين وصخب، تعتقد أن كل شيء في متناولها . ويطغى حبور على المزاج، يصبغ المستقبل بتفاؤل مفرط مبالغ فيه، دون سند كاف من الواقع"[١٩٩].

ومن أبشع الأمثلة لهذه التعصب العدائي، ما اقترفته الأقلية الفارسية وعملائها بعد تمكنها من السلطة عند السقوط المشؤوم لبغداد عام ٢٠٠٣. فعلى الطريقة الصفوية الاستئصالية ارتكبت هذه الزمرة جرائم وفضائع ضد العراقيين، لم يشهد لها التاريخ مثيلا! وقد شاهدها الناس على وسائل الاعلام العربية والدولية، وفي برامج وثائقية، كالذي عرضته القناة الفضائية الانكليزية الرابعة في نوفمبر ٢٠٠٦، غير مبالين بمراقبة المنظمات الدولية أو القانون الدولي، متجاهلين المسؤولية القانونية والدستورية للحكومة التى يديرونها: في الحفاظ على أرواح وممتلكات الناس، وحفظ النظام العام. فقاموا بجرائم وفظائع، تتضاءل امامها جرائم أسيادهم في الادارة

---

[196] - DEAUX et el 1993 :332-334

[197] -- Jary &Jary 1991 : 204

[198]– حجازي ١٩٨٦ :١١٤–١١٥ .

[199] -المصدر نفسه :٥٤ .

الامريكية فهم وهذه الادارة في الحكم سواء، وكان الشيعة العرب، من أول المكتـــوين بهـــذه الجرائم البشعة .

ومن العناوين الكبيرة لجرائمهم:

- جرائم إبادة جماعية وتعذيب للأبرياء باستخدام آلة الثقب الكهربائية.
- القتل على الهوية.
- إلقاء الجثث في الطرقات والأماكن القذرة في أبشع إهانة للنفس الإنسانية.
- التطهير الطائفي والعرقي بالتهجير القسري خصوصا في بغداد والبصرة.
- سلب ونهب المال العام والخاص.
- استئصال جذري لغير الطائفيين من دوائر الدولة بصورة تكاد تكون مطلقة.
- تدنيس دور العبادة، والكتب والأماكن المقدسة.

التقية خروج من المآزق:

منذ أن استولد التشيع الدخيل نظرية الإمامة الوراثية المقدسة القائلة بأحقية الحكم لـــــ "أهل بيت علي" التي نقضها علي الخليفة المنتخب نفسه، والمتنازل عنها ابنه الحسن، والثائر ضدها الشهيد الحسين، ومع هذا اعتبر المراجع الفرس حكم غيرهم حكماً غير شرعي : فالحكم الذى قاده المسلمون، حسب اعتقادهم، منذ يوم السقيفة، الذي يسمونه اليوم الأسود، مروراً بالدولـــة الأولى للخلفاء الراشدين(باستثناء فترة خلافة علي)، والدولة الأموية، والدولة العباسية، والدولة العثمانية، وحتى حكومات الدول العربية والإسلامية الحالية، هي حكومـــات غيـــر شـــرعية ومغتصبة للحكم. وقد عارضت النخبة هذه السلطات بتحريض سياسي سلبي، فهم ضد كل حكم يتولاه" سنّي"، وإن كان عادلا أو علمانيا أو جاء عن طريق الانتخاب، لأن حكمه غير شرعي . فنظرية التوريث المنقوضة، تدعي أن الحكم وصية ربانية مبنية على الإمامـــة الوراثيـــة العمودية، وهي محصورة في أهل بيت علي دون غيره.

ماذا كانت نتيجة هذا التحريض السلبي ونشر ثقافة الحقد والكراهية بالتشهير والتحقير ضـــد رموزالمسلمين وتاريخهم والمذاهب الإسلامية ؟ . كانت النتيجة هي إكتساب النخبة عـــداوات كثيرة في المحيط الإسلامي الكبير، فاضطرتهم إلى ممارسة التقية، كآليـــة لإدامـــة نـــشاطهم السري، والدفاع عن أنفسهم، والخروج من المآزق .

ولتبرير التقية، يرمي خميني، الأئمة بتهمة الافتاء تقية بخلاف حكم الله ! (وهل خلاف حكـــم الله إلا الكفر!)، بقصد تضليل الآخرين للمحافظة على الشيعة وتفاديا من وقوعهم في المآزق، ومن هنا صار هيمنة المرجعية على جميع المجتمعات الإمامية أساسا للهوية الشيعية التي تبنى عليها كل الأعراف السياسية[200]. فإذا كان الإمام المعصوم يخالف حكم الله تقية، حسب قـــول خميني، حفاظا على مصالح الشيعة، يصبح خروج السياسي العادي من مـــأزق مـــع ســـلطة دنيوية غريبة أمرا يسيرا .

[200] - Richard. Y.1996 : 110

لم يحدد الأستاذ غسان عطية في كتابه (العراق نشأة الدولة) معنى **غربة السلطة** التي يؤيدها الشيعي علنا ويعارضها سرا .

إن غربة السلطة في التعريف المرجعي هي كل سلطة يمارسها من لا يؤمن بنظرية التوريث المصنوعة، وإن كانت هذه السلطة شورية، أو ديمقراطية، أو وطنية، أو عادلة، وعلى الشيعي تأييدها ظاهريا إن كانت قوية، والعمل على تقويضها سرا. وبمعنى آخر **غربة السلطة** هي كل سلطة لا يقوم عليها حاكم أو حزب يؤمن بالإمامة الوراثية. وخلافا لها، فالسلطة القريبة والمألوفة هي من يتولاها مؤمن بقدسية الامامة وإن كان عنصريا طائفيا، كنظام الحكم في إيران، أو جاء بها الأجنبي كالحكومة الطائفية التي جاء بها الاحتلال الأمريكي الى العراق.

والسبب هو أن النظام المرجعي الذي وضعه الصفويون لا يربط المقلد بالدين أوالوطن الأم ، بل يربطه بالمرجع ثم بالطائفة ومن ثم بلاد فارس وهكذا أدّى النظام المرجعي بالمقلد أن يحس بالغربة في المجتمع الكبير، ويجد صعوبة بالغة بالاندماج معه .من هنا جاءت مطالبة الأحزاب الطائفية الموالية لإيران بحقوق الشيعة" المظلومين" و"المحرومين" في كل بلدان العالم الإسلامي وكأنهم غير مواطنين في هذه البلدان .وتنتشر دعوى المظلومية والمطالبة بحقوق الشيعة بغضّ النظر عن نوع الحاكم، أكان نصرانيا، كما في لبنان مثلا، أم مسلما كما في باقي العالم الإسلامي.

وسنأخذ شيعة العراق في الدولة العراقية الحديثة **كدراسة حالة عن هذه المظلومية الموهومة.**

المظلومية الشيعية والدولة العراقية الحديثة:

أصبحت المظلومية ركنا أساسيا في الخطاب السياسي للنخبة لا يحيدون عنه، ونقلوه إلى العالم الإسلامي، ليمارسه كل قادة المجتمعات الإمامية والأحزاب الموالية لإيران، بغضّ النظر عمّن يحكم وشكل الحكم في هذه البلدان.

والمظلومية طريقة نفسية ذكية في التبشير وكسب الأتباع ، ودهاء سياسي خطير لعزل الأقليات الشيعية عن حاضنتها الوطنية في بلدانها الاصلية. فلقد صرح ميرحسين موسوي رئيس وزراء خميني في ثمانينات القرن العشرين أن الأقليات الإمامية هي أحد أهم ركائز السياسة الخارجية الإيرانية فقال : "لقد صار لدينا يد عليا على روافع لنا في الخارج، هما:الحماس والاهتمام القوي الذي يبديه المحرومون تجاه الثورة. لقد بدأنا نتعلم حقا كيفية استخدام هذه الرافعة في المنطقة لتنظيم علاقاتنا الخارجية "[٢٠١].

وعند احتلال الإنكليز للعراق عام ١٩١٤ ، تعاون المرجع الأعلى آنذاك كاظم يزدي (المتوفى ١٩١٩) معهم أملا في إنشاء دولة تابعة لإيران . وعندما علم أن الإنكليز والمتعاونين معهم يريدون إنشاء دولة علمانية عصرية كره المشاركة في مؤسسات االدولة وأصدر فتوى "كره المشاركة والمساهمة في تشكيل الوزارة . وتعدى ذلك إلى حد تحريم التوظيف والعمل في دوائر الدولة. كما حرم التعامل مع بعض مؤسساتها كالبنوك والمصارف العامة والمحاكم الشرعية، واعتبار الرواتب التي تقدمها الدولة أموالا محرمة "[٢٠٢].

---

[201]- كيبون١٩٩٢ : ٦٦

[202] - كمال وآخرون ٢٠٠٦ :٦٣ .

وغني عن القول أن ترشيح الملك فيصل الأول تم بمضبطة وقعتها العشائر الشيعية العربية وبعض المراجع العرب باعتباره سيدا ومن أهل البيت، فكان النظام الملكي يحظى بدعم العشائر العربية في جنوب العراق. لذا قاوم الملك فيصل فتاوى المجتهدين الفرس والتي تحاول عزل الشيعة العرب عن مؤسسات الدولة، وبنائها على اسس وطنية. فمثلا كان يرى هو وضباطه أن إنشاء جيش قوي ضرورة للحصول على الاستقلال .ولكن المجتهدين عارضوا هذا التوجه باعتبار أن الجنود سيعملون تحت إمرة ضباط "عرب سنة" . وبعد وفاة يزدي أصدر مهدي الخالصي الكبير فتوى أخرى في عام ١٩٢٠ أيده فيها آية الله نايئني وآية الله أصفهاني " حرم فيها تسنم الوظائف الحكومية، وعدّها نوعا من التعاون مع الكفار... "[٢٠٣] وعمد المرجع الأعلى محمد تقي الدين شيرازي الى إصدار نفس الفتوى" في اذار /مارس ١٩٢٠ حرّم فيهاعلى مسلمي العراق العمل في الوظائف الحكوميةالتابعة لإدارة الاحتلال وكان صدى الفتوى ايجابيا عندما ترك كثير من الناس وظائفهم معاندة لسلطة الحكم الاحتلالية وأذنابها المحليون"[٢٠٤] .

انقسم الرأي الشيعي على أثرهذه الفتاوى التكفيرية إلى قسمين " الأول الحزب الوطني الذي يرى إعطاء الأولوية للتعاون مع السنة العراقيين للتخلص من البريطانيين، وحزب النهضة الذي يرى الضغط على الحكومة لأخذ حصة الشيعة في التمثيل والوظائف. وقد عدّ الملك فيصل أنه لن تكون هناك دولة قابلة للحياة دون دمج الشيعة في النظام الحكومي، ولذلك عمل جاهدا على دمج الشيعة في الحكومة "[٢٠٥].

كان المجتهدون الفرس معارضين جادين لتأسيس الدولة العراقية العربية الفتية ومهتمين بالدرجة الاولى بإيران، وليس لهم ولاء للعراق فقرر الملك طردهم . وبعد طرد المجتهدين إلى إيران عام ١٩٢٣م تجاوب الشيعة مع قرار الملك وبدأ شباب الشيعة بالانخراط في دورات مركزة، لارتقاء السلم الاجتماعي بسرعة، وشغل مناصب في الدولة، كما بنى لهم مدارس دينية في بغداد، منها على سبيل المثال جامعة أهل البيت في الأعظمية في بغداد.

وعندما ادرك المجتهدون الفرس فشل اقامة دولة شيعية وعاصمتها النجف، أثر اعلان العراق دولة عربية علمانية تحت ادارة غير مباشرة للانكليز، وبعد صدورفتاواهم التحريمية التي تمنع الشيعة من المشاركة في الانتخابات والعمل في مؤسسات الدولة المختلفة، تغير موقفهم تجاه الريطانيين ففي تموز ١٩٢٣ "بدأو يعبرون عن الرأي القائل أن من الافضل لهم بكثير ان يعودوا الى أيام الحكم البريطاني الكامل على أن يكونوا تحت سيطرة إدارة سنية... ولم يقتصر تغيير السياسة الشيعية المعادية لبريطانيا بالاتجاه المعاكس على الساسة وحدهم بل شاركهم فيه بعض المجتهدين العرب كذلك وأبرزهم مهدي الخالصي"[٢٠٦]

وبعد السياسة الوطنية، لتي انتهجها الملك، ارتقى الشيعة العرب في الوظائف العامة ومؤسسات الدولة العراقية الوليدة، ودخل منهم عدد كبير في البرلمان " ففي البرلمان العراقي لعام ١٩٢٨ أصبح للشيعة ٢٦ عضوا من بين أعضائه الـ ٨٨ آنذاك"[٢٠٧] . كما كان عدد

---

[203] - نقاش ١٩٩٦ :١١٠-١١١

[204] - رسول ٢٠٠٨ :١٥٢

[205] - Wiley.J.1992: 20-195 .

[206] -نقاش ١٩٩٦ :٢١٤ .

[207] - Wiley. J. 1992 :21

من الوزراء المؤسسين للدولة الحديثة شيعة، منهم على سبيل المثال رستم حيدر رئيس الديوان الملكي لفيصل، وعبد المهدي المنتفجي وزير المعارف. وفي عام ١٩٤٨ شغل صالح جبر رئاسة الوزارة خلفه محمد الصدر في رئاستها . كما شغل ٤ رؤساء وزراء شيعة من مجموع ٨ هذا المنصب إلى حد ١٩٥٨عام ثورة ١٤ تموز الذي بدّل العراق من ملكية إلى جمهورية.

وفي هذه الحقبة الملكية سيطر تجار الشيعة على السوق وعصب الاقتصاد العراقي، خصوصا بعد خروجه من يد اليهود الذين هاجروا من العراق إلى فلسطين عام ١٩٤٨ . فالغالبية العظمى من ملاك الأرض والإقطاعيين، خصوصا جنوب العراق، هم من الشيعة .كما أن أكبر سوق تجارة للعراق– سوق الشورجة في بغداد– يسيطر عليه الشيعة "[٢٠٨] . وأدار الشيعة تجارة القماش والطحين والقمح في بغداد ووسط وجنوب العراق، "وخضعت غرفة تجارة بغداد لسيطرتهم. ففي حين أن الشيعة ما كانوا يحتلون إلا مقعدين من مجموع ١٨ مقعد في الهيئة الإدارية للغرفة أصبحوا بحلول عام ١٩٥٧ يحتلون ١٤ مقعدا من المقاعد الثمانية عشر "[٢٠٩]

لقد اتخذت الدولة العراقية " القومية العربية " بدل المذهبية أساسا للتوحيد الاجتماعي، باعتبار أن العرب يشكلون ٨٠% من الشعب العراقي. ولكن محاولات المجتهدين، من أصول صفوية، وقاجارية، وبهلوية، منع الشيعة العرب من الاندماج بجهاز الدولة العراقية الحديثة. وبذلك تكون فتاوى المجتهدين هي التي أخرت تسنم الشيعة العرب مراكز بالدولة الوليدة، وليس صحيحا أن الملكية ظلمت الشيعة في العراق.

أما في زمن عبد الكريم قاسم(١٩٥٨–١٩٦٣) ، فقد شكّل فقراء الشيعة القاعدة الكبرى للحزب الشيوعي العراقي وكثيرا من قياداته المؤيدة لقاسم، مما همش دور المرجعية. فقد اتبع قاسم" سياسة مؤيدة للفقراء، خصوصا فقراء الشيعة، وقام ببناء دور رخيصة الكلفة لهم، ونظم جهاز توزيع الماء، وبنى طرقا في النجف وكربلاء .وقد رقى الشيعة في السلكين المدني والعسكري"[٢١٠]. وأصدر قاسم قانون الإصلاح الزراعي الشهير٨٨ عام ١٩٥٩ مما خفف سطوة الاقطاع– حليف المرجعية – على الفلاحين في الجنوب العراقي.

وبعد مقتل عبد الكريم قاسم أثر ثورة ٨ /١٩٦٣/٢ سيطر حزب البعث العربي الاشتراكي على النظام والدولة . وكانت غالبية قيادته من الشيعة العرب، منهم فؤاد الركابي، وابن اخته حازم جواد، والدكتورتحسين معلة، وهاني الفكيكي وآخرون . ولكن الثورة سقطت بسرعة في تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٦٣ بسبب الظلم الذي مارسته وقلة خبرتها السياسية .

أما فترة حكم الأخوين الرئيسين عبد السلام ثم عبد الرحمن عارف (١٩٦٣–١٩٦٨) فقد اتسم الحكم بالعدل والهدوء. وكان حكما قوميا عربيا متحمسا لفكرة الوحدة العربية التي كان أبرز قادتها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. ولم تظهر خلال هذه الفترة أي مقاومة سياسية أو ثقافية لنظام الحكم، باستثناء معارضة المرجع الاعلى آنذاك محسن طباطبائي الحكيم، لفكرة الوحدة العربية التي نادى بها الرئيس عارف، واتهامه بأنه طائفي، ذلك "....أن اندماج العراق

---

[208] - بطاطو-١-١٩٩٦:جدول١٠-١: ٣٨٨-٣٩٠ .

[209] - نقاش ١٩٩٦: ٤١٤.

[210] -: Wiley.J.1992: 34

مع اي دولة عربية اخرى يمكنه ان يجعل من الشيعة أقلية ضائعة"[٢١١]. ولنفس السبب عارض من سبقه من المجتهدين، ضم الموصل الى العراق والسعي لجعلها ولاية تابعة لتركيا.

وأما فترة ما بعد ١٧ تموز/يوليو(١٩٦٨ – ٢٠٠٣) ، فقد قاد التغيير في ١٧ تموز حزب البعث العربي الاشتراكي . وكان تمثيل الشيعة يتفاوت صعودا ونزولا حسب بعدهم وقربهم من مراكز القرار وحسب نتيجة الصراع على السلطة. فقد وصل عدد من الشيعة العرب إلى درجة أعضاء في القيادة القطرية للحزب من بينهم: غانم عبد الجليل، عدنان حسين الحمداني، محمد حمزة الزبيدي، حسن علي العامري، سعدون شاكر، عبد الحسين المشهدي، عبد الحسن راهي فرعون وآخرون. و "أن ٣٣% من أعضاء مجلس قيادة الثورة مابين ١٩٨٢–١٩٨٨ هم من الشيعة، وأن ٥٠% من أعضاء القيادة القطرية شيعة، وهو تمثيل سياسي لم يحصل عليه الشيعة في تاريخ العراق الحديث"[٢١٢]

وبعد تنحي أحمد حسن البكر من رئاسة الجمهورية لأسباب صحية، تقلد صدام حسين رئاسة الدولة . وكان قائدا قويا لم يسمح بأي معارضة أو تعدد لمراكز القرار، ولكنه لم يكن طائفيا أو مذهبيا أبدا . ففي آب ١٩٧٩ أعدم عددا من أعضاء القيادة القطرية للحزب بتهمة محاولة قلب نظام الحكم منهم: الأعضاء "السنة" عبد الخالق السامرائي، ومحمد محجوب، ومحمد الكبيسي، كما اعدم من "الشيعة" غانم عبد الجليل، وعدنان الحمداني، وعبد الحسين المشهدي.
أما المحاولات الانقلابية المتكررة ضده فقد قام بها أعضاء "سنة" من الحزب كمحاولة علي عليان ورفاقه من سامراء والدكتور راجي التكريتي وعائلة الهزاع من تكريت.

كان للرئيس الراحل صدام حسين اهتمام خاص بالنهضة العلمية، فبعد محو الأمية تماما في العراق وجعل التعليم مجانا في كل مراحله، قام بفتح جامعة في كل محافظة من محافظات العراق، مما سهل على الشيعة العرب التحصيل العلمي وصعود السلم الاجتماعي بسرعة، والحصول على الوظائف العامة. وبرزت منهم نخبة مثقفة كان لها دور قيادي خطير في إدارة الحزب والدولة.
وتحت عنوان "الدور الشيعي في حكومة حزب البعث " كتب محمد البغدادي على موقع"الرابطة العراقية "بتاريخ ٢٥ /٣ /٢٠٠٥ مقالا مطولا بقائمة لرموز شيعية في الدولة أو حزب البعث مما يدل على أن نظام حزب البعث لم يكن ضد الشيعة:

- أول وزير دفاع شيعي كان في زمن البعث هو الفريق أول الركن سعدي طعمة الجبوري.
- تعيين أول رئيس أركان شيعي للجيش العراقي هو الفريق الركن عبد الواحد شنان آل رباط.
- أطول مدة شغلها وزيرا لخارجية العراق في زمن البعث كان شيعيا ،وهو د. سعدون حمادي ، ثم تولى الوزارة طيلة التسعينات محمد سعيد الصحاف وهو شيعي أيضا.
- لأول مرة في تاريخ العراق يستحوذ فيها الشيعة على منصب وزير النفط ويتناوبون عليه كان ذلك في زمن البعث ، والوزراء هم سعدون حمادي ، وقاسم أحمد تقي ، وعصام الجلبي (ابن عم أحمد الجلبي) . وبذلك يعتبر الوزراء الشيعة هم أكثر من شغل هذا المنصب في تاريخ العراق ، وفي زمن البعث بالذات .

---

[211] - ابراهيم ١٩٩٦ :٢٩٦ .
[212] -: Esposito.J.1990: 93

- أكثر فترة تولى فيها الشيعة منصب محافظ البنك المركزي العراقي كان ذلك في زمن البعث وهم د.عبد الحسن زلزلة ، وطارق التكمه چي ، وهذا مالم يحصل في أي عهد سابق .
- لأول مرة في تاريخ دولة العراق يتولى شخص شيعي منصب مدير الأمن العامة كان في زمن البعث ، وهو ناظم كزار ، الذي كان معاونه علي رضا باوة(شيعي فيلي).
- المسؤول الأول عن التحقيقات الجنائية لمنتمي حزب الدعوة كان عقيد الأمن علي الخاقاني من شيعة النجف .
- تولى رئاسة محكمة الثورة المختصة بقضايا التآمر شيعيان هما هادي علي وتوت ومسلم الجبوري.
- لإول مرة في تاريخ العراق تناوب اثنان من الشيعة على رئاسة الوزارة وذلك في زمن البعث هما د. سعدون حمادي ومحمد حمزة الزبيدي.
- أطول فترة قضاها رئيسا للمجلس الوطني العراقي كان الشيعي د. سعدون حمادي.
- معظم خبراء وعلماء منظمة الطاقة الذرية كانوا من الشيعة من بينهم جعفر ضياء جعفر، وحسين إسماعيل البهادلي ، وحسين الشهرستاني.
- أكثر من ٦٠% من المدراء العامين في الدولة العراقية وكوادرها الفنية والتقنية والعلمية الذين يشغلون المناصب والمسؤوليات المتقدمة فيها هم شيعة.
- إبان الحرب العراقية الإيرانية كان قائد صنف المدفعية هو اللواء الركن حامد الورد ، وقائد صنف الدروع هو صبيح عمران الطرفة ، وأمين السر العام لوزراة الدفاع (الشخص الثاني بعد وزير الدفاع) سعد المالكي ، ثم لاحقا اللواء الركن جياد الامارة ، وقائد الفيلق الثالث الفريق الركن سعدي طعمة الجبوري ، ومدير دائرة التوجيه السياسي عبد الجبار محسن اللامي ، ناهيك عن عدد كبير من قادة الفيالق وأمراء الألوية وكبار ضباط الجيش والمستشارين العسكريين، هم شيعة.
- كان عدد مندوبي العراق الدائمين في الأمم المتحدة خلال حكم البعث عشرة أربعة منهم شيعة هم طالب شبيب ، عبد الامير الانباري الذي أمضى أطول مدة في المنصب وتولاه مرتين ، محمد صادق المشاط، وسعيد الموسوي.
- مندوبو العراق في اليونسكو هم اثنان من الشيعة عزيز الحاج (شيعي فيلي) وعبد الأمير الانباري.
- آخر رئيس تحرير لجريدة الثورة الناطقة باسم حزب البعث هو الشيعي من تبعية ايرانية سامي مهدي.
- المستشار الإعلامي لصدام حسين شيعي وهو عبد الجبار محسن.
- مستشار صدام حسين للشؤون الحزبية شيعي وهو محسن راضي سلمان.
- مرافق صدام حسين طيلة فترة السبعينات والثمانيات وحتى بداية التسعينات هو صباح مرزة محمود وهو كردي فيلي شيعي.

أما قائمة الـــ ٥٥ المطلوبين أمريكيا بعد احتلال العراق، والتي وضعت صورهم على كارت لعب الورق فقد كان ٣٧ منهم من الشيعة . فلم يكن نظام حزب البعث ضد الشيعة بـــل كـــان يميز بين الأطراف المعارضة له والأخرى الموالية له.

ومنذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة لم تميز الحكومات المتوالية على حكم العراق في الراتب أو الترقية في الوظائف العامة على أساس طائفي أبدا . ولم تنبس ببنت شفة عن الطائفية، بل

كان كل يلتزم بمعتقداته وقراءاته ومروياته الموجودة داخل كتب العقائد والتاريخ . وكان الإسلام العام هو الجامع والوطن الكبير هو الحاضن . ولا تناقش الخلافات على وسائل الإعلام، كما تفعل عشرات الفضائيات الطائفية اليوم مثل فضائية الفرات والفيحاء والعالم والعراقية وغيرها.

ومن هنا لم تأت دعوى المظلومية والمطالبة بالحقوق التي تبنته الاحزاب الموالية لإيران، نتيجة تمييز سياسي موضوعي تمت ممارسته ضد الشيعة، أو ظلم حقيقي وقع على الشيعة كطائفة. بل جاءت نتيجة المظلومية التاريخية الوراثية التي زرعتها عقدة الاضطهاد الفارسية، والتي ازدادت حدة منذ سقوط الإمبراطورية الساسانية وما تزال، حتى وإن كان قادة الشيعة حكاما وعلى رأس السلطة !.

حكام ومضطهدون:

إن المظلومية التاريخية الموروثة التي مارسها الاكاسرة جعلت الفارسي يحس بالاضطهاد حتى وان كان على رأس السلطة، ومثالها الابرز عند شريعتي هي حكومة علي بن أبي طالب، ضد مناوئيه في الداخل، الذي أكدها "العالم المحقق" نعمة الله الجزائري، فيصف عليا بالمسكنة والضعف والخوف مما اضطره إلى ممارسة التقية وهو على رأس سلطة الخلافة، فيقول " ولما جلس أمير المؤمنين عليه السلام – أي على كرسي الخلافة – لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه . كما لم يقدر على النهي عن صلاة الضحى، وعلى إجراء متعة النساء، وعلى عزل شريح عن القضاء ومعاوية عن الإمارة" [٢١٣] .

ولكن كل هذه التقية التي تنبئ عن جبن، حاشا أن يلحق بعلي ابن أبي طالب، تنقضها شجاعة أسطورية يصف بها الفرس عليا . فها هو الجزائري نفسه يذكر في كتابه " الأنوار النعمانية" نقلا عن طبرسي في يوم فتح خيبر فيقول ، على لسان صفية زوج النبي:" أن عليا لما أتى الحصن وتعسر عليه أخذه ، أتى إلى برج من برجه، فهزه فاهتز الحصن كله، وكل من كان فوق مرتفع سقط منه، وأنا كنت فوق سريري، فهويت من عليه، فأصابني السرير فقال لها النبي (ص) :يا صفية !إن عليا لما غضب وهزّ الحصن غضب الله لغضب علي فزلزل السماوات كلها حتى خافت الملائكة ووقعوا على وجوههم وكفى به شجاعة ربانية .وأما باب خيبر فقد كان أربعون رجلا يتعاونون على سده وقت الليل، ولما دخل علي الحصن طار ترسه من يده من كثرة الضرب فقلع الباب وكان بيده بمنزلة الترس يقاتل فهو في يده حتى فتح الله عليه.. ولما جاء جبريل إلى النبي مستبشرا بعد مقتل مرحب سأله النبي عن سر استبشاره فقال: يارسول الله ! إن عليا لما رفع السيف ليضرب به مرحبا، أمر الله إسرافيل وميكائيل أن يقبضا عضده في الهواء حتى لا يضرب بكل قوته، ومع هذا قسمه قسمين ! وكذا ما عليه من الحديد ! وكذا فرسه! ووصل السيف إلى طبقات الأرض ، فقال لي الله : يا جبريل بادر إلى تحت الأرض وامنع سيف علي عن الوصول إلى ثور الأرض حتى لا تنقلب الأرض"!![٢١٤] .

لقد كانت بيعة علي بن أبي طالب قوية جدا وذلك بمبايعة المهاجرين والأنصار له، وهي التي تعطي الشرعية والقوة الحقيقية للخليفة آنذاك . فلنستمع إلى خطاب علي في كتاب له إلى

---

[213] - القفاري ١٤١٨ هـ :١٢٤

[214] - ظهير١٩٨٣ :١٦٣

معاوية "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل، وسموه إماما، كان ذلك لله رضى، فإن أبى قاتلوه على اتبّاعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى "[٢١٥]. وإذا أضيفت إلى هذه البيعة القوية، شجاعة علي الحقيقية المشهورة – وليست أسطورة "العالم المحقق" الجزائري! – ستجعلان من ممارسته التقية أمرا مستحيلا. لقد سار علي على نهج الخلفاء الراشدين الذين سبقوه فأبقى حرمة المتعة، وليس له قرآن يخرجه للناس، وثبت شريحا على القضاء . فجاء سلوكه مناقضا لنظرية التشيع الدخيل القائلة بالعداء المستحكم بين علي وبين الخلفاء الثلاثة السابقين له، فاتهم شريعتي وجزائري عليا بالضعف وممارسة بالتقية وهو خليفة، للخروج من مأزق تناقضهم المفضوح.

إن إتهام علي بن ابي طالب بأنه خائف مسلوب الإرادة، ضعيف غير قادر على اتخاذ قرار، هي جزء من التطاول البذيء الذي تمارسها النخبة الفارسية ضد رموز الإسلام وتاريخه. فقد ارتبط علي بعلاقة مصاهرة ومشاركة مع عمر– فاتح بلاد فارس– ، وكان أحد الصحابة الذين نصحوه بأن لا يخرج لقتال الفرس بنفسه :"إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا:هذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك"[٢١٦] . وبذلك يكون عليا قد فوت، بهذه النصيحة، فرصة تاريخية نادرة لقتل عمر قبل فتح بلاد فارس، فرموه بتلك التهمة.

قد يكون لممارسة التقية في حالة الضعف مبرر، بالرغم من بقاء الأصل وهو الثبات والتحدي وتقديم النفس ثمنا للاستمساك بالمباديء، فقد آثر الحسين بن علي العزم والصمود من أجل المباديء على ممارسة التقية بالرغم من ضعفه وخيانة شيعته ونصح محبيه له، وكان يعلم أنه مقتول لا محالة . لكن السؤال الذي لا يجيب عنه المراجع الفرس هو: لماذا يمارس التقية رجل معروف بشجاعته وصدقة كعلي وهو في السلطة؟! . وتفسير صمتهم هو أن التقية في حقيقتها تعبر عن عقدة اضطهاد بلباس ديني. فمما يشير صراحة إلى رسوخ هذه العقدة، ماصرح به وزير المحافظات العراقي في حكومة جعفري(٢٠٠٥–٢٠٠٦) وائل عبد اللطيف حين قال :"ونحن في قمة السلطة نشعر بالمظلومية"[٢١٧] .

وقد اتخذت الأحزاب الموالية لإيران " المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق " و"حزب الدعوة الاسلامية "، المظلومية والاضطهاد منهاجا وشعارا سياسيا لها، وازداد ترديد هذا الشعار حدة بعد استلامها السلطة في العراق في ظل الاحتلال الأمريكي، فقد تخلى كليهما عن المضامين الفكرية الداعية الى إقامة الدولة والحكومة الاسلامية وتحولا إلى الدعوة إلى المظلومية والاحساس بالاضطهاد وهما على رأس السلطة.

ولي نصر " والتفسير الاضطهادي للتاريخ !

ولي نصر(نصر) ايراني الاصل يحمل الجنسية الامريكية، وهو أستاذ سياسات الشرق الأوسط وجنوب آسيا في دائرة الدراسات العليا التابعة للأكاديمية البحرية وزميل قديم مساعد في مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية . ألف كتابا أسماه (صحوة الشيعة)، وقد فسر التاريخ الإسلامي في أحد فصوله (تبدد وعود القومية) تفسيرا اضطهاديا نفسيا، غاب عنه الدليل

---

[215] عبده ٢٠٠٨ :٣٥٠-

[216] -المصدر نفسه :٢٠٦ .

[217] – الدليمي–أ– ٢٠٠٧ :٨٧ .

العلمي والمنطق العقلاني في محاجاته، ومارس إرباكا عقليا عجيبا واستخدم أسلوبا عاطفيا عدائيا لدق أسافين الفرقة والاختلاف بين المسلمين، مما يثير تساؤلا جديا حول أهليته لأن يكون أستاذا في مؤسسة أكاديمية يفترض أنها رصينة .

فبعد تكرار وإجترار المظلومية التاريخية الموروثة التي جاء بها مؤورخو التشيع الفارسي ، يتهم نصر كل المراحل التاريخية التي مر بها العالم الإسلامي في العصر الحديث أنها صناعة وظاهرة " سنية " ! فالقومية الباكستانية الإسلامية والحركة القومية العربية والأصولية الإسلامية والحداثة كلها إفرازات طائفية "سنية". فيقول: بأن القومية الاسلامية الباكستانية تضطهد الشيعة الذين يشكلون أقل من ٢٠% من أهل البلاد ، بالرغم من اعتراف نصر أن كثرة من القادة الباكستانيين الشيعة حصلوا على أرقى المناصب في الدولة والوظائف العامة فيقول: " وعلى مر السنين كان العديد من قادة باكستان من الشيعة ، بمن فيهم واحد من أوائل الحكام العامين في البلاد ، وثلاثة من أوائل رؤساء الوزارة فيها واثنان من قادتها العسكريين (الجنرال إسكندر مرزا والجنرال يحيى خان). دع عنك العديد من أبرز الموظفين العاميين وملاك الأراضي والصناعيين والفنانين والمثقفين الباكستانيين واثنين من رؤساء الوزراة اللاحقين: العاثر الحظ ذو الفقار علي بوتو وابنته المتعلمة في ردكليف (أكسفورد) والمنفية في الوقت الحاضر بنازير بوتو كانا أيضا شيعيين".
ثم يقول: "غير أن أسلمة البلاد بشكل دؤوب، (والأسلمة = تغليب المذهب السني تحديدا)، جعلت باكستان تبدو أكثر فأكثر أشبه بالعالم العربي حيث أن السنّة يتبوؤون المراتب العليا والشيعة يدفعون إلى الهامش بالتدريج"[٢١٨] .

وتتهاوى دعاوى نصر الباطلة عندما يعلم القارئ أن انتخابات ٢٠٠٨ أتت إلى رئاسة باكستان بالسيد آصف علي زرداري ورئيس وزرائه يوسف رضا جيلاني وهما شيعيان! . وقد أقام زرداري بناءا في مرقد الإمام الرضا في مشهد الإيرانية يخلد ذكرى زوجته بناضير بوتو المقتولة في حادث تفجير عام ٢٠٠٧ .

لقد غابت عن نصر الموضوعية وهو يتحدث عن الحق الديمقراطي للأقليات الشيعية، فلم يذكر التمثيل السياسي" للسنة" في إيران والتي جعلت منهم السياسة الاستئصالية العنصرية التي مارسها حكام ايران ضدهم منذ أكثر من خمسة قررون، أقلية صغيرة، بعدما كانوا الغالبية العظمى للمسلمين من أهل البلاد، وهم اليوم محرومون من أبسط الحقوق المدنية، وبتقنين دستوري طائفي دائم لا يتغير عندما جعل في أصله الثاني عشر: التشيع دينا للبلاد . فليس " للسنة" وزير واحد في الحكومة الايرانية أو مسجد واحد في طهران لأقامة الصلاة . بل قاموا في ١٩٩٢ بتدمير مسجد الشيخ فيض في خراسان ثم تدمير المسجد الجامع في بلوشستان وإعدام أكثر من ٢٠٠ من الشباب الذين اعتصموا بالمسجد احتجاجا على تدمير مسجد الشيخ فيض.

اما اتهامه القومية العربية بأنها فكرة "سنيّة"، فالمعلوم ان هذه فكرة صاغها مفكرون عديدون، جاؤوا من كل الطوائف والأديان وأرادوها فكرة جامعة للعرب ليس لها علاقة بدين أو طائفة، فكان منهم النصراني ميشيل عفلق، والعلوي (من الطائفة العلوية) زكي الأرسوزي، والمسلم العربي صلاح البيطار وغيرهم كثير. ومع هذا، وعلى النهج التحريضي لمجلسي وشريعتي، في كتابة التاريخ، يراها نصر ظاهرة سنية فيقول : "إن القومية العربية التي حددت

---

[218] - نصر٢٠٠٧ : ٨٤ -٨٦ .

الوطنية والإقليمية في الشطر الأكبر من حقبة ما بعد الاستقلال هي في لبها وجوهرها ظاهرة سنّية، وإن كان العديد من مفكريها، ممن صاغو الفكرة، ولا سيما تعبيرها الأشد خبثا و سُمية: البعث، من المسيحين. إنها وريثة الخلافتين الأموية والعباسية والسلالتين الأيوبية والمملوكية بما هي التجليات التاريخية للسلطة الإسلامية والعربية"[٢١٩]

أما العراق، الدولة التي قادها حزب البعث المعبر عن " الاشد خبثا وسمية " للقومية العربية، فقد تبوأ الشيعة العرب فيه، كما ذكرنا، مراكز قيادية في الحزب والدولة، وحصلوا على تمثيل سياسي عال لم يحصلوا علية في تاريخ العراق الحديث. ومع هذا فقد ملأ الفرس والمتفرسون إعلامهم ببكائيات المظلومية والمحرومية وهم يصرخون ليل نهار: " **مضطهدون.. محرومون**"!.

ويقرّ نصر بالمعاملة التمييزية الإيجابية التي مارسها حكام الخليج العرب بحق الإيرانيين فضلا عن الشيعة العرب، فبرز منهم رجال أعمال في اقتصاد تلك الدول وحصلوا على تمثيل سياسي كبير فيقول: "فالسوق الرئيسية في الدوحة عاصمة قطر تدعى "البازار الإيراني". والطبقة التجارية في دبي والكويت كانت على الدوام ذات مكون إيراني كبير، وقد جمعتني توصيلة بالسيارة ذات مرة بموظف حكومي رفيع في دولة الإمارات العربية المتحدة، وما أن صرنا لوحدنا في السيارة حتى انبرى يحدثني بلغة فارسية متينة، ولما لاحظ ما اعتراني من دهشة أعرب لي عن اعتقاده بأن نسبة ضخمة من مواطني دبي الرسميين، المدينة التي تشهد حاليا ازدهارا اقتصاديا وعمرانيا مذهلا، هم من أصل إيراني ... وأضاف بأن المواطنيين من الإثنية الإيرانية ممثلون تمثيلا جيدا حتى وبأكثر من أعدادهم الفعلية سواء في الوظائف الحكومية أو قطاع الأعمال"[٢٢٠] .

ثم يواصل تفسيره الاضطهادي للتاريخ عندما يتهم الأصولية الإسلامية بأنها "سنّية" ، ثم يتهم الحداثة في محاولات إصلاحها للإسلام بأنها ظاهرة سنّية كذلك . ويقول عن الأفغاني بأنه كان يمارس التقية للتسترعلى أصله الإيراني ومذهبه، إذ لابد وأن يملك أوراق اعتماد "سنية" لكي يستطيع أن يدلي بآرائه! ثم يصل إلى درجة الإسفاف والسفه فيطلق على القنبلة النووية الباكستانية بأنها "قنبلة سنّية"!.
إن نصر الذي يبدو مدافعا عن الديمقراطية، قدّم طائفيته الصفيقة بمتناقضات فاضحة باعترافه بمشاركة الشيعة بأعلى المراكز والوظائف، في الدول العربية الوطنية والقومية، وفي دولة باكستان المسلمة.

إن عقدة الاضطهاد التي سممت نفوس النخبة، هي التي دفعت نصر عن الحديث عن مظلومية الشيعة الموروثة في كل الأزمان والحقب وأشكال الحكم حتى ولو أقر بتمثيلهم السياسي الكبير . فهو على نهج خميني الاستئصالي: يريد للأقلية الشيعية التي لا تشكل ١٠% من العالم الإسلامي أن تحكم هي فقط دون غيرها ! وفي الوقت نفسه يحاولون عزل الأقليات الشيعية عن محيطها الطبيعي، وجعلها ذات صبغة طائفية مميزة، لطمس هويتها الوطنية والقومية والاسلامية.

الاستعداد لمظلومية تاريخية قادمة !!:

---

[219] - المصدر نفسه : ٨٧ .

[220]- المصدر نفسه: ١٠٥ .

وفي أكبر عملية تزوير عرفها التاريخ الانساني، قامت حكومات الاحتلال المتعاقبة في العراق الموالية لايران بقتل مئات الآلاف من العراقيين الابرياء بواسطة الميليشيات وفرق الموت التابعة لها، ثم قامت بدفنهم في مقابر النجف وكربلاء للزعم اللاأخلاقي الخطير وإستخدام "فن التظاهر" الفارسي : ان هؤلاء من الشيعة الذين قتلهم المتطرفون"السنة" استعدادا لمظلومية تاريخية قادمة. ففي بيان لهيئة علماء المسلمين في العراق رقم ٣٦٨ (المتعلق باستغلال الضحايا مجهولي الهوية بدفنهم في النجف وكربلاء لأغراض تظلم طائفية قائمة على الزور والبهتان) " ففي كل يوم يعلن رسميا عن العثور على أربعين، أو خمسين جثة مجهولة الهوية، أو أكثر من ذلك مرماة على قارعة الطريق، أو في المياه الانسة، او في الساحات العامة في أسوأ صورة يشهدها العراق في ظل الحكومات الطائفية،التي تشهدها المرحلة.....وان عدد الجثث يفوق كثيرا هذه الاعداد فهو يتراوح – حسب مالدينا من معلومات– مابين مئة الى ثلاث مئة يوميا.

إن معظم هذه الجثث من أهل السنّة الابرياء الذين يعتقلون من الطرقات على الهوية أو الطائفة أو العشيرة، وهي مزيج من معتقلين في سجون الحكومة والميليشيات يعذبون أشد أنواع التعذيب على ايدي أناس شاذين سلوكا وفكرا ثم يقتلون وترمى جثثهم بعد ان يجردوا من أية هوية تدل عليهم.....

ومنذ أمد ليس بالقصير تقوم جهات– بعلم من الحكومات الطائفيةالمتعاقبة وبأوامر منها تارة أخرى– بدفن هذه الجثث على نحو متواصل في مدينتي كربلاء والنجف، وأحيانا تسهل لهم طائرات لنقل المغدورين في خطوة ليس لها مثيل في الخبث وفقدان الضمير ظاهرها الخير وحقيقتها استغلال هؤلاء الموتى لتزوير التاريخ والتظلم بهتانا، من خلال الزعم بأن هؤلاء الضحايا من الشيعة قتلهم سنة متطرفون بينما– في الغالب – العكس هو الصحيح"[٢٢١] .

فالتقية: إذن تعبير عن عقدة اضطهاد، وتعارف فارسي تمويهي بلباس ديني، هدفها إدامة المشروع الكبير لإعادة المجد الساساني البائد.

التقية آلية للتمويه والتخريب:

التقية ممارسة واعية، وغطاء لعمل سري غرضه إدامة المشروع الفارسي الكبير، كما يصرح شريعتي: " لا بد من غطاء يجري من خلاله التعتيم على كل هذه الأنشطة الثورية الرافضة والتستر عليها، حرصا على إدامة المشروع النهضوي وحفظا لعناصره وخططه من الضياع والاستئصال في ظل أنظمة حكم لا تتورع عن فعل أي شيء ترى فيه ضمانا لمصالحها"[٢٢٢] .

طوّر المراجع الفرس التقية فجعلوها سلاحا للخداع على نشاطات سياسية هدفها استلام السلطة في البلدان التي يعدونها إرثا ساسانيا كالعراق مثلا " وقد تطورت التقية مع مرور الوقت من طريق لتحاشي الاضطهاد الديني إلى سلاح سياسي حاول الشيعة من خلاله تمويه أنشطتهم والتغطية على طموحاتهم المتعلقة بالسلطة التي كانوا يرون أنها من حقهم .لهذا السبب فإن شيعة العراق غالبا ما كانوا مصدر شك أو ريبة في ولائهم للذين في مراكز السلطة حتى حين كانوا يخرجون عن المعتاد لإظهار ولائهم للسلطة"[٢٢٣].

---

221 - فيضي ٢٠٠٨ج٢ :١٦٩ .

222-شريعتي ٢٠٠٢ :٢٩

223 - الشمراني٢٠٠٣ :١١٨ ..

كيف لا تكون التقية مصدر شك وريبة وهي نهج للتخريب ؟!. فالبرغم من العلاقة الطيبة التي كانت تربط محمد باقرالصدر(الصدر) مع بعض قادة حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق فقد كان يتردد على زيارته كل من عضو القيادة القومية للحزب زيد حيدر وعضو القيادة القطرية حسن العلوي، وفاضل البراك مدير الامن العام انذاك، أصدرآية الله العظمى الصدر فتوى دينية تجمع بين حرمة الانتماء إلى حزب البعث في العراق، ووجوب الانتماء إليه(نعم لا) بقصد التخريب

"إنني أعلم أن هذه الفتوى لن تؤثر في الوقت الحاضر التأثير المرجو منها ، وذلك لأن السلطة طوقت حياة المواطن العراقي في كل مناحيها ، وخاصة الاقتصادية بالانتماء لحزب البعث . وسواء أفتينا بحرمة الانتماء أم لا ،فإنه على كل حال سينتمي للحزب، ولكن فرق أن ينتمي ويعلم أن هذا الفعل محرم شرعا، وبين أن ينتمي وهو يرى أن الانتماء أمر طبيعي لا حرج فيه من الناحية الشرعية.إن هذا الأمر في غاية الأهمية ، ويجب أن نأخذه بنظر الاعتبار.. ثم يقول : "يجب عليكم العمل من داخل الحزب لتفتيته بأي شكل ترونه مناسبا"[٢٢٤].

كما كان الصدر ينسق سرا لقلب نظام الحكم في العراق مع العضو البارز في مجلس قيادة الثورة عدنان حسين الحمداني(الشيعي) الذي اعدم عام ١٩٧٩م، بإعتباره أفضل من صدام حسين !. [٢٢٥].

إن مثل هذا التنسيق السري(تقية) للصدر قائد "حزب الدعوة الاسلامية في العراق" مع العلماني الشيعي عضو قيادة حزب البعث الكافر حسب رأي خميني، والفتاوى المربكة التي تجمع بين النقيضين، والتي تضيّع الحقيقة، تعطي أي سلطة أو حاكم الحق بالشك باستخدام الطائفية لأغراض سياسية . كما تبرر وتعزز اتهام اي حكومة للاحزاب الطائفية بضعف الولاء للوطن وأنها طابور خامس لدولة خارجية.

لقد اتضح ضعف الولاء للعراق أثناء الحرب الإيرانية–العراقية : فبعدد أسرمجموعة من جنود و ضباط الجيش العراقي وأفراد من الجيش الشعبي المنتمين إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، شكل محمد باقر طباطبائي الحكيم من هؤلاء الاسرى فرقة أسماها " فيلق بدر" لمحاربة العراق. وانتشرهذا الفيلق على طول جبهات القتال، يقاتل العراق جنبا إلى جنب مع الحرس الثوري الإيراني. وقام قادة القيلق بتعذيب الأسرى العراقيين الذين بقوا موالين للعراق تحت تهمة انتمائهم إلى حزب البعث أو أنهم صداميون (نسبة الى صدام) .

وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق، عفى سيستاني عن كثير من البعثيين الشيعة من المساءلة التي أوجبها " قانون اجتثاث البعث " باعتبار أن انتماءهم للحزب كان تقية. بل انخرط كثير من هؤلاء بعد الاحتلال كأعضاء في" حزب المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق" و"حزب الدعوة الإسلامية" الطائفيين .

ومن هنا تجعل التقية التأكد من ولاء ممارسيها عند انتمائهم لأي حزب أو وطن عملية مستحيلة. ولهذا ظل ولاء الأحزاب الطائفية لأوطانها موضع شك وريبة عند السلطات الحاكمة.

---

224 -النعماني-١٩٩٧ :١٩٤-١٩٥ .

225 - المصدر نفسه :٢٠٠ .

والخلاصة

أن المراجع نشطاء سياسيون دهاة أبدعوا آلية ذكية في إخضاع الطائفة الشيعية عن طريق التبخيس وإهانة النفس، وجعلها تحس بالدونية، فتعيش مسكونة بعقدة النقص لا تحسن الاقتحام أوالمعارضة فيسهّل قيادتها !. ويرافق عملية سلب احترام الذات خطاب انشائي قوي مواز يتحدث عن العزة والكرامة (هيهات منا الذلة!) .

فالتقية سلوك اجتماعي خطير:

يسلب من ممارسه احترام ذاته ⟵ تتراكم المشاعر السلبية المقموعة ⟵ تؤدي بالتربية الدائمة والمتكررة إلى عقدة الاضطهاد ⟵ بناء علاقة عداء وشك بالآخر ⟵ يستحيل معه بناء علاقة إنسانية سوية.

وإذا كانت التقية الأم تلد معها عقدة الاضطهاد،
فإنها تلد بئس التوأم وهو الإسقاط !

والإسقاط هو اتهام المضطهد للآخرين بأنهم سبب اضطهاده ، ليبرر عنف وعدوانه عليهم .فتصبح التقية في جوهرها تهديدا خطيرا لوحدة المجتمع وسلمه الاجتماعي .

إن جعل التقية اعتقادا وجدانيا سيحقن في ممارسها وعيا حادا بطائفيته، مما يؤدي إلى خلق مجتمع منعزل ومتعصب، غير قابل للاندماج في مجتمعات اليوم المتعددة الأعراق والثقافات والأديان. ويتم تغليف هذا العزل عن المجتمع بغطاء محبب تحت دعوى عنصرية بـ "أنا الأفضل والأرقى في سلّم الحضارة الإنسانية !".

ولكن هذه دعوى سياسية عنصرية غرضها المزدوج هو :

الهيمنة على المجتمعات الشيعية وإبعادها وعزلها عن أوطانها الاصلية وطمس هويتها القومية لربطها بالدولة الأم إيران .

ولتعزيزالهيمنة السياسية فرضت المراجع على هذا المجتمع المنغلق المعزول عددا من الضرائب المالية، أهمها الخمس، لبناء قاعدة اقتصادية قوية تحقق المشروع الكبير في إعادة بناء الإرث الساساني المهدوم .

الفصل الخامس

أموال المرجعية:القاعدة الاقتصادية لبناء الامبراطورية

خلافا لزهد أهل البيت بالمال والابتعاد عنه، يهيم التشيع الدخيل بحب المال ويعتبر الحرمان المالي الركن الثاني له، الذي يسعى لاستعادته، بعد الركن الأول وهو الاغتصاب السياسي للإمامة.
ويتأسس ركن المطالبة بالمال على دعوى حرمان فاطمة من إرث أبيها محمد ﷺ في أرض فدك . فصار هذا الحرمان أساسا لمظلومية اقتصادية تاريخية تبرر لورثة فاطمة – وهم السادة– المطالبة بالخمس من كسب المؤمن الشيعي باعتباره واجبا دينيا عليه، وتبرر الاعتداء على أموال أتباع من غصب فاطمة إرثها – وهم النواصب– بكل الطرق اللاخلاقية وغير القانونية.

لقد جعل المراجع الفرس " قضية فدك" أساس اختلاف الشيعة مع المسلمين، فألفوا الكتب الكبيرة وسودوا الصفحات الكثيرة واعادوا وكرروا وكوروا، فما من مرجع إلا وله مؤلف في قضية فدك !. فماهي فدك ؟

فدك :

{ هي أرض بخيبر، فيها عين ونخيل، مما أفاء الله على نبيه ﷺ أي أعطاه غنيمة نيلت بلا قتال في السنة السابعة للهجرة. وبعد وفاة النبي ﷺ ومبايعة المسلمين أبا بكرخليفة، ذهبت فاطمة بنت النبي ﷺ إليه تسأله ميراثها من فدك، فيقول المرجع ابن الميثم الشيعي في شرح نهج البلاغة :

> " إن أبا بكر قال لها:ان لك ما لأبيك، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله . ولك على الله أن أصنع بها كما كان يصنع . فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه به".

وأكد هذا المعنى جمهرة من مراجع الشيعة، منهم الدنبلي وابن أبي حديد وفيض الإسلام علي نقي إذ يقولون:
"إن أبا بكر كان يأخذ غلتها (أي فدك) فيدفع اليهم (أهل البيت) منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي . فكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان علي كذلك ".

وغني عن القول أن الأنبياء لا يورثون مالا ولاعقارا، وإنما ورثوا علما وحكمة !

فعن أبي عبد الله انه قال: " إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم".
وفي الفقه الشيعي لا ترث النساء عقارا ! "عن أبي جعفر قال " النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئا" .

وفدك عقار بلا شك.

وعندما آل الأمر إلى الخليفة الفقيه علي بن أبي طالب، استحى من الله أن يخالف من سبقوه، فلم يرد فدك لزوجته لفاطمة "إن الأمر لما وصل إلى علي بن أبي طالب كلم في رد فدك فقال : إني لأستحي من الله أن أرد شيئا منع منه أبو بكر وأمضاه عمر". وقد حرم أبو بكر وعمر ابنتيهما عائشة وحفصة زوجتَيْ رسول الله من هذا الميراث }[٢٢٦].

وفي موقف مناقض لما ثبته علماء الشيعة أعلاه لم يوافق مراجع الفرس على رضا فاطمة بقضاء أبي بكر، الذي قبله وثبته علي زوجها، بل : جعلوا قضية فدك سببا للعدوان على أصحاب رسول الله وتكفيرهم واتهامهم بالردة والخروج من الإسلام والظلم والجور على أهل البيت وغصب حقهم حتى جعلوها دينا يتعبد به . فعند الحج مثلا وعند السلام على فاطمة ينادونها (المظلومة والمغصوبة) و(والمضطهدة والمقهورة) . ومن كلام منسوب لعلي بن ابي طالب في رثاء زوجه فاطمة أنه قال مخاطبا أباها محمد ﷺ وكيف أن أمته كلها تعاونت على ظلم ابنته فاطمة !:" وستنبئك ابنتك بتضافر **أمتك** على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال"[٢٢٧]. [أحفى السؤال = ردده مستقصيا]

ويرى الصفوي مجلسي أن أحد أهم أسباب سيطرة ابي بكر على السلطة هو المال، وأنه أخذ الخلافة بالقوة فيقول : وإن القضية الهائلة أن أبا بكر لما غصب الخلافة من أمير المؤمنين، وأخذ البيعة جبرا من المهاجرين والأنصار وأحكم أمره، طمع في فدك خوفا منه بأنها لو وقعت في أيديهم يميل الناس إليهم، ويتركون هؤلاء الظالمين (يعني أبا بكر ورفاقه) فأراد إفلاسهم حتى لا يبقي لهم شيء.

أما المرجع العراقي المعاصر محمد باقر الصدر (المعدوم عام ١٩٨٠) فهو على خطى مجلسي، يرى أن أبا بكر أخذ فدك حتى يستخدم هذا المال لكسب الأصوات لنفسه، وكأننا في حملة انتخابية في دولة رأسمالية .يقول الصدر في كتابه(فدك في التاريخ) :" فلاغرابة في أن ينتزع من أهل البيت أموالهم المهمة ليركز بذلك حكومته، أو أن يخشى من علي عليه السلام أن يصرف حاصلات فدك وغير فدك على الدعوة إلى نفسه، وكيف نستغرب ذلك من رجل كالصديق وهو الذي اتخذ المال وسيلة من وسائل الإغراء واكتساب الأصوات"[٢٢٨]

ويذهب تلميذ مجلسي الصدر أبعد من ذلك فيتهم أبابكر بالسرقة والكذب والطغيان، بعد توليف قائمة اتهام ضده وعقد محاكمة له في قضية فدك في محاولة صفوية مفضوحة لسحب الشرعية الإسلامية من –محرر الحيرة العربية من الحكم الكسروي- فيقول فيه: "فإنا سوف نراه شخصا سارقا لأنفس المعنويات الإسلامية، ومتصرفا في مقدرات الأمة بلا سلطان شرعي . ولامجال لهذا الشخص حينئذ أن يحكم بين الناس ولا يسعنا أن نؤمن له بحديث"[٢٢٩].

وبعد وصف الغيرة النسائية على الفوز بقلب النبي بين زوجته عائشة وبنته فاطمة، يصور الصدر، فاطمة بأنها ثائرة تصارع الرجال وهي تخطب في مسجد النبي بين أكابر الصحابة مهددة متوعدة، اذا لم يردوا لها مال فدك، وعلي زوجها جالس ساكت !

لقد ألحق هذا العلمائي الصفوي أكبر إهانة بسيدة نساء العالمين بوصفها تاجرة طامعة همها المال،عند ساعات موت أبيها الذي بشرها بأنها أول اللاحقين به بعد وفاته فتبسمت فرحا . كما أن أبا بكر، التاجر الثري قبل الإسلام، أنفق كل ماله في سبيل الله قبل وفاة النبي محمد

---

226 -ظهير ١٩٨٣ : ٨٤-٩٢ .

227 -عبده٢٠٠٨ :٣٠٧-

228– االصدر :٨٩ !.

229 - المصدر نفسه :١٧٢ .

ﷺ، حتى انه جاء بماله كله إلى الرسول، فسأله الرسول ﷺ ماذا تركت لأهلك؟ فرد أبـوبكر: الله ورسوله!.ومات ولم يورث دينارا ولا درهما.

إن هذا التركيز التاريخي والديني الكبير على المال وأهميته في الـتمكن الـسياسي، وحـب المراجع له جعلوا منه قضية كبرى في التفكير السياسي لهم، هدفه بناء قاعدة اقتصادية كبيرة للمشروع الإمبراطوري الكبير والاثراء الشخصي . يصرف مـن هـذا المـال علـى بنـاء الحسينيات، والحوزات، ودعم إيران في الازمات والحروب ، وتخـريج نـشطاء سـسياسين للتبشير بالتشيع الدخيل في كل انحاء العالم كما صار هذا المال، الذي تعددت مصادره، سببا لثراء فاحش لكثرة من المراجع وذويهم.

مصادر أموال المرجعية:

إن مصادر الأموال المتدفقة إلى المرجعية كثيرة جدا منها : الزكاة، والخمس، ووقـف أوذة، ودفن الموتى، وزيارات الأضرحة، وحق الوصية، وخيرية الماء، وإنارة الأضرحة، والشراكة مع تجار البازار الإيرانيين، والتحالف مع ملاك الأرض والاقطاع وغيرها.

وفي ما يأتي تفصيل لبعض هذه المصادر.

الزكاة:

تعتبر الزكاة أحد أركان الإسلام، وهي ضريبة مقدارها العام ٢,٥% يدفعها المسلم الغنـي عن ماله إذا بلغ ماله النصاب وحال عليه الحول. يدفع المسلم الزكاة بنفسه إلى مستحقيها{إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغـارمين وفـي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم}(التوبة:٦٠) . أو يدفعها إلى بيـت مـال المسلمين عند وجود الحكومة المسلمة لتصرفها على مستحقيها.

أما الشيعة فيدفعون زكاتهم إلي المجتهدين، وهؤلاء لهم الحق بالتصرف بها و توزيعها علـى أوجهها التي يرونها مناسبة .

الخمس:

ورد الخمس في سورة الأنفال { واعلموا أن ماغنمتم من شيء فأن لله خمـسه وللرسـول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل}(الأنفال:٤١) . وقد نزلت هذه الآية فـي توزيـع غنائم الحرب بصورة واضحة لا لبس فيها ، وليست في مكاسب الناس والدليل أنه لا النبـي ولاأهل بيته طالبوا الناس بهذا المال. يقول العلامة الدكتور موسى الموسوي: لم يذكر أرباب السير الذين كتبوا سيرة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء من بعده، بما فيهم الإمام علي وحتى سـيرة الأئمة، أنهم أخذوا الخمس من مكاسب الناس . لم يرسل الرسول جباته إلى أسـواق المدينـة ليستخرج من أموالهم خمس الأرباح .ولم يحدث قط أن الإمام علي أرسل جباته إلى أسـواق الكوفة ليأخذوا الخمس من أموال الناس. كما أن مؤرخي حياة الأئمة لم يذكروا قط أن الأئمـة كانوا يطالبون الناس بالخمس أو أن أحدا قدّم إليهم مالا بهذا الاسم"[٢٣٠].

[230]- م.الموسوي١٩٨٧: ٦٦-٦٧ .

وخلافا لسيرة النبي ﷺ والصحابة والأئمة فسّر فقهاء التشيع الجديد هذه الآية في المكاسب وليس غنائم الحرب. وجعلوها واجبا على المؤمن الشيعي، وعليه دفع ٢٠% من كسب ماله الى المجتهد والسيد، سواء كان هذا الكسب من الوظيفة أو الزراعة أو الصناعة أو التجارة .
يقسم الخمس إلى نصفين: نصف يعطى إلى المجتهد لقاء اجتهاده باعتباره نائب الإمام ،ويسمى" سهم الإمام" ، والنصف الآخر لـ "السيد " لقاء نسبه إلى جده الرسول، ويسميه السيد "حق جدي" . وقد أشرنا كيف جمعت المراجع العليا بين لقب السيد ووظيفة الاجتهاد سويا.

أما عند ظهور الإمام المهدي، فسيتوقف دفع الخمس إلى وكيليه السيد والمجتهد ، ويدفع الخمس مباشرة إلى الإمام باعتباره الوريث الأصلي. ولكن الامتياز المربح لـ" شركة الخمس" التي يملكها السيد والمجتهد مناصفة تجعل من خروج المهدي أمرا مشكوكا فيه!. فقد قال أحمد اليماني رئيس جماعة" جند السماء" التي ظهرت في العراق عام ٢٠٠٧ بأن الإمام المهدي ظهر في العراق بعد غياب السلطة الظالمة، وأن محبي أهل البيت هم الآن الحاكمون، وعلى المؤمنين الشيعة إعطاء الخمس الى الفقراء بدل المراجع، فكان نصيب أتباعه القتل والسجن والتشريد والاتهام بأنهم فرقة ضالة مارقة من الدين، لأن الاقلية الفارسية الحاكمة في العراق لا تؤمن بفكرة خروج المهدي المصنوعة !.

إن رضا فاطمة الزهراء بقضاء الخلفاء الراشدين، ومنهم زوجها علي ابن أبي طالب، في حقها من فدك، يترتب عليه سقوط العمود الثاني لمظلومية التشيع الدخيل، وهو دعوى حرمان فاطمة من إرث أبيها في فدك . فأنكر المراجع الفرس رضا فاطمة، لأنه سيحرم من يسمون أنفسهم "فروخ الزهراء" من ما يدعونه حقهم التاريخي من : خمس كسب الأتباع، والاعتداء على أموال الغاصبين النواصب، والذي ينبغي أن يستمر حتى ظهور الإمام المهدي؟.

من أين جاء السيد والمجتهد بحقهما في الخمس؟

لا يقبل المراجع الفرس راتبا شهريا تحدده لهم الدولة أسوة برجال الدين الآخرين، بل عيونهم على الجائزة الكبيرة : الخمس . فالأموال التي يرسلها المقلدون إلى المراجع كبيرة جدا. فمثلا قدرت، إيرادات الخمس لشيعة دول الخليج فقط في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي بأكثر من خمسين مليون دولار سنويا ! .

وبسبب التشامخ الحسي والألقاب الفخمة والاستبداد الديني، مارس المراجع حقهم الإلهي بالتهديد بغضب الله أو المقاطعة الاجتماعية إذا لم يؤد المؤمن الشيعي خمس ماله " وبما أن مراجع الشيعة لم تكن لهم السلطة لكي يرضخوا العامة على استخراج الخمس من أرباح مكاسبهم طوعا ورغبا، فلذلك أضافوا أحكاما مشددة، منها الدخول الأبدي في نار جهنم لمن لم يؤد حق الإمام، وعدم إقامة الصلاة في دار شخص لم يستخرج الخمس من ماله، أو الجلوس على مائدته وهكذا دواليك"[٢٣١].

إن المجتهد يأخذ الخمس لقاء اجتهاده الديني خلافا للرسل وتوجيه القرآن، الذي يقص علينا على ألسنة الرسل أنهم أدوا لأقوامهم واجب الإرشاد والهداية بدون أجر مالي لأن أجرهم على الله .
نوح قال:{ ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا إن أجري إلا على الله}(هود:٢٩)
وقال هود:{ ياقوم لا أسئلكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني}(هود:٥١) .

---

[231] - م.الموسوي١٩٨٧ :٦٧-٦٨ .
-

ويأخذ السيد خمس مال الشيعي عن طريق ادعاء النسب فقط وأنه من نسل أهل البيت ! أي الكسب بدون عمل، ولايأخذه حتى من كسب ماله، كما يفعل المرابون الذين يكسبون بتشغيل أموالهم وهم نائمون بدون عمل. ومن هنا فإن كسب السيد أسوأ من كسب المرابي الذي قد أجمعت الشرائع السماوية والحكمة الأخلاقية والسياسة الاقتصادية على حرمة كسبه(الربا). ان هذا الكسب بدون عمل أو معاوضة أو ضمان، الطرق الشرعية للكسب، حرام يجب معاقبة فاعله. وقد حكم عليه الكواكبي بـــ " إن من لا يصلح لوظيفة، أو لا يقوم بما يصلح له، بل يريد أن يعيش عالة عليهم(أي العاملين)، لا عن عجز طبيعي، يكون حقيرا يستحق الموت لا الشفقة"[٢٣٢] .

إن السيد المنتسب حقا الى أهل البيت عليه بذل المال لا جمعه! فقد عاش أهل البيت فقـــراء، وماتوا فقراء، ولم يورثوا مالا ولاعقارا. وقد قرر سيد أهل البيت محمد ﷺ في شـــريعته، أن المال الحلال لا يتم بادعاء النسب والاحتيال فيه، بل هو ما تم إحرازه من الطرق التالية "من بذل الطبيعة، أو بالمعاوضة، أو في مقابل عمل أو في مقابل ضمان " . أما المـــال الحـــرام " فهو ثمن الشرف، ثم المغصوب، ثم المسروق، ثم المأخوذ الجاءاً، ثم المحتال فيه "[٢٣٣] .

إن حرفة الاستجداء والاحتيال في اخذ اموال الناس البسطاء لم تكن من شـــيم اهـــل البيـــت الاطهار وانما اتانا بها احفاد ساسان. فلقد كانت طبقة رجال الكهنوت المجوس القوة الثانية في الامبراطورية الساسانية، وكانوا هم المسؤولون عن جمع الضرائب في الامبراطورية لـــدعم اقتصادها، وقد نبه الى هذا المعنى الشاعر العربي احمد الصافي النجفي فـــي ابيـــات جميلـــة ارسلها الى صديقه" السيد" تحت عنوان (لاتدنس نفسك بالخمس فإنه سحت) فالخمس وردنا من ابناء ساسان وليس من أبناء عدنان:

عجبت لقوم شحذهم بإسم دينهم! وكيف يسوغ الشحذ للرجل الشهم؟.
لإن كان تحصيل العلوم مسوغا لذا فإن الجهل خير من العلم.
وهل كان في عهد النبي عصابة يعيشون من مال الأنام بذا الأسم
لئن أوجب الله الزكاة فلم تكن لتعطى بذل بل لتؤخذ بالرغم
أتانا بها أبناء ساسان حرفة ولم تك في أبناء يعرب من قدم

غنائم الحرب ومال النواصب عليها الخمس:

غنائم الحرب أموال يأخذها المسلمون عند انتصارهم على غيرهم في الحروب . وقد أفتـــي خميني بوجوب فريضة الخمس على غنائم الحرب مع غير المسلمين، وقد ألحق بفتواه مـــال الناصب المسالم بحكم غنيمة المحارب ! وزاد على ذلك بأن حرّض اتباعه على أخـــذ مـــال الناصب بأية طريقة كانت، قانونية أم غير قانونية، ما دام يأمن الشيعي على نفـــسه، ومـــادام يدفع خمس هذا المال الحرام إلى خميني وأمثاله . فيقول:

"يجب الخمس فيما غنم من أهل الحرب الذين تستحل دماؤهم وأموالهم وتسبى نساؤهم وأطفالهم اذا كان الغزو بإذن الإمام .وأما إذا كان في حال الغيبة وعدم التمكن من الاستئذان فالأقوى وجوب الخمس فيه . وأما ما اغتنم منهم بالسرقة

---

[232] - عمارة ١٩٧٥ : ٦٨ .
[233] - المصدر نفسه : ١٦٨ و ١٧٣ .

والغيلة وكذا بالربا والدعوى الباطلة ونحوها ، فالأحوط إخراج الخمس فيها من حيث كونه غنيمة لا فائدة ، ولا يعتبر في وجوب الخمس في الغنيمة بلوغها عشرين دينارا على الأصح. نعم يعتبر فيها أن لا يكون غصبا من مسلم أو ذمي أو معاهد ونحوهم من محترمي المال، **والأقوى إلحاق** الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين ما وجد، وبأي نحو كان، ووجوب إخراج خمسه"[٢٣٤].

جاء في كتاب المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية عند السؤال عن تعريف الناصب؟ أنه **من يقدم على عليّ غيرَه !** " فقد سئل الإمام علي بن محمد عن الناصب هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت، واعتقاد إمامتهما فرجع الجواب من كان على هذا فهو ناصب"[٢٣٥] والجبت والطاغوت كناية عن أبي بكر وعمر.علما أن المسلمين والصحابة كلهم، بضمنهم علي بن أبي طالب، قد بايعوا وقدموا أبا بكر وعمر في الإمامة!.

إن فتوى خميني الشاذة أعلاه تثير أمورا أخلاقية وقانونية خطيرة، فقد كرّم الله الإنسان{ولقد كرمنا بني آدم(طه:٧١). والتكريم معناه أن للإنسان حقوقا إلهية طبيعية في الحياة والحرية والتملك والاعتقاد بغضّ النظر عن لونه أو جنسه أو عنصره أو دينه . وقد أقرت هذا التكريم القوانين السماوية والإنسانية، مثل قوانين الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨، وأكدها الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٨١ . إن فتوى خميني هذه تضع مسؤوليات على عاتق علماء الأخلاق والقانون للتصدي لها حماية للحقوق الطبيعية لمن يسميهم خميني وأتباعه " نواصب".

وقف أوذة:

هي أموال خيرية كانت تدفعها دولة أوذة الشيعية (١٧٢٠-١٨٥٦) التي نشأت في شمال الهند المتحالفة مع شركة الهند الشرقية الانكليزية عام ١٧٩٦ قبل احتلال الانكليز للهند بصورة تامة عام ١٨٥٦ . تدفع هذه الأموال إلى المجتهدن في النجف وكربلاء الذين كانت لهم علاقة بدولة أوذه، وقد استمر دفع هذه الأموال حتى عام ١٩٥٣.

نشأ وقف أوذة عند الضائقة المالية التي مرت بها الإمبراطورية البريطانية إبان حرب بورما ١٨٢٥ .وافق الحاكم البريطاني للهند آنذاك على قبول قرض مقداره ١٠ مليون روبيه من غازي الدين حيدر ملك أوذة، وكانت شروط القرض أنه أبدي لن يسدد أبدا، وإنما تدفع له فوائد بنسبة ٥% تصرفها مملكة أوذه في مشاريع محددة. ومن المستفيدين من هذه الفوائد أربع نساء من البلاط الملكي اثنتان منهن زوجات الملك تدفع لهن رواتب شهرية حتى الوفاة. توصي هؤلاء النسوة ثلث أموالهن بعد الوفاة لمن يحددنه في وصيتهن، ويذهب الثلثان المتبقيان إلى المجتهدين في النجف وكربلاء لتوزيعها على المستحقين، وفي حال عدم وجود وصية يتسلم المجتهدون الأموال كلها.

لقد بلغت أموال وقف أوذة المرسلة إلى المجتهدين في منتصف القرن التاسع عشر ١٨٦١٤٨ روبيه سنويا ، أي ما يعادل ١٥ ٥١٢ جنيه إسترليني بحساب سعر الصرف آنذاك.

---

[234]- العيص١٩٩٣ : ١٣٤ .

[235] - المصدر نفسه:١٣٦.

-

تقاسم مجتهدان فارسيان مابين ١٨٦٠-١٩٠٣ توزيع وقف أوذة وهما علي بحر العلوم في النجف حتى ١٨٨١ حيث خلفه ابنه المجتهد محمد بحر العلوم حتى عام ١٩٠٣ . وأما في كربلاء فقد قام المجتهد علي تقي طبطبائي بالتوزيع حتى عام ١٨٧٢ حيث خلفه أخوه أبو القاسم طبطبائي حتى عام ١٨٩١، ثم نجل أبي القاسم محمد باقر حتى عام ١٩٠٣.

صدرت احتجاجات على المجتهدين لإساءتهم استخدام الأموال وذهابها إلى إثرائهم وذويهم ، وفي عام ١٩٠٢ لم تعد الأموال تذهب إلى المجتهدين وإنما إلى المرابي اليهودي أياهو حزقيل دانوس الساكن في مقر المقيم الريطاني . وكان هذا المرابي يكتفي بإبراز إيصال بنصف المبلغ لكل مجتهد، ويحتفظ بالنصف الباقي كفائدة على الأموال التي اقترضها المجتهدون منه على حساب وقف أوذة .

في عام ١٩٠٣ أخذ القائم بالأعمال البريطاني في بغداد على عاتقه توزيع وقف أوذة على المجتهدين في النجف وكربلاء مع تشكيل لجان لتحديد المستحقين من الناس وتوزيعها عليهم، و لم تمنع هذه الإجراءات الفساد المالي الذي كان يمارسه المجتهدون، خصوصا التلاعب بالصندوق الهندي، و الذي حصته ثلث وقف أوذة، توزع على الهنود المقيمين في االنجف وكربلاء. وفي عام ١٩٣٣ فقد وقف أوذة أهميته بالنسبة للمجتهدين عندما بدأت السفارة الهندية توزيع الأموال بنفسها من بغداد على مستحقيها مباشرة في النجف وكربلاء دون الرجوع إلى المجتهدين[٢٣٦] .

وقف"العتبة المقدسة للإمام الرضا":

يدير المراجع أكبر مؤسسة خيرية في إيران، وهي مؤسسة "العتبة المقدسة للإمام الرضا". يملك هذا الوقف ٥٨% من أراضي مدينة مشهد الإيرانية ذات المليون نسمة، و٤٠٠ ألف هكتار في محافظة خراسان، موزعة على ٤٣٨ بناية عائدة للوقف .ولم يتمكن الشاه من توزيع هذه الأراضي وفق قانون الإصلاح الزراعي الذي أصدره في ستينات القرن العشرين، فقام بتكييف قانوني مكّنه من توزيع بعض الأراضي المحيطة بالقرى التي يسكنها الفلاحون على شكل إيجار طويل الأمد مدته ٩٩ عاما. لكن بعد الثورة الإيرانية ١٩٧٩ استرجعت المرجعية جميع هذه الأراضي"[٢٣٧] .

دفن الموتى:

تعد مقبرة وادي السلام في النجف من أكبر مقابر العالم، ويعتقد المؤمن الشيعي بقدسية الدفن في هذه المقبرة بجوار علي بن أبي طالب، إذ سيدخل الجنة معه أو سيكون حسابه يوم القيامة أسهل، ولذلك ينقل الشيعة أعدادا كبيرة من موتاهم من داخل وخارج العراق إليها غير مبالين بما قد يصيب جثة المتوفى من تفسخ خصوصا في موسم الصيف وما يترتب عليه من مخاطر صحية عامة ." ففي أواخر العهد العثماني كانت الجنائز التي تنقل سنويا إلى النجف يصل إلى ٢٠ ألف جنازة سواء كان من داخل العراق أو من خارجه"[٢٣٨] . إن هذا الدفن ليس عملا خيريا وصدقة كما هو الحال عند عامة المسلمين، بل هو تجارة ضخمة جدا، تدر أرباحا طائلة

---

[236] – لمزيد من التفصيل انظر نقاش١٩٩٦: ٣٨٥-٤٠٨ .

[237] - Richard Y. 1996 : 90-91 .

[238] -نقاش ١٩٩٦ : ٣٤٦ .

.ان عملية الدفن بالغة التكاليف، فقد وصل سعرها في الأماكن الراقية من المقبـــرة إلـــى ٤٠ جنيه ذهب إسترليني في بداية القرن العشرين[٢٣٩] .

زيارة العتبات:

العتبات هي مراقد(قبور) الأئمة المدفونين فى مدن العراق وإيران . وهي كثيرة جدا، أهمها: مراقد الحسين وأخيه غير الشقيق العباس في كربلاء، وعلي بن أبـــي طالـــب فـــي النجـــف، وموسى الكاظم وحفيده محمد الجواد في الكاظمية في بغداد، وعلي الهادي وحسن العـــسكري في سامراء .

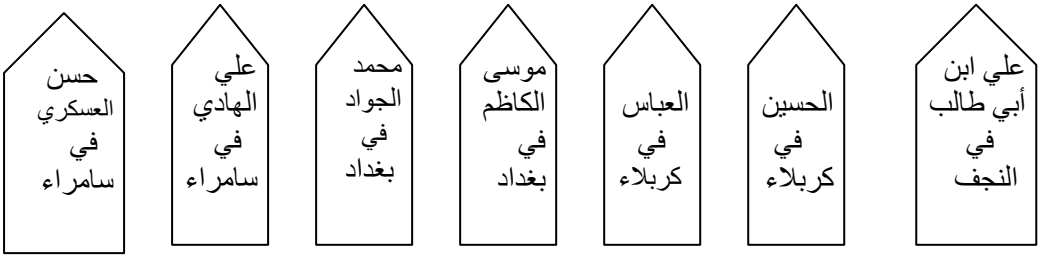

وهناك مراقد كثيرة أخرى تأتي بالدرجة الثانية بعد مراقد الأئمة، وهم أبناء وأحفاد وأصحاب الأئمة، مثل سيد محمد بن على الهادي في " بلد " شمال بغداد، ومسلم بن عقيل وحمزة بن موسى وجاسم بن حمزة في الحلة، وعبد الله بن علي بن أبي طالب في قلعة صالح، وبنات الحسن العسكري في المسيب شمال الحلة ، وأضرحة كثيرة أخرى في طويريج وبدرة والمدائن .أما أهم العتبات في إيران فهي ضريح الإمام الثامن الرضا في مشهد و ضريح أخته " فاطمة المعصومة" في مدينة قم.

إن زيارة العتبات واجب ديني مقدس، على المؤمنين الشيعة القيام به، وهي كفارة للذنوب وكسب الاجر ودخول الجنة . ولقد أورد المراجع والعلماء جملة أحاديث وأقوال تبين أهمية الزيارة وأجرها منها "لكل خطوة يخطوها الزائر في سبيل زيارة الحسين له قصر في الجنة"[٢٤٠]. حتى نسبوا إلى الإمام موسى الكاظم قوله:

إذا رمت النجاة فزر حسينا لكي تلقى الآله قرير عين
فإن النار ليس تمس جسما عليه غبار زوار الحسين ![٢٤١]

وللزيارة طقس خاص بها:

تتم الزيارة على شكل طواف حول ضريح الإمام باتجاه عكس اتجاه عقرب الساعة (ما أشبهه بالطواف حول الكعبة!) **.يتبرك الزائر اثناء الطواف بمسح وتقبيل الشباك الذهبي المقام حول الضريح . يدفع الزائر الأموال من فتحات الشباك إلى الضريح تقربا له .يقوم سدنة الأضرحة بجمع هذه الأموال بعد الانتهاء من الزيارة . وعند خروج الزائر يقابله سادن آخرعلى الباب الخارجي يعطيه شريط قماش أخضر يلفه حول المعصم للتبرك وتحقيق الأمنية، فيدفع الزائر للسادن ما تجود به يده مرة أخرى.**

---

[239] - الملحق رقم-٢- المصدر نفسه: ٥٢١ .

[240] – م .الموسوي١٩٨٧ :٩٣ .

[241] - ahlaliraq.com/vb/t25092.html - 93k -

يقدر عدد هذه الزيارات بأكثر من ٥٤ زيارة سنويا. وهي تدر أموالا طائلة. ليس لدينا احصائية حديثة تبين الأموال المستحصلة، فهي تدار بطريقة سرية لا يعلمها إلا السيد وشريكه المرجع. ولنا أن نتخيل كم ستكون الأموال المستحصلة إذا علمنا أنه في عام ١٨٧٥ قدر إجمالي" ما ينفقه الزوار الفرس سنويا بـ ٤٢٥٠٠٠٠ تومان تساوي ١٠٧٠٠٠٠ جنيه استرليني "[٢٤٢] .

إن كثرة الأموال المستحصلة من هذه العتبات، والكسب الكبير للقائمين عليها، دفع بعض عوام العراق إلى بناء هذه الأضرحة من أجل جني الأرباح والإثراء، حتى صارت أعدادها لا تحصى! خصوصا في ريف الجنوب العراقي . يروي الأستاذ الوردي" أن رجلا، اسمه مزعل الفحام، كان فقيرا كادحا، فتفتق ذهنه عن حيلة يدرأ بها الفقر عن نفسه وعائلته. فأعلن ذات يوم أن الخضر ظهر له في النوم وأخبره بوجود قبر لأحد الأولياء في بيته .وشاع الخبر بين الناس فأصبح بيت مزعل مزارا كبيرا، وتولى مزعل نفسه سدانة المزار، فصار رجلا محترما تغدق عليه النذور والهدايا"..... ويدعي فلاّح الادعاء نفسه في قرية القريشات قرب النجف ويظهر ضريح ثان و ثالث ورابع حتى ازدحمت القرية بالأضرحة .وأغرب هذه الأضرحة ضريح صكبان فـ"منذ زهاء مائة سنة ظهر قبر مقدس قرب مدينة الهندية قيل أنه لحفيد الإمام جعفر الصادق اسمه (صكبان)، والغريب أن هذا الاسم أعجمي ومعناه "حارس الكلب " وكان يطلق في العهد العثماني على نوع من الجنود .وليس من المعقول أن يسمى حفيد جعفر الصادق بهذا الاسم. ولكن الناس لم يهتموا بذلك وانثالوا على القبر يتبركون به "[٢٤٣]

وخلافا لوصية نبي الاسلام بأن تكون القبور دارسة لئلا تتخذ معبودا من دون الله، تم بناء هذه الأضرحة، خصوصا أضرحة الأئمة في العراق وإيران، بطريقة ضخمة هائلة وذات فن معماري غلب عليه الطابع الفارسي. وطليت القباب والأبواب بالذهب وزين داخلها بالفضة والأحجار الكريمة المرصعة، وأحيط الضريح بشباك ذهبي ضخم . يشبه هذا البناء في ضخامته بناء الكاتدرائيات التي بناها الحكام البابوات في العصور الوسطى في أوربا تمريرا للبدع والخرافات لإحكام السيطرة على المجتمع المسيحي المتدين آنذاك. فالزائر الداخل الى هذه الأضرحة تعلوه رهبة وخشوع، وربما انخلع قلبه قبل بصره، إذ قد لا يتصور الإنسان البسيط أن من في داخل هذه القبور هم من البشر!.فصارت ضخامة البناء وتقديسه من أهم أسباب السيطرة على المجتمع الشيعي البسيط .

صحيح أنه يتبرك بعض أفراد من المسلمين بالأضرحة والقبور خصوصا الصوفية، لكن هذه الأضرحة لا تقارن بالبناء الضخم للعتبات! كما أن إيرادت الأضرحة الأخرى بسيطة تكاد لا تذكر إذا ما قورنت بإيرادات أضرحة الأئمة الهائلة.

ويحذر جمهور المسلمين من التوسل بالقبور، مؤكدين أن الأموات لا يضرون ولا ينفعون في شيء، ويجب أن يتوجه التوسل إلى الله تعالى مباشرة من دون واسطة.

بالرغم من الاموال المستحصلة الضخمة، لم يصرف المراجع منها شيئا لتجديد العتبات وتعميرها. فإلى عهد قريب، كانت العتبات والمناطق المحيطة بها في النجف وكربلاء مهملة ووسخة، وكان الزوار الأجانب يعيشون في الخيام عند الزيارة، فقام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين في ثمانينات القرن العشرين بصرف مبلغ ٢٢٠ مليون دولار في النجف ومبلغ

---

[242]- نقاش١٩٩٦ : ٣٠٥ .

[243]- الوردي٢٠٠٩ : ٢٧١-٢٧٢ .

٦٠ مليون دولار في كربلاء لتجديد وتعمير العتبات، مما أدى إلى انتعاش أماكن الزيارة اقتصاديا [٢٤٤]

مصادر أخرى:

وعلى عكس تعاليم الإسلام التي تطلب من المسلم أن يتوب إلى ربه عند الوقوع في الإثم والمنكر، وأن يعمل صالحا تكفيرا عن ذنبه، يدفع الشيعة مالا يسمى "رد المظالم " وهو مبلغ (صك غفران) يحوله الشيعة إلى مجتهديهم تكفيرا عن منكر ارتكبوه. وكان هذا يشتمل على قبول وظيفة حكومية، الامرالذي كان لاشرعيا عند الشيعي المتزمت "[٢٤٥].

ومن رد المظالم كذلك ضريبة يدفعها موظف الحكومة للمجتهد "حيث ينتظر من مستلمي رواتب الحكومة أو من دخل مشابه من الدولة دفع جزء من دخلهم إلى جهة دينية، لتحليل الباقي من شبهة الحرام. وهذا ناجم عن اعتقادهم بأن الحكومة تحصل على أموالها بوسائل غير شرعية " ..... والمبلغ الآخر حق الوصية، وهو ثلث ميراث المتوفي الشيعي عادة لغرض محدد يقوم المجتهد على إدارته" [٢٤٦] .وهناك هبات خيرية يدفعها الناس لسقي الفقراء ماءً تذكيرا لهم بعطش الحسين، وأخرى لتنوير أضرحة الأئمة." فقد قدر دخل تنوير أضرحة الأئمة في النجف وحده بعشرة آلاف جنيه إسترليني في عام ١٩١٨[٢٤٧].

إن كثرة الاموال المستحصلة من الشيعة والتكاليف المالية المرهقة التي عليهم تسديدها جعلتهم من افقر الناس، وجعلت المراجع دولة من الاغنياء.

المرجعية دولة من الأغنياء:

إن الأموال التي تحصل عليها المرجعية تضاهي أحيانا خزائن الدول . فمثلا كان مرتضى الأنصاري أول مرجع ديني أعلى في النجف يستلم "مبلغ ٢٠٠ ألف تومان إيراني عام ١٨٥٠ وهو مبلغ ضخم اذا قيس بإيراد خزينة القاجار البالغه ٣ ملايين تومان سنويا آنذاك أي يستلم ٧% من ميزانية الدولة. وقدّر تقرير بريطاني عام ١٩١٨ أن إيرادات النجف العامة في بداية القرن العشرين تقدر بمليون جنيه استرليني"[٢٤٨].

وقد شارك في جمع هذه الثروة المالية الهائلة للمرجعية : تحالف قوي سري بين المرجعية وأصحاب رؤوس الأموال و التجار وملاك الأراضي والبرجوازية الشيعية الغنية. وقد علمنا تزويج الشيخ ستارابنتيه للسيدين هادي القزويني ومحمد إبراهيم بحر العلوم الذين كانا ينتميان إلى أسر دينية فارسية مرموقة واعتراض المرجع محسن طباطبائي الحكيم على قانون الاصلاح الزراعي لعام ١٩٥٩ الذي قوض سلطة الاقطاع في الجنوب العراقي. وفي الوقت نفسه تحالف ملاك الأرض الشيعة، ووجهائهم، مع السلطة في البلدان التي فيها أقليات شيعية، من جنوب لبنان حتى باكستان في محاولة للمحافظة على المصالح الخاصة على حساب مصالح أبناء الطائفة " عند بدء عملية تكوين الدولة في باكستان والعراق والبحرين ولبنان كان ممثلو الطائفة الشيعية هم الوجهاء والأعيان، وغالبيتهم من ملاك الأراضي وزعماء العشائر("زعيم" بالعربية و"زمندار" بالاردية). وقد اعتاد هؤلاء إجراء صفقات مع الطبقة

---

[244] - Richard .Y.1995 :118

[245] - نقاش١٩٩٦ : ٣٧٨ .

[246]- عطية ١٩٨٨ :٦٨ .

[247] - نقاش ١٩٩٦ :٣٧٨-٣٧٩ .

[248] - JABAR.F .2003 :150-

الحاكمة السنّية، ومن خلال مثل هذه المساومات، وجد الشيعة العاديون مواقع جد متواضعة لهم في الدول الناشئة حديثا"[٢٤٩].

وتورّث الأموال الطائلة للمراجع إلى أبناءهم، كما هو الشأن في المركز الدينى بعد التدرج فى التنظيم الهرمى المرجعي.لذا انحصرت المراكز القيادية الدينية عند الشيعة في عوائل قليلة من الفرس على شكل سلالات حاكمة كعائلة شيرازي وقزويني وتبريزي وخوئي وبحر العلوم وطباطبائي الحكيم. وبعد وفاة المجتهد، الذي يعيش حياة شبه سرية ظاهرها الزهد والبعد عن حياة الترف وحقيقتها جمع الأموال وكنزها، ينتقل ماله الذى جمعه، إلى ورثته وذويه، وتصبح أموالا شخصية خاصة بهم . وهكذا تحول كثير من الاموال العامة إلى أموال شخصية خاصة يرثها أولاد المرجع أو المقربين منه، وتحول هؤلاء الأولاد زعماء بالقوة بسبب العلاقة العميقة بين المال والطغيان على حد وصف الكاتب العراقي عادل رؤوف.

ان هذا التوريث جعل المراجع دولة من الأغنياء، وأشعل صراعا بينهم للسيطرة على هذا المال العام، حتى أن العلمائي الصفوي الكبير محمد باقر الصدر، الذي اتهم أبا بكر بحب المال، وصف هذا العبث بالمال الشيعي قبل عقدين من الزمن بقوله : " إن ٨٠% من طاقات المجتمع الشيعي مستنزفة بصراع داخلي، سبب معظمه المال: فإشكالية متعلقة برجل مشرف على حملة حج له علاقة بمرجع، وأخرى تتعلق بمساعدة أيتام من خلال قناة معينة، وشراء بانزين تابع للشخص الفلاني..الخ فكيف الحال في ظل الواقع الجديد"[٢٥٠] .

الفساد المالي ظاهرة تاريخية:

وفي تناقض صارخ مع سيرة علي بن أبي طالب التي تميزت بالزهد بالمال والسلطة يستغل المراجع النسب العلوي الكاذب للوصول إلى السلطة والاستحواذ على الأموال العامة . وبلغ بهم الشغف بالمال حدا جعلهم يجمعونه بطريقة غير شرعية ولاأخلاقية، وصار الفساد المالي ظاهرة تاريخية ملازمة لإدارة المال الشيعي "إن التلاعب بالمال الشيعي لم يكن ابن المرحلة الحالية، بل هو ظاهرة في هذا الجيل، وفي الأجيال التي سبقته . والغريب أنه في وسط المؤسسة الدينية يترك بصماته واضحا على الكثير من طلاب هذه المؤسسة"[٢٥١]. فقد كان طلاب الحوزات يعانون دوما من الفقر والحرمان، بينما يرون بعض المراجع والحاشية في ترف يصل حد البطر. ولذلك فقد اتهم بعضهم المجتهدين بالفساد وطالبوا المراجع بالشفافية والتصرف بالمال العام وفق القانون "بأن يثبت المجتهدون الذين يتلقون أموالا دينية للرأي العام أنهم يتصرفون بما يتسلمونه وفق القانون باستحداث(بيت المال)، وحينئذ سيحصل الطلبة والسادة والمجتهدون على حصصهم من بيت المال عن طريق التوزيع العمومي كما كانت الحال في صدر الإسلام "[٢٥٢].

وبعد الاحتلال الامريكي للعراق ٢٠٠٣ تجلى الفساد المالي بأبشع صورة في قيادة الدولة العراقية المتمثلة بحكومتي إبراهيم جعفري ونوري المالكي الطائفيتين ، اللتين تباركهما المرجعية الفارسية في النجف. واندلع صراع على المال بين رجال الدين والسادة، وعلى وسائل الإعلام، بطريقة تجسد أن " شر البلية ما يضحك"! .فبعد ازدياد عدد المطالبين بالخمس

---

[249] -نصر٢٠٠٧ :٧٩-٨٠ .

[250]– رؤوف ٢٠٠١ : ٦٥ .

[251]- المصدر نفسه :٣٦٠.

[252]- نقاش١٩٩٦ :٤٤٩ .

راح بعض السادة والمجتهدون ينقصون الخمس الذي = ٢٠% بصورة تدريجية حتى أوصلوه إلى ما دون ٥ % !. كما صار السيد مسؤولا عن مؤسسات توزيع الوقود ومحتكرا لبيع النفط والغاز. وكان من شروط وقف المناوشات التي حصلت بين أتباع مقتدى الصدر والقوات الأمريكية في النجف في نيسان ٢٠٠٤ هو تسليم المفاتيح الثمينة لمرقد علي بن أبي طالب، التي كانت مع مقتدى، إلى علي سيستاني المرجع الأعلى للشيعة!.

عالمية إدارة الأموال :

تدار الأموال المستحصلة من المؤمنين الشيعة بطريقة عالمية سرية معقدة، فيتم تنظيم حركة هذه الأموال عن طريق شبكة بنوك وبيوتات مالية في دول الخليج والدول الغربية. وقد أسس المجتهدون في العراق مؤسسات ثقافية وخيرية في الدول الغربية لتجنب الإجراءات المالية الصارمة في دول الشرق الاوسط"[٢٥٣]. وأهم هذه المؤسسات هي مؤسسة الخوئي العملاقة التي تأسست في لندن عام ١٩٩٢، فقد صرفت عشرات الملايين من الدولارات على ادارتها فقط، وتتعامل على المستوى الدولي بتقديم قروض مالية ضخمة للدول الفقيرة!!.

وعندما غادر سيستاني النجف متوجها إلى لندن في أبريل ٢٠٠٤ ، تم العثور في محل سكناه في سراديب النجف على مبالغ طائلة لم تحدد قيمتها، وقدرها السيد حمزة الكرعاوي في كتاباته بسبعة مليارات دولار سنويا!. لم يصرف سيستاني شيئا من هذه الأموال على الأقليات الشيعية في العالم، ولم يستفد منها فقراء الشيعة في العراق، خصوصا خلال سني الحصار الثلاث عشرة العصيبة.بل صرف بعضها في بناء مؤسسات خيرية واجتماعية في إيران. فقد بنى سيستاني العشرات من المستوصفات والمستشفيات والتجمعات السكنية وجمعيات اجتماعية كلها للشعب الايراني ليس بينها واحدا للأقليات الشيعية في العالم الإسلامي التي تدفع له الخمس بانتظام.

ان هذا الولاء لإيران، وجمع المال لإسنادها له جذوره التاريخية بغضّ النظر عمن يحكم إيران . وسنأخذ مثالين لمرجعين عراقيين تعدهما المصادر الشيعية من ذوي الاتجاه العربي القوي : ففي عهد الحكم القاجاري لإيران (١٧٩٧-١٩٢٥) أقدم المجتهد النجفي جعفر كاشف الغطاء " على وضع سهم الإمام تحت تصرف الشاه طيلة استمرار الحرب الفارسية – الروسية ١٨١٠-١٨١٣ . وخلال زيارات كاشف الغطاء إلى إيران كان يجمع ضرائب "الخمس"و "ردّ المظالم" بنفسه. وقيل أنه اعتبر كل من يمتنع عن دفع الخمس مارقا على الإمام وعلى ممثله المجتهد "[٢٥٤] . وبدلا من إسناد العراقيين للتخلص من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٧ أفتى الشيخ الخالصي الكبير عندما كانت ايران تحت النفوذ الانكليزي "بأن جزءا من الخمس الذي يخصصه الأتقياء الشيعة للخدمات الدينية العامة والسادة ينبغي أن يدفع الآن إلى الحكومة الإيرانية لتمكينها من تعزيز قواتها المسلحة .كما دعى الخالصي إلى تخصيص العوائد المتحققة من وقف ضريحي الكاظمين ومشهد للغرض نفسه "[٢٥٥].

إذن فالشيعة يعانون الفقر من إرهاق مالي جراء ضرائب دينية يفرضها عليهم المراجع من أجل مصالحهم الشخصية ثم ايران. فكانت نتيجة هذا أن انتشر بين الشيعة الفقر والمرض والجهل ، بينما صار المراجع سلطة سياسية وقوة اقتصادية لا تنافس.

---

[253] - JABAR.F.2003 : 151

[254] - نقاش١٩٩٦: ٣٨٠-٣٨١ .

[255] - المصدر نفسه :١٥٥ .

الاستعباد الديني والاستبداد السياسي معا:

إن الإرهاق المادي الذي يعانيه المؤمنون الشيعة من كثرة الواجبات والالتزامات المالية :

دفع الخمس + الزكاة + رد المظالم + ثلث الميراث + زيارة العتبات + تنوير الاضـــرحة + دفن الموتى

جعلهم فريسة لأشد الآفات فتكا بالانسان:

فقر +مرض +جهل + قهر

وقد أدى هذا الاستعباد الديني بالشيعي لأن يعمل ليل نهار من أجل الوفاء بالتزاماته، بينمـــا هو أولى الناس بهذه الأموال . ولقد دفع الفقر والذل الذي عاشه الشيعة تحت سطوة التحـــالف الاستراتيجي بين المرجعية و ملاك الأرض والإقطاع في العراق ولبنان، إلى نـــزوح كثيـــر منهم إلى المدن الكبيرة خصوصا العواصم بغداد وبيروت، طلبا للرزق. فشكّل هؤلاء "أحزمة فقر" أو"أحزمة بؤس " طوقت العواصم، مثل المدينة التي تعاقبت عليها ثلاثة أســـماء:مدينـــة الثورة / صدام / الصدر! . استغلت النخبة الفارسية أحزمة الفقر لأغراضها السياسية، كتأليب الفقراء على الحكام.وهي تعمل جاهدة على تعميم هذه الأحزمة لتطويق عواصم عربية أخرى كتجمع الفقراء في حي السيدة زينب في دمشق مثلا بعد ثبوت نجاحها السياسي فـــي بغـــداد وبيروت.

فما هي تلك الأغراض السياسية ؟

ينشط وكلاء ومعتمدو المراجع بين جموع أحزمة الفقر ، وتقام لهم أعنف الطقوس الدينية في اللطم والتطبير في مجالس العزاء تحت شعار مظلومية أهل البيت هدفها التحـــريض الـــسلبي ضد الحكومات المركزية، واتهامها بأنها سبب هذا الفقر لهذه الجموع وتحريضهم على الثورة والعصيان لزعزعة السلم الأهلي والنظام الاجتماعي في هذه البلدان.

لقد جمعت المرجعية المتظاهرة بالزهد والبعد عن النـــاس بيـــدها ســـلطة دينيـــة وسياســـية واقتصادية تجعلها حكومة خفية مطلقة. ولإبعاد المساءلة عنهـــا اخترعـــت بـــذكاء بـــارع " المظلومية التاريخية "، لإسقاط تهمة ظلم واســـتغلال المـــؤمنين الـــشيعة عنهـــا وإلـــصقاها بالحكومات المركزية للمسلمين " السنية " عبر التاريخ. وبذلك تستغل إدامة الظلم المزعوم في استمرار جمعها للثروات وإحكام السيطرة على الشيعة وعزلهم عن بلدانهم الأصلية، تمهيـــدا للسيطرة على هذه البلدان.

ولكن صرف قليل من الثروة التي جمعتها المرجعية في حساباتها المتخمة، على مشاريع مهنية وتعليمية لإكساب الفقراء البؤساء مهارات وعلوم ضرورية، ستؤهل كثيرا منهم لارتياد سوق العمل المعاصر، مما يخلصهم من بؤسهم المزمن وشقائهم الظالم.

لقد أدّى الاستعباد الديني والاستبداد السياسي الذي تمارسه المرجعية وحلفاؤها الإقطـــاعيون، إلى صناعة ظلم اجتماعي خطير بين الشيعة تمثل بالبؤس والحرمان، والذي تستغله المرجعية التي صنعت هذا الظلم بيديها لتنتج منه تحريضا سياسيا سلبيا ضد التاريخ الإسلامي وقـــواده والحكومات المركزية للمسلمين من خلال التذكير به، ولمدة ٤٠ يوما، في مجـــالس العـــزاء المقامة سنويا في عاشوراء.

الفصل السادس

مجالس العزاء: مصانع الحقد وحب الانتقام

عاشوراء

عاشوراء هو اليوم العاشر من محرم، الشهر الأول في التقويم الهجري للمسلمين، الذي استشهد فيه الحسين بن على بن أبي طالب، في معركة الطف في كربلاء في ٦١ هـ .بعدما تخلى عنه الذين بايعوه من أهل الكوفة وخذلوه من بعد تأييد. كان هذا الجيش المتخاذل مكون من الأخلاط، يشكّل أكثره الموالي الفرس الذين حرضّوا على اغتيال ابيه .. لذا عاب عليهم الحسين هذا النسب فخاطبهم قائلا :"**ارجعوا لأنسابكم وأحسابكم إن كنتم عربا**" هذه هي الحقيقة التي يتحاشى ذكرها أساطين التشيع الدخيل.

التقط الفرس بذكاء بارع هذه الحادثة التاريخية البطولية الأليمة، والواقعة الحزينة، فجعلوها لب التشيع الدخيل. أداروا التاريخ وكوّروه ولفّوه حولها، لا يبرحوه، يكررون ويعيدون به سنويا، حتى صارت عقيدة دينية لها طقوس وأدعية مأثورة تكفر الذنوب والزلات، ونواحات ودموع كثيرة تغسل المعاصي والعثرات. يقيم الشيعة فى هذا اليوم مراسم وطقوس الحزن الخاصة بالعزاء "الحسيني" سنويا بمناسبة استشهاده، ويزور الشيعة ضريحه في يوم الأربعين، المصادف ٢٠ صفر ويسمون هذا اليوم (مردّ الراس) أو (الأربعين). [أي دعوى رد يزيد لرأس الحسين من دمشق] .

يعرض الشيعة في هذا اليوم طقوسهم المميزة : فعاشوراء مناسبة للتكفير الجماعي عن الذنوب من خلال النواح وجلد الذات، وتعبيراً عن الخلاص من تأنيب الضمير بسبب موقف شيعة الكوفة المتخاذل "لأن الشيعة يؤمنون بأن الله يجيب دعاء الداعين في ذلك اليوم ويغفر للتائبين بسهولة أكبر منها في أي يوم آخر، بصرف النظر عن جنس الذنوب المقترفة وعددها، أو درجة التزام التائب بالفروض اليومية التي يشترطها التدين الاسلامي"[٢٥٦] .

صار ألحسين باستشهاده هو المحور المركزي لطقوس التشيع الدخيل. وعلا ذكره ذكر أبيه آلاف المرات، إذ يعتبر المراجع الفرس، المشاركة بهذه المناسبة من أعظم القربات، وبها تغفر الخطايا والزلات . يقول قمي أن الخلاص والنجاة يوم القيامة يتم "بواسطة إمام الزمان، ولذا فإنه مفروض على المؤمن الشيعي أن يعرف إمام زمانه، وأن يتبعه كقائد مثالي .وهذا الإمام المتبع يشفع له يوم الحساب كي تغفر له زلاته، لأن الشفاعة لدى الله هي وقف على الأنبياء والأئمة"[٢٥٧].

والسؤال العقلاني :

لماذا لا يتخذ المؤمن الشيعي الرسول إماما بدل الأئمة ؟ حيث أن الرسول أبوهم وأعظمهم!.

إن اهم مايغفر الذنوب، والخطايا في الاعتقاد المرجعي هو البكاء والحزن على الحسين ، وليس العمل الصالح، فالحزن والبكاء هما سبب المغفرة ودخول الجنة!. كما أن درجة الإيمان والتوبة تزداد بكثرة البكاء والحزن على الحسين واستذكار مصابه . ينسب إلى أحد الأئمة أنه قال : " من بكى أو تباكى على الحسين وجبت عليه الجنه"[٢٥٨] وينسب مجلسي إلى محمد الباقر

---

256 – نصر٢٠٠٧ :٢٩ .

257 - النفيسي١٩٩٠: ٢٦ .

258 - م الموسوي ١٩٨٧ :٩٣ .

أنه قال : " لاتخرج قطرة ماء بكاء على الحسين إلا ويغفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر "[٢٥٩].

ويمتدح خميني في كتابه(كشف الأسرار) مجالس العزاء، ويعتبرها مناسبة لنشر تعاليم الله وأخلاق الدين الفاضلة بقوله "إن مجالس العزاء تقام لدى الشيعة في كل مكان. ومع ما في هذه المجالس من نقص، إلا انها تروج تعاليم الدين وأخلاقياته وتشيع الفضيلة ومكارم الأخلاق والدين الإلهي والقانون السماوي المتمثل بالمذهب الشيعي المقدس الذي يدين به أتباع علي عليه السلام ونما وترعرع في ظل هذه المجالس المقدسة،وتهدف في الواقع الى نشر الدين وأحكام الآله "[٢٦٠].

العزاء: الطقس المميز للتشيع الفارسي الدخيل:

تعتز جميع الامم بأبطالها الذين صنعوا تاريخها، من خلال احتفالات فخر واعتزاز وزرع روح العزة واالإباء. ويعتقد المسلمون أن الحسين قد قتل في واقعة تاريخية عظيمة من أجل المبادئ الشورية الإسلامية العالية فذهب شهيدا إلى ربه، ويحتفلون بهذا التاريخ بما يليق بذكرى استشهاد صاحبة، لأخذ العبرة والدرس. ويحدثنا التاريخ عن الخنساء العربية التي بكت وندبت اخاها صخرا في جاهليتها كلها .لكنها عندما آمنت ودخلت الاسلام، زفوا اليها خبر استشهاد ثلاثة من اولادها فما زادت على قولها:الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، فما لطمت خدا ولاشقت صدرا وهي الام الثكلى لثلاثة من الابناء، امتثالا لقول نبيها " ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية".

أما الفرس، فقد صنعوا من الموقف البطولي الخالد للحسين قبل ١٤٠٠ سنة مظلومية سياسية تاريخية: فأقاموا مناحات كثيرة وبكائيات طويلة في إثارة العواطف البدائية التي نهى عنها الاسلام من لطم الصدور وشق الرؤوس ولبس السواد، ونشر معاني الذل والمهانة والاستعباد في نفوس الأتباع، بأمرهم بالزحف على الأرجل والبطون وتطيين الوجوه والأجسام .

ان مجالس العزاء هي أحد أهم الثقافات والسياسات التي صدرّتها بلاد فارس الى العالم الاسلامي. فقد بدأت طقوس العزاء بعد ٣٠٠ سنة من إستشهاد الحسين!، أيام سطوة البويهيين على العراق وتحديدا عام ٣٥٢ هـ . فبعد عقدين من حكم البويهيين لبغداد ظهرت مراسم النياحة واللطم على مقتل الحسين واظهار الحزن والبكاء والتطيين وذر التراب على الرؤوس والاجسام . وأخذت طابعا عاما أثناء الحكم الصفوي لإيران (١٥٠١-١٧٣٦ م) فقد " كان البلاط الصفوي يعلن الحداد في العشر الأوائل من محرم من كل عام، ويستقبل الشاه المعزين في يوم عاشوراء، وكانت تقام في البلاط احتفالات خاصة لهذا الغرض تجتمع فيها الجماهير ويحضرها الشاه بنفسه"[٢٦١] . وقد اتخذ الشاهات الصفوية هذه المناسبة ذريعة لتثبيت حكمهم : فقد كان الشاه عباس الصفوي في عاشوراء يزحف أمام الناس، على ركبتيه باتجاه الإمام الرضا في مدينة مشهد، تفننا في إخضاع الفرس لحكمه! أما حقيقة الشاه فقد كان يشرب الخمرة ويتعاطى المخدرات، ويحب الرقص والغناء وملاه اخرى، حتى أنه أمر طبيبه الشخصي أن يكتب كتابا يوضح فيه فوائد الخمرة وصفات شاربيها [٢٦٢].

---

[259] - ظهير ١٩٨٣ :٢٣٩ .
[260] - العيص١٩٩٣: ١١٩ .
[261] - م الموسوي١٩٨٧ :٩٩ .
[262] - Chehabi 2003 : 91

يتضمن التشيع الصفوي إقامة مجالس العزاء والنياحة والتطبير والتجلل بالسواد والنيل من الصحابة والطعن في زوجات الرسول وتشويه الرموز التاريخية للأمة المسلمة خصوصا العرب منهم. فالتشيع الصفوي حركة شعوبية حادة، استطاعت تحويل مباديء الاسلام العالية، وتشريعاته الحكيمة إلى فوضى وارباك، وثقافته الانسانية الى خرافات وأساطير، وأخلاقه العالية الى ضغائن سياسية وقومية وأقامت بين الشعب الإيراني المسلم والأمة المسلمة جدارا أسودا من الحقد والكراهية وسوء الظن والتهمة والافتراء والطعن والتحريف والتكفير.

لقد أنجب المسلمون الفرس، كثيرا من القادة الاعلام ممن أسهموا مساهمة ثرية وجادة في الحضارة الاسلامية وإشراقتها الفكرية الانسانية، في فروع الفقه واللغة والعلوم والفنون والتاريخ، منهم على سبيل المثال لاالحصر:

الفقية أبو حنيفة النعمان منشأ مدرسة الرأي
الامام مسلم النيسابوري مؤلف صحيح مسلم في الحديث
عالم الكيمياء جابر بن حيان الازدي واضع كتاب الكيمياء
الطبيب ابن سينا مبدع كتاب الحاوي في الطب
مفسر القرآن الزمخشري صاحب تفسير الكشّاف
المؤرخ الطبري جامع تاريخ الامم والملوك
اللغوي النحوي ابن سيبويه وكتابه "الكتاب"
وقبلهم كلهم الصحابي الجليل، من اهل بيت النبي، ومستشاره في حفر الخندق، سلمان الفارسي "سلمان منا آل البيت".
وزاهد البصرة المشهورالتابعي حسن البصري.

وغيرهم الكثيرفي مختلف ميادين الفكر والادب، التي قدمت خدمات جلى للمسلمين وبني الانسان.

لقد استطاعت هذه الحركة الشعوبية في العهد الصفوي ان تدق أسفينا تاريخيا عميقا بين الشعب الايراني والمجتمعات الاسلامية كلها، بسياسات دخيلة وشاذة، وممارسات نفسية حاقدة. وبعد نجاحها في فرض هذه السياسة على الشعب الايراني المسلم، راحت تنشرها في كل من العراق وجنوب لبنان والبحرين وأفغانستان وباكستان، بتوجيه وتشجيع من التيار العام للمرجعية. فقد شاعت ممارسات وطقوس هذا التشيع، في مجالس العزاء، في العراق وجنوب لبنان والبحرين وأفغانستان وباكستان.

إن طقوس النواح وجلد الذات ولبس السواد والتطيين والتطبير بعيدة كل البعد عن تعاليم أهل البيت، وعادات وثقافة العرب والمسلمين، وقد انتقلت إليهم عن طريق بلاد فارس، فقد نقلوا إلى العراق مثلا أشد أنواع العزاء عنفا وهو التطبير والذي لم يكن شيعة العراق يعرفونه " في الوقت الذي بدأ فيه النجفيون يمارسون شق الرأس في خمسينيات القرن التاسع عشر فإن منظمي هذه الفعاليات والمشاركين فيها كانوا بالدرجة الرئيسية من الفرس والأتراك المقيمين في المدينة". ومن زعماء وقادة التطبير واللطم: الفارسيان محمد علي تبريزي في كربلاء والشيخ باقر بن الشيخ أسد الله الدزفولي في الكاظمين.[٢٦٣].

[263] - نقاش١٩٩٦ :٢٦٩-٢٧١ .

وسيجد أي قاريء لملحمة " الشاهنامة" للفردوسي!.الذي أقامت له إيران الخمينية تمثالا ضخما وسط طهران، رمزا موازيا لهذا العزاء.

والشاهنامة

أو" كتاب الملوك" ، ملحمة شعرية سياسية وفلسفية، ألفها فردوسي قبل أكثر من ألف عام . وقد شكلت هذه الملحمة الأساس الثقافي لكل الإيرانيين بغض النظر عن مستواهم الثقافي والاجتماعي، ويردد الفرس أبياتها في كل الأماكن، في البيت والمدرسة والشارع.

تقص الشاهنامة تاريخ ٦٠ من ملوك الإمبراطورية الفارسية، والتي انتهت بالفتح العربي/الإسلامي لبلاد فارس الذي يصفه فردوسي بالنكبة والكارثة . كما يصف رستم بمنقذ الأمة الفارسية. وتتحدث كذلك عن أبطال الإنسانية المناصرين للضعفاء، والذين هم أرقى من الملوك الذين يخدمونهم، ومن هؤلاء الأبطال: البطل سياوش، الذي أصبح رمزاً للكمال والإخلاص والشجاعة . وقد اتهمته ظلما زوجة أبيه التي راودته عن نفسها، لكنه خرج من هذا الامتحان منتصرا بفضل عبادة النار. بعدها قاد سياوش حملة عسكرية مظفرة ضد أبيه، الذي كان عدوا للملك، لكنه عقد حلفا مع أبيه المهزوم، فتبرأ الشعب منه. استجار سياوش بأحد أقارب الملك يدعى بافرسياب الذي قطع رأسه بعد وشاية وخذلان أصدقائه.

وفي هذا المقطع من الشاهنامة يتنبأ البطل سياوش بأنه مقتول لا محالة فيقول:

افتح أذنيك لما سأقول.
لن تمر إلا أيام عديدة قبل الرحيل.
إني بريء ، ولكني سأقتل مفجوعا.
من قبل مليكنا ذي القلب القاسي...
لكن إيران وتوران ستنهضان من جديد.
وسيمتد كل منهما إلى نهاية الأرض.
ستُملأ الدنيا ألما ، وستُحشد سيوف الانتقام .
أي مناحات ستقام في بلدينا إيران وتوران.
سيغطي دمي المسفوح ، إيران إلى توران.
سيُزلزل العالمَ..حاكمه الرب العظيم.[٢٦٤]

صارت ملحمة قتل البطل سياوش مناحة عظيمة، ألف فيها المغنون الفرس الأغاني والترانيم الحزينة وجمعوها في "ألبوم " أطلقوا عليه : " نواحات المجوسي " [٢٦٥].

ان النياحة والترانيم الحزينة في مجالس العزاء هي رمز لحداد تاريخي قديم يندب سقوط مجد غابر عظيم، وليس حزنا على الشهيد الحسين! فللشهيد في تعاليم الإسلام جائزة كبرى هي الجنة. ويقيم المسلمون له الأفراح ويتقبلون التهاني والتبريكات بهذا الفوز.

لقد عاش كاتب هذه السطور طقوس العزاء وحضر مراسم اللطميات والبكائيات، في العراق والتي تستمر ٤٠ يوما من كل عام، و التي تأخذ أشكالا عدة أهمها مجالس العزاء الثابتة ومواكب التطبير السياره وزيارة الأربعين.

---

[264] - قام المؤلف بترجمة هذا الشعر من اللغة الانكليزية .

[265] -. Richard.Y. 1995 :101-102

مجالس العزاء الثابتة

تقام مجالس العزاء الثابتة مساء كل يوم اعتبارا من الأول من محرم، وتصل ذروتها في ليلة العاشر منه بتحويلها إلى مواكب تطبير سيّارة . تقام هذه المجالس في مدن العراق المختلفة **واهمها النجف وكربلاء والكاظمية** ، وتقام في الفضاء والسرادقات والحسينيات، ويحضرها آلاف الناس من الرجال والنساء والأطفال والشباب من كلا الجنسين.

يقود هذه المناسبة فريق من القصاصين والقراء والشعراء والممثلين المأجورين، هدفهم تهييج عواطف الحزن واالبكاء عند السامعين، بالمبالغة فى االتصوير وذكر الأساطير وترديد شعر الرثاء، بنبرة حزينة ومؤثرة جدا قلما ينجو سامع من تأثيرها. فتنطلق الأصوات بالنحيب والبكاء والعويل، إذ كلما زاد البكاء والعويل على الحسين زاد الأجر والثواب . وإن أهم زعيمين مأجورين في هذه الطبقة هما القارئ "القرّاية" أو الروزه خون بالتعبير الفارسي (ومعناه قاريء كتاب الأحزان)، والرادود. يتبادل قاريء كتاب الأحزان والرادود الأدوار في تعبئة العقول وتسميم النفوس بثقافة الكراهية وحب الانتقام، ويستخدم كلاهما لغة عامية ذات لكنة فارسية.

الروزخون

الروزخون عادة رجل دين "سيد" يعتمر عمامة سوداء و يسكن النجف وكربلاء، وهو زعيم جماهيري و قصّاص من الطراز الأول، وظيفته السرد التاريخي المفصل، بطريقة تحريضية، بإيراد القصص والأساطير، ومزجها بقليل من الحقائق، حول قصة مقتل الحسين (المقتل)، والظلم التاريخي الذي وقع على آل البيت غايتها إثارة الحزن والغضب، " الروزخونية هؤلاء هم رجال دين شيعة من درجة ثالثة أو رابعة، وربما أدنى، ينتشرون في المدن والقرى، في أيام شهر محرم خصوصا، لرواية قصص واقعة الطف التي استشهد فيها الإمام الحسين بن علي ومعظم أهله وأصحابه. ومقابل هذه «الخدمة» يقبض الروزخونية أجورهم المجزية نقدا، إضافة إلى ما يتلقونه من عطايا عينية ذات قيمة. وأكثر ما يميز خطب الروزخونية التي يلقونها من فوق المنابر أنها إنشائية ذات لغة عاطفية ومعلومات لا تخلو من المبالغة ، استثارة لجمهور المستمعين واستدرارا لدموعهم حزنا على الإمام الحسين وآل بيته وجلدا للذات أيضا، فالروزخونية لا يترددون في لوم أهل العراق عن خذلانهم الحسين "[٢٦٦]

الروزخون وظيفته التحريض السلبي ضد التاريخ الإسلامي وقياداته، وإظهارالظلم الموهوم للأئمة، وربطه بالحاضر "هو محرض سياسي من الطراز الأول يربط بين السرد التاريخي، ويربطه بالحاضر، وينسجه في شبكة من الظلم الجماعي" [٢٦٧]. إن تبيان الظلم أو المظلومية في مجالس العزاء، هو من أشد الوسائل السياسية في جذب الأتباع باظهار فداحة الظلم الذي وقع . فيحدث في الناس تأثيرا نفسيا سلبيا عميقا، لأن الانسان ميال بطبعه لكره الظالم والانحياز لجانب المظلوم دائما.

يروي قاريء كتاب الأحزان قصص ظلم في سلسلة من إحباطات متعددة في التاريخ تأخذ حكما قطعيا بالإدانة يجعل من الحوار مستحيلا . وتهدف هذه الإدانة إلى توليد مشاعر مقت وكراهية لتفجير عاطفتي الغضب والعدوان. فالروزخون يصور ويكرر ويتمحورعلى سلسلة

---

[266]- الروزخون إبراهيم الجعفري /عدنان حسين/جريدة الشرق الاوسط ٢٠٠٥/٦/١٨.

[267] - JABAR.F. 2003 : 188

مظالم و خيبات أمل متكررة أعقبت كل ثورة لإمام ، سببها قلة الأتباع والأعوان وضعف الحيلة والخذلان التي تستل مشاعر الألم المضني والحزن العميق ومن هنا جاء اسمه: قاريء كتاب الاحزان، فمثلا:

- يقرر الحسين الخروج لقتال يزيد بن معاوية
- لا يستجيب لدعوته أحد في المدينة حيث ابناء كبار الصحابة
- فيضطر الحسين للسفر إلى مكة المكرمة فلا يجد فيها نصيرا
- فيذهب هو وأهله إلى الكوفة فتكون المفاجئة بخذلان من دعوه وبايعوه.

وهذه الصور كلها تمهيدات تهيئ النفوس للنهاية المأساوية لـــ

- مشهد مقتل الحسين المفجع المريع!.

إن هدف معتمد المرجعية، قاريء كتاب الأحزان، هو زرع العنف والعداء بتسميم العقول والنفوس بعاطفتي الغضب والإحباط حتى يصبح جزءا أصيلا من هذه النفوس. وعن طريق هذا المعتمد، جعلت المرجعية جماهيرها تعيش في سلسلة إحباطات تاريخية سياسية غير مبررة، مما ولّدت في الجماهير نفسية متعصبة، غير عقلانية، وعنيفة، وبالتالي فهدف المرجعية هو جعل جمهورها مستعدا لقتل منظم وانتقام قادم.

إن تمجيد الإحباط والفشل المتكرر والتباكي عليه أمرغير مقبول من الناحية العقلية و السياسية . وهو خير شاهد على أن خطاب العزاء لا يحمل رسالة ذات معنى. فهو خطاب غوغائي فوضوي يهيج العواطف لبعث الضغائن والعداوات وزرع الخوف في النفوس في محاولات دائبة ودائمة للابقاء على شق صف الامة الواحدة، وهو عمل سياسي تحريضي هدفه تعبئة النفوس بالغضب والإحباط لإذكاء الصراع والعدوان في الخيال الشعبي. يقول علماء النفس : إن المثال النموذجي على شحن العدوان بقوة هو قدح شرارة انفعال نفسي في كومة أحاسيس إحباط وغضب[٢٦٨] .

يحصل كل من قاريء كتاب الاحزان والرادود على مكافأة مالية من تبرع المستمعين.و تعتمد المكافأة على براعتهما وفعاليتهما في جذب الناس إلى صوتهما الشجي وقصصهما المثيرة. فصارا من كبار التجار الأثرياء. وبعد الاحتلال الامريكي للعراق ٢٠٠٣ تبوأ الروزخون والرادود مكانة سياسية عالية :

- فقد أصبح إبراهيم جعفري، وهو روز خون نساء أي "قراية للنساء" رئيسا للوزراء (٢٠٠٥ -٢٠٠٦)!
- كما أصبح الرادود خضير الخزاعي وزيرا للتربية والتعليم ! في حكومة نوري المالكي (٢٠٠٦ - ٢٠١٠)

الرادود

الرادود شاعر شعبي مأجور، وممثل بارع، يستخدم صوتا متباك حزين مؤثر . هو(نائحة) وظيفته متممة لوظيفة قاريء الأحزان وهي التفريغ النفسي لمشاعر الإحباط والغضب عند الأتباع عندما تكون السلطة الحاكمة "غريبة" وقوية.

---

[268] -. Roberts et el 1992 : 237

يبدأ النائحة بالوصف التفصيلي لمشهد مقتل الحسين، بطريقة مأساوية أسطورية في تشويه وتضخيم هائل للأحداث "يصور الحسين و قلة أصحابه وقد أحيط بهم بكثرة من الأعداء القساة ومنع عنهم الماء، وترك وحيدا مع قلة من الأنصار، وغريبا في أرض معادية مع نسائه وأطفاله. وفي مقابل هذا المشهد في الضعف وقلة الحيلة، يقف الحسين مثالا للرجولة والتحدي وعدم التنازل عن المباديء وحب للاستتشهاد.[٢٦٩]. يردد النائح قصص الألم والحزن التي بدأها الروزخون، لإحداث أثر سيكولوجي كبير في التنفيس عن الغضب وضبطه سياسيا لئلا ينفجر قبل أوانه المحدد . فقصص الإحباط والحزن هي" من أهم وسائل الدعاية، إذ هي تدفع الناس إلى المشاركة العاطفية، وتستدر منهم الدموع، وتتيح لهم التنفيس عما يعانونه من كبت وألم"[٢٧٠]. ففي المشاهد المصورة نشاهد قطع رأس الحسين وسبي نسائه، وقتل أبنائه، بعد منع الماء عنه.. الخ. وهذه كلها أكاذيب المؤرخين البويهيين، وأساطير قرّاء كتب الأحزان ومبالغات الرواديد الذين علاهم الغضب الشديد والكآبة الشديدة من هول السقوط الإمبراطوري الغابر.وليس حزنا على مقتل الشهيد الحسين.
أما الحقيقة فليس هناك حز لرأس الحسين، أو رفعه على الرماح أو سبي للنساء وتقييد للأطفال بالسلاسل. فالسبي حرام لنساء المسلمين وأطفالهم ، والتمثيل بالميت حرام للكافر فكيف والشهيد الحسين!

يستخدم الروزخون و الرادود في الإثارة والتأثير أسلوبا خطيرا هو" التجميد" النفسي، وليس المحاجة العقلية. والتجميد النفسي هو الإعادة والتكرار لآلاف وملايين المرات وبصورة مستمرة لصناعة البطل المخلص والعدو القاسي، في المخيلة الشعبية:

فالتجميد = فخر وتمجيد للبطل + تبشيع وتبخيس للعدو.

وهو أسلوب فاشستي لااخلاقي خطير، هدفه صناعة عداوة وإثارة حرب لأهداف سياسية كبرى، لأنه من أكثر الأساليب فعالية على نفسية السامعين.

منابرالعزاء – مصانع الكراهية والعداوة :

وفي خضم هذا المشهد المأساوي المكهرب بالعواطف الحادة ضد الظلم المبالغ المصنوع، المصحوب بالعويل والصراخ، يطلق الروزخون خطابا سياسيا تحريضيا يصور فيه أن رحلة الحسين كانت سياسية هدفها استرداد الحق المغتصب والظلم الذي وقع على آل البيت.

يأخذ التحريض شكل لعن وطعن وتشهير في أصحاب رسول الله ﷺ بلغة إيحاء وشفرة، المشهورة جدا عند الفرس مثل:

"اللهم العن الأول والثاني" = أبوبكر وعمر!
و"اللهم العن من كسر الضلع وخلع الباب وأسقط الجنين" = عمر.

فالتشيع الدخيل يحمّل عمر– صهر علي– مسؤولية كسر ضلع فاطمة وإسقاط جنينها، فالقصة الفارسية تقول: أن أبا بكر، أرسل عمر(زوج أم كلثوم بنت علي!) لجلب علي من بيته قسرا لمبايعة أبي بكر خليفة للمسلمين، بعد وفاة الرسول محمد ﷺ . تأخر علي في مبايعة أبي بكر، فأرسل في طلبه عمر. دفع عمر باب بيت علي بغضب، فخلعه، وكانت فاطمة خلف

[269] - JABAR.F 2003:190-191
[270]– الوردي ٢٠٠٩ :٢٦١ .

الباب قبل فتحه، فأصابها الباب ودخل المسمار في صدرها!، وكسر ضلعها، وأسقط جنينها المحسن ومن ثم قام عمر بإحراق دارها!

فالعجيب:

(١) لم تكن من عادة العرب رد المرأة على طارق الباب !.

(٢) ويقول أكثر مؤرخي الفرس أن ليس لدار علي باب، فضلا أن يكون به مسمار!.فقد كانت الستائر المنسوجة تقوم مقام الباب انذاك.

(٣) ولم يحرك علي زوجها ساكنا! فلم يدافع عنها وهي تتعرض لجريمة مذلة من مقتحم للدار!

(٤) وليس هناك نص صحيح صريح واحد من كتب النخبة الفارسية نفسها، ينسب إلى فاطمة أو الى علي زوجها أو إلى ولديه من بعده الحسن والحسين، يشير من قريب أوبعيد إلى هذا العدوان المزعوم.

وقد حاورت فضائية المستقلة، آية الله قزويني من إيران في أيلول ٢٠٠٨ وتحداه محاوروه أن يأتي بنص واحد على هذه الجريمة، فما كان منه إلا التدليس والخداع، ثم انتهى مهددا بأن العزاء على فاطمة سيكون في السنوات القادمة أشد حزنا وتحريضا على الصحابة من ذي قبل!.

إذن أصبحت هذه الجريمة المزعومة واتهام الخليفين الراشدين أبي بكر وعمر، واللذين تعدهما المراجع من ألد أعداء أهل البيت، أساسا لعقائد الكراهية ضد فاتحي بلاد فارس، فعلى الموقع الألكتروني لسيستاني (مركز الأبحاث العقائدية- أيلول ٢٠٠٨) الذي يدار من مدينة قم الايرانية "يقول الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات):اتفقت الإمامية على أن المتقدمين على علي أمير المؤمنين عليه السلام (يقصد أبا بكر وعمر وعثمان) ضُلال فاسقون، وإنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين عن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله عصاة ظالمون وفي النار مخلدون".

ومن شدة كرههم وبغضهم لهؤلاء الخلفاء الثلاثة العظام يحرم المراجع على الشيعة التسمية بهذه الاسماء ومثلها اسماء معاوية والحكم ومروان وغيرها، فلاتجد هذه الاسماء بين الشيعة بصورة تكاد مطلقة، بل زاد الامر سوءأ في عهد الجمهورية الايرانية (الاسلامية؟) اذ منعت هذه الحكومة الشيعة العرب في الاحواز المحتل من استخدام حتى الاسماء العربية باستثناء اسماء اهل البيت !.أما النساء فمحرم عليهن اسماء عائشة وحفصة بنتا ابي بكر وعمر، زوجتا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

هل يمكن تصور درجة غليان الحقد والغل في القلوب!!.

وبدل معاني الحب والرحمة التي تليق بالشهيد جعل المراجع استشهاد الحسين مصنعا للحقد والعداوة ضد قادة الاسلام وأتباعهم، وما على القاريء الكريم إلا أن يستمع إلى واحدة من الفضائيات الطائفية كالمنار والفرات والزهراء والكوثر خصوصا في أيام محرم وصفر ليرى رأي العين ويسمع بأذنيه هذه الثقافة الدخيلة والتحريض السياسي السلبي ومايدعو اليه !:

فكبار صحابة رسول الله على لسان الرادود والروزخون يكفرون.

وفي أعراض امهات المؤمنين يخوضون.

وقادة التاريخ الاسلامي بإسم الحسين يلعنون.

وبإسم الحسين قبائل العرب احياءا واموانا يجب أن يقتلون.

وبإسم الحسين ابناء الاسلام كلهم عادون.

مجلس العزاء= منبر السياسة الفعال:

حاول بعض المراجع مثل أبو الحسن أصفهاني، ومحمد مهدي قزوينى منع ممارسات العزاء في عاشوراء باعتبارها ممارسات دموية بشعة تظهر الشيعة بمظهر المتوحشين الدمويين الذين يحتاجون إلى من ينقذهم من هذا الاستعباد والبربرية .لكن التيار العام للمرجعية هو من أنصار هذه الممارسات ومشجعيها مثل خمينى وكاشف الغطاء وشيرازي ونـائيني . وعـدّها أكثـر المجتهدين أنها من أهم الأدوات السياسية فاعلية في التـضامن الطائفي،وأنهـا مـن أكثـر ممارسات الطائفة قدسية، ومن أعظم أدوات الدعاية في نشر التشيع . وقد حذر عبد الرضـا ومحمد حسين كاشف الغطاء من تقييد هذه الطقوس" وأكد الأول أن مفعول هذه الطقـوس لا يمكن أن يتحقق كاملا إلا إذا مورست بحماسة في العلن. ووصفها الثاني بأنها أعظم رمـوز المذهب الشيعي، وأنها ضرورية لوجوده . وحذر من أن تقييدها سيؤدي إلى اختفاء الإسـلام الشيعي كله"[٢٧١].

ومن هنا أبقت النخبة هذه المناسبة السنوية حية في أذهان وقلوب الشيعة في عمليـة اجتـرار سوداوي دائم ،حتى صارت هذه الطقوس في النياحة واللطم ولبس السواد جزءا مـن الثقافـة الشعبية للشيعة. فترى مروجو هذه الثقافة لا ينفكون يعيدون ويكررون هذه التراجيديا وكأنهم في حالة حزن سرمدي مقيم .ولقد عمموا طابع الحزن على كل شيء في الحياة، ففي العراق مثلا تجد الأغاني والموسيقى الشعبية كلها آهات وتوجعات ومرثيات ودعوة للانتقام . وتغنى الأغنية بترنيمة خاصة وصوت موسيقي حزين، فصار أكثر ما يطرب الشيعي هو بكائيـات "المقتل " . وبعد الاحتلال الامريكي للعراق تسمع صوت المقتل الحـزين فـي رن الهـاتف المحمول لعدد من أعضاء البرلمان العراقي!.

تصدّر هذه الثقافة الهابطة والسلوك الشاذ: النياحة واللطم والبذاءة والتطاول والتحريض، إلـى كل الأقليات الشيعية في العالم الإسلامي، كتصدير أفلام السينما والتلفاز، وفق خطـة دقيقـة ولغايات سياسية كبيرة. وقد جعل أعمدة هذه الثقافة المبتذلة، ذات قيمة عليا بتغليفها بغـلاف ديني مقدس لئلا ينظر الأتباع إلى محتواها أو يسألون عمن أنتجها وكيف أنتجت! .

المنبر الفارسي = سحب الشرعية من قادة الأمة المسلمة .

يؤكد الروزخون في سرده التاريخي على الجانب السلبي للأمة الإسلامية وتشويه تاريخهـا وقادتها بطريقة مؤذية بالسب والشتم والنيل من الاعراض، بهدف شيطنة وتبشيع رموز أمـة الإسلام، خصوصا :

الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان ،
والعشرة المبشرة بالجنة ، وبني أمية ،
وأهل الشام، والـعـرب جميعا!

حتى صار دعاؤهم المرفوع :" اللهم العن قاتل الإمام علي "،
و"العن أمة قتلت الحسين"،
و" اللهم العن أمة قتلت الحسين، وأمة سمعت فرضيت"!.

---

271 – نقاش١٩٩٦ :٢٨٠ .

-

إن الغرض السياسي من هذا العدوان وانتهاك الحرمات هو سحب الشرعية الإسلامية والسياسية من هؤلاء الأصحاب وقادة خير القرون الذين أدوا إلينا الإسلام مباشرة من الرسول محمد ﷺ في محاولة ماكرة للقضاء على ركائزه وهدم بنيانه. يقول عبيد الله ابن عبد الكريم الرازي المكنى بأبي زرعة والمتوفى عام ٢٦٤ هـ :

"إذا رأيت الرجل تنقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه زنديق لأن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق . وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله . وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة "[٢٧٢].

يستحضر قاريء كتاب الأحزان، وبطريقة جاهزة، خلافا تاريخيا سياسيا مضى عليه أكثر من أربعة عشرقرنا تجاوزه أصحابه بيسر وبساطة، ويجعله منبرا للتحريض وتعبيراعن حقد تاريخي دفين، واحساس نفسي بظلم عميق وهو في حقيقته رمزا لعداء تكنه النخبة ضد من فتح بلاد فارس قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة ومن هنا جاء كثرة ترديدهم مقولة:

" **نحن** مظلومون منذ أكثر من أربعة عشر قرنا".

وقد جعلت النخبة الفارسية من هذا التاريخ الذي يحتفل به المسلمون ابتهاجا بانتصار الاسلام وهجرة نبيه الى المدينة المنورة، يوم حزن ووجوم وسب وتشهير بقادة العرب والمسلمين الأولين والأخرين.

أحزان الفرس.. في يوم عيد المسلمين:

إن أول محرم هو عيد المسلمين، يوم هاجر الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة . ويحتفل المسلمون بهذا اليوم في كل أرجاء الدنيا الأربع، لأنه رمز انتصار الإسلام كأول يوم لتأسيس الدولة المسلمة في المدينة المنورة بقيادة النبي محمد ﷺ. أما قادة التشيع الدخيل فيعلنون الحداد العام في هذا اليوم، ويلّفون الدنيا بالسواد: الناس، وواجهات المحلات والحارات، والحسينيات والدوائر الحكومية، ويستمر هذا العزاء أربعين يوما، من أول محرم حتى العشرين من صفر.

إن تاريخ المسلمين عند هذه النخبة، مليء بالظلم والكيد والتآمر. وقد بدأ هذا التاريخ منذ أن تم انتخاب أبي بكر– **محرر الحيرة** – خليفة للمسلمين، إلى هذا اليوم . فكل قادة الاسلام شركاء في "جريمة الفتح"، ويجب أن يفضحوا في مجالس العزاء، فهوأعظم منبر لفضح هذا التاريخ على حد قول شريعتي "أما مجالس العزاء فكانت هي الوسيلة للتذكير المستمر بكفاح الشيعة على طول التاريخ ضد من يحاولون تحريفه وتشويه مساراته(يعني الإسلام) ، وبواسطتها كان يشار إلى حوادث الظلم والغصب والخيانة ومكامن الزور والخداع والكذب والانحطاط"[٢٧٣]. وتقليدا لمجلسي يرى العنصري شريعتي ان تاريخ المسلمين كله الذي قاده "السنّة" في حكم بلاد فارس ظالما دون التعرض لعهود البويهيين والحشاشين والصفويين، ويؤكد ان القاسم المشترك لحكم "السنة" هو الظلم والاستبداد فيقول : "الاستبداد الذي كان يمثل قاسما مشتركا بين اجهزة الخلافة الاموية والعباسية والسلطنة الغزنوية والسلجوقية والمغولية والتيمورية والايلخانية والتي اتخذت المذهب السني مذهبا رسميا للبلاد آنذاك!". فالرغم من هجومه على التشيع الصفوي الا انه اشد عدءا لقادة الاسلام منه.

---

[272]- العربي١٩٨٦ :٤ .-

[273] -شريعتي٢٠٠٢ :٢٨ .

وبنفسية موبؤة بعقدة الشك والاضطهاد، يهاجم الماركسي شريعتي قادة فتح بـــلاد فـــارس– الخلفاء الراشدين. فبعد حكمه ان عمر هو أحد سيئات ابي بكر! يرى ان الشورى التي ادارها اصحاب رسول الله الستة المبشرين بالجنة والذين عينهم عمر لاختيار الخليفة بعد وفاته، لعبة تآمرية، طرفاها الفقير على وحده، والطرف الآخرالخمسة الآخرون وهم عبد الـــرحمن بـــن عوف وعثمان وسعد بن ابي وقاص وطلحة والزبير فيقول : " هؤلاء الاشـــخاص الخمـــسة سوف نعثر لهم في التاريخ على موقف آخر ومتى واين؟ بعد ستة وثلاثين عاما وفي الشورى التي أقرها عمر تلك الشورى التي تمكنت من إقصاء علي بطريقة ماهرة! الشورى التي كان عبد الرحمن بن عوف رئيسها وصاحب حق الفيتو فيها، الشورى التي رشحت عثمان للخلافة والتي لم يكن اعضاؤها سوى هؤلاء الخمسة بالاضافة الى علي وحده"[٢٧٤].

ويعتبرأستاذ شريعتي، خميني مجالس العزاء، من المؤسسات الكبرى التـــي حفظـــت الـــدين الشيعي وفضحت مذاهب المسلمين الباطلة " لولا هذه المؤسسات الدينية الكبرى لما كان هناك أي أثر للدين الحقيقي المتمثل في الدين الشيعي . وكانت المذاهب الباطلة التي وضعت لبناتها في سقيفة بني ساعدة ، وهدفها اجتثاث جذور الدين الحقيقي، تحتل الآن مواضـــع الحـــق"[٢٧٥]. وهكذا يحدد خميني وشريعتي عداء الفرس التاريخي، من يوم السقيفة يوم انتخب الجيل الاول ، أبا بكر خليفة، ويعتبران هذا الانتخاب باطلا، ويحطان من قيمته لتبرير الاستعداد للعـــدوان وأخذ الثأر "فلابد حتى نتمكن من توجيه عدوانيتنا تجاه كائن آخر، من الحط مسبقا من قيمته، مما يجعل العدوان عليه مشروعا ومبررا" [٢٧٦].

"يا لثارات الحسين":

يسير المسلسل هكذا :

- يحرض قاريء كتاب الأحزان سلبيا جمهورا قاعدا كفترة إحماء،
- يصعّد النائح الشعبي – الرادود– بأشد من قرينه قاريء كتاب الأحـــزان، إثارة للحقد والكراهية
- فيصف جريمة مقتل الحسين وصحبه، بطريقة خيالية مفصلة ومجسدة،
- ليظهرالقسوة الوحشية التي ارتكبت بحقه في : منع الماء، وقطع الـــرأس، وقتل الأبناء، وسبي النساء.
- ينهض من شدة التأثر شباب وسط المجلس يلبسون ثيابا سوداء عارية حتى وسط الجسم، ويبدؤون"اللطمية " بضرب الـــصدور بـــأكفهم المفتوحـــة أو ضرب الظهور بسلاسل من حديد (الزنجيل) حتى تدمى .
- ويتم هذا اللطم بإيقاع موسيقي دقيق يقوده الرادود بمهارة فائقة.

- ولكل ليلة من ليالي مجالس العزاء – في كتاب الروزخون– قصة حزينة، ذات مناحة عظيمة

---

274 المصدر نفسه :٢٩ و٩٧ .

275 العيص١٩٩٣ : ٦٨ . -

276 - حجازي١٩٨٦ :٢٥٤ .

- فليلة للعباس أخ الحسين غير الشقيق، البطل ذي الرأس الحار، الذي تحدى الجيش الأموي، وذهب إلى نهر الفرات لجلب الماء لإرواء العطشى فقطعوا يديه.
- وليلة للقاسم ابن الحسين الذي تضرج بدمه ليلة عرسه الذي أراد له أن يكون زمن المعركة!.
- وليلة لسكينة بنت الحسين (زوجة زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي) التي أخذت سبية إلى دمشق عاصمة الأمويين.

وكل من هذه الليالي تضيف حدة وإثارة جديدة للمشهد المأساوي في كربلاء. وفي هذا الجو الانفعالي العالي والتعبئة النفسية الموسومة بالاضطهاد والقهر، ترفع شعارات نارية مطالبة بالقتل والانتقام مثل:

"يا لثارات الحسين" ! "يالثارات فاطمة "!
و " أين المطالب بقتيل كربلاء "!
"ولعن الله أمة قتلتك" !(ويقصد الأمة المسلمة أو امة العرب).

فقد خطب موسى الصدر المبعوث الشخصي لشاه إيران محمد رضا بهلوي إلى لبنان في حشد من الشيعة اللبنانيين في ١٩٧٤/٢/١٨ أي قبل الحرب الأهلية اللبنانية بعام، يحرضهم على رفض الظلم والخروج عليه فقال : لقد واجه الحسين عدوه الكثير العدد بسبعين رجلا، ونحن اليوم أكثر من سبعين وعدونا (ويعني المسلمين)[٢٧٧] لا يشكل ربع العالم[٢٧٨]!.

ترفع شعارات الثأر على الرايات، وتكتب على جدران الدور والبنايات، وتعرض على شاشات التلفاز والسينمات، تطالب بأخذ الثأر والانتقام من قتلة الحسين ومن مغتصبى الإمامة من أهل البيت ومن" النواصب"(أهل السنة والجماعة) الذين ناصبوا العداء لأهل بيت علي وأولاده.

يدعون مهديهم المنتظر وينادونه:

يا أبا صالح وينك، وفينك عن الأعداء، متى تجي تبرد القلب ..تذبحهم!.

من هم هؤلاء الأعداء المراد ذبحهم؟!.

وممن يريدون الثأر والانتقام لتبريد حقد القلوب ؟!.

ألم يمض الحسين وصحبه ويزيد وجيشه قبل ١٤ قرنا إلا قليلا!.

إن الهدف الحقيقي من رفع الشعارات العدائية والمطالبة بالانتقام، هو شحن نفسي منظم وتهييج لعواطف بدائية حادة، وزرع لأحاسيس قوية بالظلم والحق المهضوم، لتبرير العدوان " فالمعتدي يحس أنه ضحية غبن مفروض عليه لغير ما ذنب اقترفه، وبالتالي يحس أنه بريء ، فيسقط كل مسؤوليته الذاتية وعدوانيته الذاتية على ضحيته المقبلة.هذه الأحاسيس وذلك الإسقاط تجعل العدوان يبدو عملا مبررا، كدفاع مشروع عن النفس وتخليص للحق المهضوم والكرامة المستلبة"[٢٧٩].

---

[277] ذكر تقرير من الكونكرس الامريكي بتاريخ ١٠/٧ /٢٠٠٩ ان المسلمين يشكلون ربع العالم .
[278] - Richard.Y.1995 :138
[279] -حجازي ١٩٨٦ : ٢٤٣ .

الإنسان لا يؤخذ بجريرة أخيه الانسان:

ومما لا يخفى على منصف أن رفع شعارات الثأر والدعوة للانتقام لمعركة جرت قبل أكثر من ١٣ قرنا مضت هي غير عقلانية، ومنافية للتعليمات السماوية والقوانين الوضعية . فالقرآن الكريم يؤكد العدل في الحكم، وحصر الجريمة بفاعلها ولا تتعداه { ولا تكسب كل نفس إلا عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى}(الأنعام :١٦٤). بل يريد القرآن درجة أعلى من العدل، وهو الإحسان بالحث والتشجيع على الصفح والتسامح { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي}(النحل: ٩٠). وإن القوانين الوضعية والمدنية والدولية تؤكد على أن الانسان لا يؤخذ بجريرة أخيه الإنسان. فكيف بأحداث تاريخية سياسية عفى عليها الزمن هي وأبطالها!.

لقد انفجر مخزون الحقد التاريخي الدفين في نفوس الجماهير، الذي ملأته سياسة التحريض وثقافة حب الانتقام، في ٢٠٠٦/٢/٢٢ ، بعد تفجير مدبر للقبة الذهبية للإمامين العسكريين في سامراء، عندما كان بيان جبر صولاغي(الفارسي الأصل) وزيرا للداخلية في حكومة إبراهيم جعفري[٢٨٠]. فبدل الدعوة إلى الهدوء والمطالبة بالتحقيق لمعرفة الجناة، الذي يستوجبه مثل هذا الحدث الكبير لمنع الفوضى والاقتتال الطائفي، تحركت النخبة الفارسية بسرعة في العراق وخارجه كالجوقة الموسيقية، وهي تدق طبول الحرب:

علي سيستاني المرجع الشيعي الأعلى-النجف.
ومحمد إسحاق فياض- النجف .
والشيخ حسين علي منتظري- طهران.
والمرجع الديني روحاني- قم .
ومرتضى شيرازي من مؤسسة الشيرازي العالمية- واشنطن .
والمرجع الديني صادق الشيرازي- قم .
وآية الله العظمى محمد تقي مدرسي- كربلاء .
والمرجع الديني كاظم حائري- قم .
ومشى زعيما الحوزة العلمية في قم آية الله الشيخ حسين وحيد خراساني وآية الله العظمى الشيخ الميرزا جواد تبريزي ، حافيي القدمين إلى حرم فاطمة المعصومة في قم حدادا وعزاءا على فاجعة سامراء) .

حرضت هذه النخبة أتباعها على التظاهر والاحتجاج ضد من يسمونهم (البعثيين والوهابيين والنواصب والتكفيريين والأمويين الجدد) في تدخل سافر في شؤون العراق الداخلية، فقد صرح الغريب سيستاني قائلا: "اذا كانت الحكومة عاجزة عن حماية الشيعة، فالمؤمنون قادرون على ذلك بحول الله"[٢٨١] . سارت المظاهرات الغاضبة فور وقوع الحادث مباشرة، مما يشير إلى أنهم كانوا جاهزين بطريقة منظمة مسبقا، فبدأ الهجوم المسلح على المساجد وأئمتها ومحتوياتها و"العرب السنة" وأحيائهم . وكانت خسائر هذا الهجوم البربري وضحاياها في ذلك اليوم وما تبعه من أيام تدمير وحرق أكثر من ١٦٠ مسجدا، والعبث بمحتوياتها، وتدنيس مصاحفها، وقتل واغتيال العشرات من أئمتها، والتمثيل بهم، وقتل آلاف العراقيين وتهجير مئات الآلاف الى داخل العراق وخارجه.[٢٨٢] .

---

[280] نسفت مئذنة الضريح في ٢٠٠٧/٦/١٤ بالرغم من الحراسات الحكومية والميليشياوية المشددة عليه!!.

[281] - نصر ٢٠٠٧ :٢٦٢ .

[282]- للتفصيل انظر كمال وآخرون: ٢٠٠٨ :٣٩٧-٤١١ .

ان هذه الجرائم والفضائع دفعت بعض"العرب السنة" على القيام بتفجير بعض الحسينيات كردة فعل طبيعية، ودفاعا عن النفس على ماقامت به الميليشيات وأجهزة الامن الطائفية، خصوصا وان هذه الميليشات انطلقت من هذه الحسينيات ومع ذلك ومنعا للاقتتال الطائفي المدبر فقد أدانت القيادات الوطنية والاسلامية العراقية وعلى رأسهم هيئة علماء المسلمين، كل تفجير يمس أي دار للعبادة، في سلسة طويلة من بياناتها منها بيان رقم (٧٥) في ٢٠٠٤/١٢/٨، وبيان رقم(١٠٦) في ٤/٢٣ /٢٠٠٥، وبيان رقم(٢٢١) في ٢٠٠٦/٢/٢٢ ...الخ[٢٨٣] .

تنتهي مجالس العزاء في ليلة العاشر من محرم بمواكب تطبير سيارة يلبس أبطالها الأكفان ويضربون رؤوسهم الحليقة بآلات حادة من أجل الموت في سبيل الحسين.

مواكب التطبير السيارة (المواكب):

المواكب هي طوابير منتظمة من الشباب تجوب شوارع المدينة المقام فيها العزاء، يتخللهم حاملوا المشاعل والنيران والجوق الموسيقي . يبدأ سير الموكب في ليل العاشر من عاشوراء بحركة منتظمة صوب ضريح الحسين في كربلاء أو ضريح علي بن أبي طاللب في النجف أوضريح موسى الكاظم في الكاظمية . وعلى جانبي الطريق جماهير المتفرجين من كل الأعمار والأجناس، يقود الموكب قائد يضبط حركة السير. يجري السير كما هو الحال في سير فرق الجيوش على إيقاع ضرب الطبول وأقراص النحاس الموسيقية .

والشباب قسمان :

- قسم يلبس الثياب السوداء العارية الظهر أو نصف عريانة حتى وسط الجسم، بعضهم مطينو الرؤوس والاجسام. يضرب الشباب العراة صدورهم بأيديهم، ويجلدون ظهورهم بسلاسل الحديد، ضربا وجلدا متناغمين مع قرعات الطبل ورنات أقراص النحاس، المبرمجة الحدة و الفتور.

- وقسم آخر حليقو الرؤوس يلبسون الأكفان، استعدادا للموت في سبيل الحسين. يقوم لابسو الأكفان بـ " التطبير "، وهو شق الرأس بـ"القامة "(آلة حادة تشبه سكين القصاب). يبدأ الرأس بالنزف الغزير، فيتجلل الكفن بلون الدم في مشهد دموي عنيف، يؤدي إلى الموت أحيانا.

يصاحب اللطم والتطبير هتافات تقول " واحسيناه" أو "واي حسين"(معنها بالفارسية توجع الحسين) أو" حسين حسين حسين" ثلاث مرات. وتنطلق أثناء الهتافات حناجر المتفرجين بصراخ وعويل يشق عنان السماء، كما يضرب المتفرجون صدورهم بأيديهم تقليدا وتضامنا مع شباب الموكب.
تتكرر هذه المشاهد الدموية العنيفة الصاخبة سنويا. وتعبأ بها قلوب وعقول ملايين الأطفال الأبرياء.أطفال في عمر الزهور :

- يلطمون الصدور والظهور
- ويتربون على اللعن والطعن.
- ويشاهدون مشاهد الدم والقسوة.

---

[283] -الفيضي ٢٠٠٨ ج١ : ١٦٣-٢٠٥- ٣٥٥) .

-

- وأقساها تجنيد الآباء والأمهات لأطفال كثيرين،
- لا يتجاوز أعمار بعضهم السنتين ، تقربا للحسين فى هذه المناسبة .

تحلق رؤوس الأطفال، ويلبّسون ثيابا بيضاء تشبّها بالأكفان. ثم تضرب الرووس الرقيقة للأطفال الابرياء بالقامة حتى يسيل الدم منها، ويردد الأطفال الهتاف الذي لقنهم إياه الكبار. إن زرع مشاعر القسوة والقهر في نفوس الأطفال على مر السنين، تجعل الطفل كما يقول علماء النفس يعاني عجزا وتخلفا، ويعيش في كبره كل القلق والمخاوف التي عاناها في طفولته، من حالات إحباط أو إهمال أو قسوة ألمّت به وتحيا في لا وعيه كعقاب له على ذنب لم يقترفه. فقد أذاعت القناة البريطانية الثالثة خبرا ذكره موقع الـ بي بي سي في ٢٧-٨-٢٠٠٨ أنه: أدانت محكمة قضائية في مدينة مانشستر، شمال انكلترة، وفق قانون (القسوة ضد الطفولة) السيد مصطفى زيدي وحكمته ١٢ شهرا بالسجن مع وقف التنفيذ. وسبب الحكم هو إكراهه لأخويه البالغين من العمر ١٣ و١٥ عاما على ممارسة طقوس التطبير وضرب الزنجيل مما ألحق بهما أذى جسديا ونفسيا بالغا.

ان هذه الممارسات القاسية منافية لتعاليم الأديان السماوية وسيرة أهل البيت التي لم تفرض أي تكليف على الأطفال بل حثت على تربيتهم برقة، تأصيلا لمعنى كرامة الإنسان فيهم، وأعطتهم حق اللهو واللعب. كما أن هذه القسوة منافية للإعلان العالمي لحقوق الانسان، وقوانين رعاية الطفولة .

التطبير:المشاهد الدموية العنيفة

البراءة الخائفة: بأي ذنب روّعت؟؟.

مسرحية الشبيه:

تنتهي حفلات العزاء واللطم والتطبير عند صباح العاشر من محرم بـ"مسرحية الشبيه". وهي مسرحية مأساوية يؤديها ممثلون مدفوعو الأجر، يقلدون معركة كربلاء بين جيش عبيد الله بن زياد الأموي والحسين وصحبه . وعند انتهاء المعركة يمشي خلف الرجال :

حصان أبيض بدون فارس رامزا لسقوط بطله الحسين فى المعركة	وسط صراخ وعويل نسائه المسبيات وأطفاله الأسارى المقيدين بالسلاسل	مع حريق هائل يلتهم خيم معسكره وسط ضجة هائلة من نحيب وصراخ الجمهور في نهاية مفجعة للمشهد

يقررعلماء النفس أن الصورة هي أكثر شيء يؤثر على مخيلة الجمهور. وقد علت كاتب هذه السطور الرهبة والدهشة من معمم، وهو يقود أطفال أبرياء ومن على شاشات التلفاز ليريهم مجسما لجثة الحسين وهو مضرج بدمه مقطوع الرأس . ثم يقودهم إلى مجسم آخر يمثل قاتل الحسين– يزيد – يطلب منهم إهانته.

ان هذا التحريض السلبي، المرسّخ بالصورة، يسمم نفوس الأطفال البريئة ويدمرها بتعليمها الحقد والقسوة. وهو من أشد انواع التحريض خطورة ومنافاة للأخلاق والقوانين السماوية والوضعية.

زيارة الأربعين:

"الأربعين " هو مناسبة حلول اليوم الأربعين بعد معركة كربلاء ، ويقع في ٢٠ صفر. تقول القصة : "أخبر جبريل محمدا، فأخبر محمد ابنته فاطمة، بأن أحد أولادك سيستشهد بالطريقة ذاتها التي استشهد بها الحسين . وسيكون ضريحه في مدينة تطبق شهرتها الآفاق. وقد صدقت النبوءة . جاء جابر بن عبدالله الانصاري وهو أحد اصحاب الرسول بعد أربعين يوما من مذبحة الحسين لزيارة قبره، لأن الرسول أخبره بأن الحسين سيقتل في كربلاء، وأن زيارة ضريحه تبدأ بعد أربعين يوما . وكان جابر أول الزائرين لهذا الضريح، ومن تلك اللحظة بدأ تاريخ كربلاء" [٢٨٤].

فأصبح الأربعين يوم تجمع سياسي من أنحاء متفرقة من العراق والعالم . وأكثر الزائرين من إيران . يصل الناس إلى كربلاء على شكل وفود منتظمة تشكل مختلف شرائح المجتمعات الإمامية في تظاهرة سياسية ضخمة تجسد التضامن الطائفي بعيدا عن القومية والوطن. فزيارة الضريح هي زيارة سياسية إعلامية وليست زيارة دينية : فليس في الزيارة قراءة للقرآن ،أو دعاء خالص لله . بل هي عبارة عن ترديد مطولات اسمها(الزيارة) فيها مدح للأئمة والثناء عليهم والتنديد بغاصبي حقهم ومن عاداهم. ومن أهم كتب الزيارة (مفاتيح الجنان) لمؤلفها الصفوي عباس قمي ، الذي لا يكاد يخلو بيت شيعي منه . ومن أمثلة دعاء الزيارة : "السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي وأمناء الرحمن وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين، أشهد أنكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون ..أشهد الله ، وأشهدكم، أني: موال لكم، ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم، سلم لمن سالمكم وحرب على من حاربكم. بكم يسلك إلى الرضوان، وعلى من جحد ولايتكم الرحمن".
وهناك زيارات تخص الحسين بها سب وطعن صريحان في بني أمية، وتلميح وتصريح بسب الخلفاء الراشدين الثلاثة[٢٨٥] .

المتعة جائزة العزاء:

لكن ما الذي يجعل مئات الآلاف من الناس ينخرطون في تجمعات نواح وعويل ومشاهد دموية عنيفة، تتصف أولا بأنها غير عقلانية، وثانيا بعيدة عن مصالح الناس الشخصية، وثالثا لا يلعب الجانب الديني إلا الدور الأصغر فيها.

---

[284] - JABAR.F.2003 : 197

[285] - م. الموسوي١٩٨٧: ٩٢ .

- السر هو إباحة " المتعة " الجنسية !.

فمن يخالط مجلس العزاء يكتشف أنه ليس في هذا التجمع الجماهيري ما يدل على حزن سوى لبس السواد ! فالنظرات بين الشباب والفتيات والأجسام العارية والعضلات المفتولة تغري شابات العزاء! . ومن الأمور المربكة أنه في عاشوراء يوم مقتل الحسين جوعا وعطشا، يوزع الماء البارد والشاي الحار والحلوى والأكل الشهي على الحاضرين!.

يصف الصحفي يان ريجارد المتزوج من إيرانية، بعض المظاهر التي تلازم طقوس عاشوراء عند حضوره لها في ايران فيقول:

- يمتزج عزاء البطولة المفجوعة، بالبهجة والاحتفال والأضواء الكاشفة التي تشق عتمة الليل . وفجأة وفي مشهد الموت الحزين تهزني الطبيعة الجنسية لهذا الاحتفال : الاتصال بين الشباب والشابات سهل ميسور، وقد تأكد لي أن عاشوراء هو يوم الغرام والخلوة والغزل...إن حلاوة الأشربة والنظرات الخفية الرقيقة والحب للحسين وأصحابه والضرب على الصدور والخطو ثلاث مرات والتوقف مرة تتبعه خطوة واحدة، كلها تشبه رقصة جميلة أكثر منها موكب حزن [٢٨٦].

ويصف المفكر فالح عبد الجبار، العراقي الأصل، والأستاذ في جامعة ويست منستر البريطانية، ما يحصل في ليالي عاشوراء، بعد انتهاء كل جلسة عزاء، فيقول:

- قيود الاختلاط والمحادثة تضعف أو تنعدم بين الذكور والإناث.فتتحرك البنات بحرية والشباب يدخلون أي بيت لشرب الشاي أو الماء والاتصال مع النساء . ويزداد رفع القيود مع كل ليلة حتى آخر ليلة: ليلة التاسع ،حيث تتمتع النساء بحق غير مكتوب في التحرك طوال الليل حتى الصباح! فالمناسبة توفر للشباب، رجالا ونساء، اتصالا رومانسيا وجيزا، وسريا، لا يعاقب عليه[٢٨٧]. وفي العراق يقوم العرب و المسلمون في ليالي عاشوراء بايصاد أبواب الدور والمنازل بإحكام، خوفا من مفاجئة الداخلين!.

- فالمتعة هي الرابط الذي يمغنط الناس لهذا التجمع . إن عواطف الناس تصعد عاليا في التجمع الجماهيري إلى درجة نادرا ما تصلها وهي منفردة . وإن تجربة المتعة هي التي تدعو الناس إلى الانخراط والاستسلام بدون تحفظ في التجمع، مع فقد الإحساس بالحدود الفردية .إن المتعة الجنسية هي من أعظم وسائل الجذب إلى اجتماعات العزاء، التي يتم من خلالها تعبئة الجماهير نفسيا، وإيصال الرسائل السياسية المشفرة . والسماح بالمتعة مرتبط بطاعة القيادة وتنفيذ أوامرها، خدمة لغاياتها السياسية " أما الخلاص الديني فهو هدف صغير في تجمع الجماهير ويبقى الهدف الاكبر هو التلاعب بالجماهير وربط كباح الجنس المسموح، بالطاعة" [٢٨٨].

المتعة ثقافة نكراء!

- المتعة "زواج" مؤقت يختص به التشيع الدخيل دون الأديان والثقافات الأخرى . يمارس قانونيا في إيران، ولا يأخذ شكلا قانونيا في الأقليات الشيعية في الوطن العربي. وتشجعه المراجع في الدول التي توجد فيها قومية فارسية إن استطاعت إلى

---

[286] -Richard .Y.1995 :99-100 -

[287] JABAR.F.2003 :194 --

[288] Adorno 2001 :136 --

ذلك سبيلا. " يتم زواج المتعة بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد، والرجل في حل من نفقة الزوجة، ويجوز للرجل الجمع بين أعداد لا تحصى من الزوجات وبلا شرط . والزوجة لا ترث الزوج، وموافقة الولي ليست شرطا لزواج القاصر. ومدة الزواج قد تكون ربع ساعة أو تكون تسعين عاما"[٢٨٩] .

ينسب المراجع الفرس أقوالا لتبرير المتعة، منها:

- ينسب الملا فتح الله كاشاني كذبا في كتابه" تفسير منهج الصادقين!: "إن النبي (ص) قال " من تمتع مرة أمن من سخط الجبار، ومن تمتع مرتين حشر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان"ونسب إلى الرسول(ص) أنه قال:" من تمتع مرة كان درجته كدرجة الحسين عليه ومن تمتع مرتين كان درجته كدرجة الحسن عليه السلام، ومن تمتع ثلاث مرات كان درجته كدرجة على بن أبي طالب عليه السلام ، ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجتي".
- ينسب ابن بابويه قمي زورا في كتابه "من لايحضره الفقيه" إلى الإمام محمد الباقر قوله " إن النبي صلى الله عليه وآله لما أسري به إلى السماء قال:إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء" وفي الاستبصار لطبرسي" إن أبا جعفر قال:المتعة ليست من الأربع، لأنها لا تطلق ولا تورث ولا ترث، وإنما هي مستأجرة".

- والمتزوجة لها حق التمتع أيضا ! فقد ذكر طوسي تهتكا في" تهذيب الأحكام" بجواز زواج المتعة بمتزوجة أيضا فعن جعفر الصادق أنه قال"عن فضل مولى محمد بن راشد أنه قال لجعفر الصادق: إني تزوجت امرأة متعة فوقع في نفسي أن لها زوجا، ففتشت عن ذلك، فوجدت لها زوجا. قال : ولم فتشت"[٢٩٠] .

ويقول كاشاني: إن المتعة من ديني ودين آبائي، فمن عمل بها عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا ، واعتقد بدين غيرنا . والمتعة مقربة إلى السلف وأمان من الشرك، وولد المتعة أفضل من ولد النكاح . ومنكرها كافر مرتد، ومقرها مؤمن موحد، لأنه في المتعة أجران: أجر الصدقة التي يعطيها للمستمتعة وأجر المتعة "[٢٩١].

- وذكرها الشيخ المفيد في رسالة المتعة.

- وأباح خميني في كتابه(تحرير الوسيلة) أنه "يجوز التمتع بالزانية على كراهة خصوصا لو كانت من العواهر المشهورات بالزنى"[٢٩٢]. وأجاز التمتع بالرضيعة!.

- وقد تسافلت المتعة حتى وصلت إلى درك مخز حيث " أن السادة هنا قد أفتوا بجواز إعارة الفرج، وهناك كثير من العوائل في جنوب العراق وفي بغداد في منطقة الثورة(الصدر حاليا) ممن يمارس هذا الفعل بناءا على فتاوى سادة كثيرين منهم :سيستاني والصدر وشيرازي وطباطبائي وبروجردي وغيرهم " [٢٩٣] .

---

289 – م.الموسوي١٩٨٧: ١١١ .
290 - ظهير ١٩٨٣ :٢٢٢ .
291 - المصدر نفسه :٢٢٧ .
292 - العيص١٩٩٣ :٣٤.
293- ح.الموسوي: ٤٩ .

تمارس المتعة علنا وبدون حرج في الأماكن المقدسة للشيعة كـ:مشهد و قم وكربلاء. فبعد الاحتلال الأمريكي للعراق يرى زائر مدينة كربلاء ذات الأقلية الفارسية الشيرازية رجلا ذا عمامة سوداء، ينادي بأعلى صوته على بضاعته(المتعة) قرب ضريح الحسين!. أما في قم الايرانية "فالحب المجاني معروض بطريقة تقليدية ودينية واضحة للإيجار من قبل النساء للمسلمين الصالحين.هؤلاء النسوة المكتسيات بالشادور يمارسنه في الأماكن المقدسة (لغرض الغواية)مقابل المال " إن عقود المتعة متكررة، ولفترات قصيرة، ومع المرأة نفسها دون مراعاة للشروط الصحية وبدون عدة للطلاق. فالطلاق في العقد انتهاء مدة التأجير، والعقد يتكرر مع المرأة ذاتها لمرات عديدة ولمدة قصيرة ويتجدد حال انتهائه، فالعقد الثاني الجديد يلغي مدة العدة للعقد الأول "[٢٩٤].

المتعة حرام على نساء المراجع حلال على نساء الناس!:

ولكن:

- رغم تشجيع المراجع على المتعة وادعائهم عظم الأجر عليها وعلو مكانة وغفران ذنوب المتمتعات، إلا أن المراجع لا يقبلون المتعة لنسائهم وبناتهم وأقاربهم "تنزها " كما يقول محسن الأمين العاملي "إذا كانت المتعة مباحا، فلا يلزم أن يفعلها كل أحد ! فكم من مباح ترك تنزها وترفعا "[٢٩٥].
- فالمرجع يبيح لنفسه التمتع ببنات الناس لكن لا يقبل هذا لنسائه وبناته " لأنه يرى هذا الزواج أشبه بالزنا، وأن هذا عار عليه . وهو يشعر بهذا من خلال تمتعه ببنات الناس، فلا شك أنه يمتنع عن تزويج بناته للآخرين متعة .أي أنه يبيح التمتع لنفسه التمتع ببنات الناس وفي المقابل يحرّم على الناس أن يتمتعوا ببناته!![٢٩٦].

ويرى خوئي أن المتعة حرام على السادة، وحلال على عوام الشيعة. يذكر السيد حسين الموسوي، أحد كبار علماء النجف، هذه الحادثة وكيف أن خوئي يذهب أبعد من التنزه عن الحلال و يراها حراما على محارمه وعلى محارم أمثاله من السادة!

فيقول: "جلست عند الإمام الخوئي في مكتبه، فدخل علينا شابان يبدو أنهما اختلف في مسألة. فاتفقا على سؤال الإمام الخوئي ليدلهما على الجواب.

فسأله احدهما قائلا: سيد ماتقول في المتعة، أحلال هي ام حرام؟.

نظر إليه الامام ، وقد أوجس من سؤاله أمرا ، ثم قال له :أين تسكن ؟

قال الشاب السائل :أسكن الموصل، وأقيم هنا في النجف منذ شهرين تقريبا.

قال له الإمام: أنت سنّي إذن ؟

قال الشاب: نعم

قال الامام: المتعة عندنا حلال وعندكم حرام.

فقال له الشاب : أنا هنا منذ شهرين تقريبا غريب في هذه الديار، فهلا زوجتني ابنتك لأتمتع بها ريثما أعود إلى أهلي ؟.

فحملق فيه الامام هنيهة ، ثم قال له :أنا سيد، وهذا حرام على السادة، وحلال عند عوام الشيعة!

ونظر الشاب الى السيد الخوئي وهو مبتسم، ونظرته توحي أنه علم أن الخوئي قد عمل بالتقية.

---

[294] - Richard .Y.1995 :163-164

[295] - م.الموسوي١٩٨٧ : ١١٣ .

[296]- ح.الموسوي:٤٢ .

ثم قاما فانصرفا . فاستأذنت الامام الخوئي في الخروج . فلحقت بالشابين فعلمت أن السائل سنّي وصاحبه شيعي اختلف في المتعة أحلال ام حرام؟ فاتفقا على سؤل المرجع الديني الإمام الخوئي .
فلما حادثت الشابين انفجر الشاب الشيعي قائلا: يامجرمين ! تبيحون لأنفسكم التمتع ببناتنا، وتخبرونا بأنه حلال، وأنكم تتقربون بذلك إلى الله، وتحرّمون علينا التمتع ببناتكم؟!" [٢٩٧].

والسؤال المربك هو:كيف يحرم" السيد" خوئي، إن كان صحيح النسب، ماشجع عليه" أجداده " بأحاديث وأقوال منسوبة إلى أهل البيت ترفع مكان المتمتع عاليا، ويحرمها على بناته ونسائه؟!.

- لم يثبت في كتب المراجع ذكر أي امرأة تمتع بها أحد من الأئمة، أو أنه تمتع أصلا . بل يغضب الأئمة إذا تعرض أحد إلى المتعة مع نسائه وأقاربه، حيث يقول كليني في مصنفه " الفروع من الكافي " أنه جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر فقال له :ماتقول في متعة النساء؟ قال:أحله الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله ، فهي حلال إلى يوم القيامة . فقال :يا أبا جعفر مثلك يقول هذا! وقد حرمها عمر ونهى عنها؟". ثم تستمر المحادثة..إلى قوله " فأقبل عبد الله بن عمير فقال:يسرك (يعني أبا جعفر) أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن؟ فقال :فأعرض عنه أبو جعفرعليه السلام حين ذكر نساءه وبنات عمه"[٢٩٨]

- وينقل مجلسي في بحار الأنوار:عن عبد الله بن سنان قال :سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة فقال :(لا تدنس نفسك بها)"[٢٩٩] .

- وتقول المراجع أن الرسول قد أحلها وحرمها عمر بن الخطاب، علما أن الإمام علي" أقر التحريم في مدة خلافته ولم يأمر بالجواز، وفي العرف الشيعي وحسب رأي فقهائنا عمل الامام حجة لاسيما عندما يكون مبسوط اليد ويستطيع إظهار الراي وبيان أوامر الله ونواهيه.... إقرارهذا التحريم يعني أنها كانت محرمة منذ عهد الرسول(ص) ولولا ذلك لكان يعارضها ويبين حكم الله فيها، وعمل الإمام حجة على الشيعة ولست أدري كيف يستطيع فقهاؤنا ان يضربوا بها عرض الحائط"[٣٠٠].

وقد أدى التشجيع على المتعة إلى ممارسات جنسية شاذة منها :اللواط في النساء والاستئجار وغيرها كثير فاقت الإباحية الجنسية في الغرب، بحيث يستحي القلم من تسطيرها، غصت بها كتب المراجع الفارسية مثل الفروع لكليني والاستبصار لطوسي وتحرير الوسيلة لخميني في أحاديث منسوبة إلى الأئمة يستحيل على اي عاقل تصديق أنها تصدر عن أهل بيت النبيﷺ الأطهار الأبرار.

إذن فقد ألحق المراجع الفرس إهانة بالغة بأهل البيت وسيدهم الرسول محمد ﷺ عندما جعلوهم مساوين لأهل الأهواء والفسقة والفجار في تحليل المتعة، في حين تأبى مراجع الفرس السماح بها لنسائهم. وهذه المساواة الظالمة، وتقويل الائمة ما لم يقولوا، تتناقض تماما مع

---

297 -ح.الموسوي : ٣٨.
298 - ظهير:١٩٨٣ :٢٢٣ .
299 - ح.الموسوي: ٤٥ .
300 - م.الموسوي١٩٨٧ : ١٠٩.

دعوى مراجع الفرس حب أهل البيت والانتساب اليهم. ولا يمكن تفسير هذا الإفك والتحريض الواضح إلا بأنه طعن وحقد عنصري ضد العرب وسادتهم- أهل البيت- الذين هم أسمى وأرفع من هذا الهراء والبهتان المبين.

إن المرأة في الإسلام وعند العرب "هي الشق الثاني من الإنسان المعمر لهذه الأرض.ولفظ (المرأة) في اللغة العربية مشتق من فعل(مرأ) ومصدرها المروءة وتعني (كمال الرجولية) أو (الانسانية)ومن هنا كان(المرء) هو االإنسان ، والمرأة (مؤنث الانسان)"[٣٠١].

وترى العشائر العربية في وسط وجنوب العراق المنحدرة من القبائل العدنانية والقحطانية كآل فرعون، آل محمد، والياسري، والجبور، وشمر، وبني لام، والخزاعل، وبني وائل أن المتعة أمر مهين مشين يتنافى وكرامة العائلة ونسب الأسرة، وقد تراق الدماء على طريقة "غسل العار" المعروفة لدى هذه القبائل إذا ما سأل أحد ولو مجرد سؤال عن شيء كهذا ! حتى لو كان السائل مرجعا أو سيدا.

إن إشارة السيد حسين الموسوي إلى العوائل التي تمارس هذه الأفعال الجنسية المشينة والتهتك الفاضح في مدينة الصدر وبعض مناطق الجنوب، اتباعا لما يقوله المراجع، ينطبق ربما على أقوام قدمت للعراق من الشرق- الشروقية- وسكنت هذه المناطق. وهناك بون شاسع بين الشروقيين والشيعة العرب.

الشروقيون ضحية إباحة المراجع للجنس :

الشروقيون (الشروكَية) هم أربع موجات بشرية أتت من شرق نهر دجلة من لورستان وبلوشستان والهند واستوطنت الجنوب العراقي:

(١) أثناء فترة الحكم الصفوي للعراق في القرن السابع عشر
(٢) في فترة حكم المماليك للعراق في منتصف القرن التاسع عشر
(٣) جاءوا مع جيش الليفي الانكليزي أثناء احتلال العراق في عام ١٩١٤
(٤) ما بين الحرب العالمية الثانية ومنتصف الستينات من القرن العشرين .

ويتميزون بالفقر والجهل والهبوط في السلم الاجتماعي والأخلاقي. فهم كانوا عند مجيئهم أقرب إلى العبيد منهم إلى الأحرار، ويشتغلون في الأرض ورعاية الجاموس عند ملاك الأرض العرب. وانخرط الشروقيون فيما بعد في قبائل عربية عن طريق" نظام الدخالة" المعروف عند العرب، الذي يجيز للدخيل من تغيير اسمه وحمل لقب العشيرة.

هاجر بعض الشروقيين إلى بغداد في خمسينيات القرن العشرين وسكنوا منطقة الرصافة خصوصا مدينة الصدر هربا من ظلم الإقطاع أو طلبا لرزق أو هربا من ثأر قبلي أو هربا من العدالة. وقد نشر المراجع الفرس الفوضى الجنسية والفقر والعداء للعرب بين هذه الفئة المضطهدة من الناس للهيمنة عليهم واستعبادهم واستغلالهم ضد الحكومات المركزية.

حاولت الحكومات العراقية المتعاقبة خصوصا في عهدي عبد الكريم قاسم و صدام حسين النهوض بهذه الطبقة اجتماعيا وثقافيا ودمجها في المجتمع العراقي. فتعلموا في المدارس والمعاهد والجامعات العراقية، ولكن بقي ولاء أكثر الشروقيين للمرجعية الفارسية وليس للعراق ولا للعرب . فنجد الكثير ممن تعلموا وتثقفوا في المعاهد العراقية يمتعض من اهتمام الأنظمة المتعاقبة بالقضية الفلسطينية، ويتهجمون عل العرب والدول العربية، وعلى فكرة

[301] عمر ١٩٩٤ :١٧٠ .

الوحدة العربية وقادتها . بل وصل الغلو الطائفي والعنصري ببعض الشروقيين إلى حد المعاداة المعلنة على وسائل الإعلام ومواقع الإنترنيت للمدن والمحافظات ذات الغالبية العربية الاسلامية "السنية" في العراق، كالرمادي وصلاح الدين وديالى وغيرها[٣٠٢].

ان هؤلاء الاقوام هم الذين تستغلهم المرجعية في مراسم العزاء العنيفة وتدفع لبعضهم الاموال لقاء ممارسة هذه الطقوس لادامة التوتر والعداء بين المسلمين، كما تنشر بينهم نكاح المتعة بتشيع وتوجيه المراجع الفرس.

المتعة دعارة مجوسية :

- ويبقى السؤال المرير:

لماذا هذا الحق الكبير للرجال في استلاب حق المرأة وجعلها سلعة تجارية ومتعة رخيصة، يستطيع أي قادر التمتع بجسدها دون مراعاة لإنسانيتها وعواطفها؟

يرى المثقف الإيراني ناصر حسين في كتابه "المثالية والواقعية في الإسلام" إن هذه الممارسة الجنسية حلال على الرجل لتسريب شهواته وغرائزه خوفا من الطرق االأكثر تدميرا، خارج هذا القانون فيقول : "إن هدف تحليل الزواج المؤقت في الإسلام(يعني في التشيع) تقليل شرور الرجل العاطفية إلى حدها الأدنى وفق صيغة قانونية . وإذا لم تسرب بهذه الطريقة فستظهر بطرق أكثر خطورة خارج النظام القانوني الديني"[٣٠٣]!.

إن المتعة أشد خطورة من الزنا بكثير.فالزنا ينظر اليه المسلمون والنصارى واليهود بازدراء شديد ويعدونه من أخطر آفات تخريب أخلاق الامم، وقيم المجتمعات الإنسانية. وقد نظمت المجتمعات الغربية الزنا قانونيا وفق ضوابط السوق مع مراعاة دقيقة للشروط الصحية . ومع هذا تمارس بنات الهوى الزنا سراً، ولهن مناطق محددة خارج الأحياء السكنية، ويختزن الزوايا المظلمة والشوارع المهجورة . وإذا حصل أن دخل رجال متعددون على امرأة واحدة في حي سكني يبادر سكان الحي إلى إخراج المرأة من الحي بوسائل ضغط مشروعة كالكلام أومضبطة الاحتجاج الجماعية، بل حتى استخدام القوة أحيانا حفاظا على قيم المجتمع الأخلاقية من الانهيار.

اما المتعة فينتفي معها الضابط الأخلاقي والعيب من دخول رجال متعددين على امرأة واحدة باعتبارهم(أزواج) قانونيين فـ " إن الاستفادة من علاقة القرابة الأتوماتيكية التي يوجدها عقد الزواج للصاحبات المسمات زوجات لساعات قلائل يلغي الحاجة للالتزام بالقواعد الموجبة للاحتشام والبعد، فكل أحد يعتبر قريبا من خلال علاقات عائلية (محارم)، لذا يمكن الاتصال به دون مشاكل"[٣٠٤] .

إن هذه المشاعة الجنسية في ليالي العزاء هي في حقيقتها ممارسات، مزدكية ومانوية مجوسية في الديانة الزرادشتية، التي تقول أن الناس شركاء في المال والجنس. تقول د. شهلاء حائري حفيدة المرجع كاظم حائري شيرازي "عند الزرادشتيين يحق للزوج أو رب

---

[302] للتفصيل انظر دراسة للباحث البروفسور جلال الوزير: تعرف على الشروك : حكام العراق الجدد وقادة فرق الموت.9/11/2009 hppt :www.bramjnet.com/vb3/shortthread.php?=220494&page=2

[303] - Richard 1995 :161

[304]- المصدرنفسه:١٦٤(ibid).

العائلة إعطاء زوجته أو ابنته من خلال إجراءات رسمية ردا على طلب رسمي إلى أي رجل من قومه يطلبها كزوجة مؤقتة لفترة محددة. وفي هذه الحالة تبقى المرأة زوجة دائمة لزوجها الأصلي، وفي الوقت نفسه تصبح زوجة مؤقتة لرجل آخر. وأي طفل يولد خلال فترة الزواج المؤقت يعود إلى الزوج الدائم أو لوالد المرأة وفقا للحالة."[٣٠٥] إن هذه الدعارة المجوسية، التي غطوها بغطاء ديني مقدس وسموها زواجا ! ويقوم عليها وكيل أو معتمد للمرجعية ذو مكانة مرموقة بين الشيعة، جعلت المدن المقدسة الأكثر تحللا وانحطاطا على الصعيد الأخلاقي في العالم الإسلامي.

والسؤال الآخر الخطير كيف يناقض الإسلام نظامه الاجتماعي المحكم، بفوضى اجتماعية عارمة كالمتعة ؟!.

فالإسلام دين أحاط أمته بإجراءات وقائية تحذر من الوقوع في الزنا وما يدعو إليه، فيقول القرآن{ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا} الإسراء:٣٢ {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم..} النور:٣٠ إلى آخر آيات كثيرة منبثة في القرآن الكريم.

وبعد الإجراءآت الوقائية ضد الزنا، وضع الإسلام نظاما اجتماعيا محكما للأسرة، أساسه الأخلاق حفاظا على طهارة المجتمع . واعتنى بالأسرة عناية عظيمة، فـ "الأسرة هي أساس كيان المجتمع، لأن من مجموعها يتكون المجتمع، فهي بالنسبة له كالخلية لبدن الإنسان . ويترتب على ذلك أنه اذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، واذا فسدت فسد المجتمع. ولهذا اعتنى النظام الاجتماعي الإسلامي بالأسرة عناية كبيرة تظهر في أحكام كثيرة بشأنها، ،وأكثر هذه الاحكام وردت بها آيات في القرآن الكريم يتعبد المسلمون بتلاوتها" (زيدان١٩٨٧ :١١٢).

إن اجتماع الجماهير هو هدف كبير لكل ناشط سياسي، وإن كل اجتماع هو سياسة ! والمتعة هي من أعظم وسائل الجذب إلى اجتماعات العزاء غير العقلانية،التي يتم من خلالها، تعبئة الجماهير نفسيا، وإيصال الرسائل السياسية : هدفها تحقيق الحلم التاريخي الكبير في بناء الارث الساساني الغابر.

مجالس التربية والتثقيف!:

بالإضافة إلى مجالس العزاء في عاشوراء، يقيم "السادة" مجالس عامة على مدار العام، في الحسينيات والعتبات للتربية والتثقيف. وثقافة المجالس العامة هي ثقافة العزاء نفسها،إلاّ اللطم والتطبير: يجلس "السيد" ذو العمامة السوداء على كرسي عال، والحاضرون جلوس على الارض. وحديث المجلس دائما عن قصص التاريخ والسياسة . ويحرص "السيد" على تنفيذ مهمته في الإحضار الدائم للتاريخ السلبي المحبط، وجعله جزءا من الوعي الجمعي للمؤمنين الشيعة . فلايستدعي حادثة تاريخية إيجابية واحدة أبدا فهي عنده من المحرمات. فتاريخ الإسلام عنده هو سلسلة من الكيد والخيانة والتآمر، في معادلة ثابتة :

طرفها الأول الظالم = كل المسلمين خصوصا الجيل الأول من الصحابة وأمهات المؤمنين، والطرف الثاني= المظلوم أهل بيت علي بن أبي طالب.

---

[305] -حائري ٢٠٠٧ :٤٠ .

وعلى نهج شريعتي وخميني يبدأ "السيد" بذكر وتحليل مثالب وسلبيات ينسبها لقادة الإسلام ،خصوصا في العصر الإسلامي الأول من قادة فتح بلاد فارس: الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرة بالجنة من الصحابة . ويهزأ بالشورى التي أداروها، ويراها تآمر سياسي لإبعاد علي عن السلطة!.ثم يعرج إلى حكم بني أمية، فيلعن معاوية وابنه يزيد، وبني مروان ثم بني أمية أجمعين، ثم بني العباس، حتى يصل إلى شعار" لعن الله أمة قتلتك "!.

يعتمد "السيد" في تحليله للتاريخ على ذات الأسلوب النفسي العاطفي الذي يمارسه الروزخون والرادود، في عملية تبشيع وشيطنة، واغتيال أخلاقي هدفها صناعة بغضاء وكراهية ضد رموز وقادة الإسلام، من أجل سحب الشرعية منهم. ثم يلف "السيد" ويدور حول التاريخ، ويعود تارة أخرى إلى مقتل الحسين، فتتغير نبرة صوته فجأة بلحنة حزينة متباكية بتمثيل بارع، هدفها الإثارة وتجديد انتباه السامعين .
ويفصّل "السيد" هذا العداء المستحكم بين المسلمين وبيت علي بتفصيل عجيب، فيدخل المجالس السرية المغلقة، ومخادع النساء، وغرف نوم الأزواج !.

وبذلك يكون التاريخ الإسلامي كله – باستثناء فترة خلافة علي – عند "السيد" أسودا كالحا، ليس فيه قبس من نور ولا موقف نبيل أو واقعة انتصار أو بناء حضارة ! فـ

لا نهاوند ولا القادسية ولا حطين ولا عين جالوت،
ولا حضارة لبني أمية!
لا في دمشق ولا في قرطبة وإشبيلية،
ولا مكرمة لهم بالإسلام الذي نشروه في أركان الدنيا الأربعة في أقل من ٥٠ عاما !

ولاعلم ولاحضارة للعباسيين !

.

لا يمكن إذن تفسير تبخيس "السيد" للتاريخ الإسلامي، إلا أنه تجسيد دقيق لسقوط الامبراطورية الساسانية .وإلا، هل سمعت إنسانا يسب ويشتم ويروج التشهير والتبشيع بقومه المنتصرين، وحملة مباديء عليا كان لها دور بارز في بناء الحضارة الإنسانية إذا كان ينتمي إليهم حقا ؟! فضلا عن ادعائه بأنه من سادتهم !. فاذا كان دعي الانتساب إلى " بيت علي" يسب ويلعن تاريخ ورموز العرب –أمة علي – يكون شتم غير السيد لرموز هذه الأمة أيسر. فما أسرع ما استدعى حفيد خسرو الرئيس الإيراني أحمدي نجاد، التاريخ وشتم أصحاب رسول الله . ففي ٦/١٠ /٢٠٠٩ وأثناء خطابه للدعاية الانتخابية التي فاز بها، شتم الزعيم الإيراني نجاد، على شاشة القناة الإيرانية الثالثة: الصحابيين المبشرين بالجنة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، في حقد تاريخي واضح ، دون أي وازع أخلاقي أو احترام لمشاعر مئات الملايين من المسلمين.

إن استخدام "سيكولوجية الجماهير" في التجمعات الكبيرة في مجالس العزاء والمجالس العامة لتعبئة النفوس وغسل الادمغة بتحريض عدائي سلبي وزرع الخوف فيها، هي من اخطر اسباب الاحتقان الطائفي وتمزيق الامم وتهديد جدي للاستقرار والعيش المشترك في البلدان. ومن هنا فان كل القوانين تجرّم هذا الخطاب السياسي الناري وتمنعه منعا باتا حفاظا على السلم الاهلي والوحدة الوطنية بين الاقوام المختلفة المكونة لشعب واحد في البلد الواحد.

المراجع الفرس علماء نفس كبار:

يقول علماء الاجتماع إن استجابة الجماهير تكون وفقا لنوع التحريض الذي يمارسه الزعيم: فالجمهور يمكنه الارتقاء بعواطفه عاليا اذا كان التحريض إيجابيا، أو ينحط إلى أسفل سافلين بتحريض سلبي. فـ "إن الجمهور الذي يمثل لعبة واقعة تحت تأثير كل المحرضات الخارجية ، يعكس متغيراتها التي لا تتوقف. وبالتالي فهو عبد للتحريضات التي يتلقاها "[٣٠٦] ولقد نجحت النخبة الفارسية بذكاء في تأسيس عقائد دينية خاصة تمرر سياساتهم على جمهور الشيعة الطيبين باستخدام" سيكولوجية الجمهور" عن طريق تحريض سلبي متكرر ومستمر على مر السنين. والجمهور هو أفراد منفصلون " يكتسبون صفة الجمهور النفسي في لحظة ما، وذلك تحت تأثير بعض الانفعالات العنيفة أو حدث قومي عظيم مثلا"[٣٠٧] . وبذلك يسهل على المغرضين حقن الجمهور بالأساطير، لأن قبول الأسطورة سببه انعدام المسؤولية الفردية بالاندماج مع الجمهور، والتخلص من الإحساس بالدونية التي يعانيه الشخص منفردا. و" إن خلق الأساطير بمثل هذه السهولة في أوساط الجماهير ليس فقط ناتجا عن سرعة كاملة في التصديق ، وإنما عن تشويه هائل أو تضخيم هائل للأحداث في مخيلة الأفراد المحتشدين ، أي الجمهور"[٣٠٨]. " وبما أن الجماهير لا تعرف إلا العواطف البسيطة والمتطرفة، فإنهم يقبلون أو يرفضون الآراء والعقائد التي يُحرضون عليها دفعة واحدة . فهم يعتبرونها إما حقائق مطلقة أو أخطاء مطلقة، وهذه هي دائما حالة العقائد المتشكلة عن طريق التحريض بدلا من المتولدة عن طريق التعقل والمحاجة العقلانية "[٣٠٩].

لذا فالعواطف الحادة المبالغ فيها والمكررة هي المحرك الرئيسي للجماهير الساذجة، فـ" لايمكن تحريك الجماهير والتاثير عليها الا بواسطة العواطف المتطرفة .فان الخطيب الذي يريد جذبها ينبغي ان يستخدم شعارات عنيفة، ويبالغ في كلامه ويؤكد بشكل جازم ويكرر دون أن يحاول إثبات أي شيء عن طريق المحاجة العقلانية"[٣١٠].

يمارس الروزخون والرادود التحريض السلبي المتلازم مع صور السلاح (السيوف والقامات) والدم المسفوح والشعارات العنيفة المطالبة بالانتقام، من أجل إثارة عاطفتي الغضب والإحباط البدائيتين المدمرتين، لدفع الناس إلى العنف والتعصب والاستئصال، "نستنتج من ذلك أنه ليست الوقائع بحد ذاتها هي التي تؤثر على المخيلة الشعبية، وإنما الطريقة التي تعرض بها هذه الوقائع . وإذا استعمل المؤثرون التكثيف، تولدت صورة مؤثرة وأخاذة تملأ الروح كالهوس . إذن فمعرفة فن التأثير على مخيلة الجماهير تعني معرفة فن حكمها"[٣١١] .

---

306 - لوبون:٦٤.

307 المصدر نفسه:٥٤ .
308 - المصدر نفسه: ٦٧ .
309- المصدر نفسه : ٧٦ : .
310- المصدر نفسه :٧٥ .
311 -لوبون : ٨٩ .

يتميز الخطاب في مجالس العزاء بأمرين : أولاهما استخدام المظلومية في التحريض النفسي في كسب المؤيدين وليس المحاجة العقلية، مما يجعلهم في وضع نفسي مهيء لممارسة العنف والعدوان، من أجل تحقيق غايات سياسية كبرى . وثانيهما يتبع المحرضون نظاما دقيقا ومتشابها في أدواته .فتحليل محتويات خطاب واحد منهم تكفي لمعرفة الآخرين. فإن المكون الاساسي لهذا الفن هو كلام بذيء وممل ونادر الأفكار ومعاد بطريقة لا نهاية لها.

لقد جمع التشيع الصفوي في مجالس العزاء بين : تعاطف وتأييد للحسين وصحبه يصل إلى درجة التأليه، وبين تبخيس وتحقير لرموز المسلمين وأمتهم إلى درجة الحقد الأعمى. وهذا الفن المعتمد على تقديس وتأليه القائد، وبالمقابل تبشيع الخصم والهجوم على رموزه وتاريخه يشبه خطاب الفاشست في إدارة جهازهم الدعائي لنشر فكرهم بين الجماهير "فالتعاطف مع شيء يتحول لديها فورا إلى عبادة، والنفور يتحول مباشرة الى حقد"[٣١٢].

للعزاء هدف سياسي عظيم :

إن مجددي مأساة كربلاء وسلسلة التراجيديا التاريخية ليس هدفهم التكفير عن خيانتهم للحسين أو الحزن على الأئمة بل الحزن على مجد غابر سقط قبل أكثر من أربعة عشر قرنا .

ليس عزاء عاشوراء، وإن كان الأكبر هو الوحيد عند المراجع، بل هناك سلسلة مآتم ومجالس حزن وعزاء تعد بالعشرات لترسيخ الفكرة الشيطانية "المظلومية " و"المحرومية" في العقل الجمعي للشيعة هدفها إدامة الانقسام والعداء بين المسلمين، وسحبها على الأجيال اللاحقة التي لم يشتركوا مع أجدادهم، في فتح بلاد فارس وهم على وفاق تام ووئام مع علي وأهل بيته .

يتجمع الشيعة في الحسينيات، أو أي مجلس عام لسماع سب وشتم المراجع الفرس خصوصا "السادة"، التاريخ العربي الإسلامي وقادته على مدار العام، منها : استشهاد على بن أبي طالب ، و"استشهاد" السيدة فاطمة الزهراء، و"استشهاد" الحسن المجتبى، و"استشهاد" الإمام موسى الكاظم... الخ. يبلغ عددها أكثر من خمسين مناسبة معظمها مناسبة حزن واستشهاد، أي مايعادل اجتماع واحد اسبوعيا، كلها اجتماعات سياسية نارية متلازمة بالسب والتحريض.

يمارس زعيما منبر العزاء الروزخون والرادود اسلوبا سياسيا فاشستيا مصحوب بالصور الدموية العنيفة، اثناء تنمره على رموز الاسلام الاموات الذين مضوا الى ربهم قبل اكثر من ١٤ قرنا، هدفه صناعة عداوة، تحت رفع الشعار الخادع: حب أهل البيت والدفاع عن مظلوميتهم . لكن أنى لقلب يحمل كل هذا الغل أن يسمح لنور الحب أن يدخله ! وكيف لنفس تحمل كل هذه العقد والانحراف أن تبني علاقة إنسانية سامية. فما علمنا في كتب **الادباء**، أو نظم ألشعراء، أو هدي رب السماء، أن حبا يعبر عنه بحزن سرمدي طويل على الميت الشهيد، وكره وبغض تاريخي مديد!!.

وخلافا لكل الاقوام الاعجمية المسلمة التي تكن حبا وتقديرا عظيمين للعرب وقادتهم باعتبار ان الله خصهم بحمل رسلة الحب والعدل –الاسلام – هاجم الفرس قادة المسلمين خصوصا صحابة رسول الله بوحشية وقسوة وبسبب عيشهم في محيط متلاطم من المسلمين ومايتميز به

---

[312] - المصدر نفسه :٩١ .

الفارسي من ذكاء ودهاء فقد استخدموا الرمزية والتقية في هذا الهجوم وتوصيل التوجيهات السياسية، فرمزوا الى انهيار الارث الساساني بمقتل الحسين واقاموا له المناحات السرمدية العظيمة ورمزوا الى غياب هذه الارث بالمهدي المنتظر الذي سوف لن يظهر الا بميلاد الفجر الساساني من جديد.

إن تربية سياسية تجعل الكراهية وحب الانتقام برنامجا لها لا يمكن أن تنجح في إقامة مهدوم أو أن تبني حضارة إنسانية أو أن تسود الناس . ورحم الله أديبنا الجاحظ حيث لخص نفسية هذه الزمرة وسياستها بقوله : "أعلم أنك لم تر قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة. وقد شقى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم وتوفر نار الشنآن في قلوبهم وغليان تلك المراجل الفائرة وتسعر تلك النيران المضطرمة" [٣١٣] .

طور المراجع هذا التحريض المعادي والمظلومية الموهومة التي تهدد الاخاء الاهلي والسلم العالمي، وجعلوها نهجا للأحزاب الطائفية في العراق ولبنان، وجعلت من الولي الفقيه قائدا لها.

313 - معروف١٩٨٩ : ١١٢.

الفصل السابع

الأحزاب الطائفية في العراق ولبنان: غربة التاريخ والوطن

الولي الفقيه حاكم مطلق:

ذكرنا سابقا أن السبب الرئيس لتغلغل النفوذ الايراني في الأقليات الشيعية في العالم الإسلامي، يعود الى النظام الديني الذي أوجدته الدولة الصفوية وطورته المراجع الحالية، والذي أبقى الفرس على قمة هذا النظام . فسلسلة المراجع العليا لشيعة العالم، منذ تأسيس المرجعية إلى اليوم : كلهم من بلاد فارس ليس بينهم عربي واحد، علما أن كل الائمة عرب، ونزل القرآن بلغة العرب .

ان هذا النظام المرجعي الهرمي الذي يهيمن عليه الولي الفقيه، يربط المقلد بـ ←المرجع ، والأقلية بـ ←المراجع الفرس، وبدورها تربط هؤلاء بـ ←الدولة الفارسية وليس بالوطن الأصلي، فصارت هيمنة المراجع على جميع الأقليات الشيعية أساسا للولاء السياسي لهذه الاقليات . ولإحكام الهيمنة جعل الولي الفقيه من نفسه حاكما مطلقا، له حق إلهي لا يجوز رده، لأنه نائب عام للإمام في حال غيبته، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الله .

فولاية الفقيه سلطة فردية استبدادية منافية للشورى، ذلك المبدأ الاسلامي الاصيل، المانع للظلم والاستبداد، ولايلتقيان مطلقا. يقول محمد مهدي شمس الدين المفكر الشيعي اللبناني إن الدمج بين الشورى وولاية الفقيه غير ممكن مطلقا فـ

> "هناك نظريتان لايمكن الجمع والتوفيق بينهما ، حيث أن ولاية الفقيه تعطي الولاية المطلقة والعامة للفقيه الجامع للشرائط كما لوكان إماما معصوما .وحينما تجري شورى في ظل ولاية الفقيه فإن شرعية نتائج الشورى وتاثير الشورى لمفاعيلها إنما تكون بإجازة هذا الفقيه، ومن دون إجازته تتعطل الشورى نهائيا" [٣١٤].

ومن هنا فإن الولي الفقيه حقيقة أكبر من الدولة ومؤسساتها كلها : من جيش، ومجلس شورى، وحكومة وغيرها، بل هو أكبر من الشريعة ذاتها، فمثلا" جعل خميني نفسه فوق كل المؤسسات! هو سلطة مطلقة باعتباره ممثلا للإمام، وجعل الشريعة خاضعة للدولة"[٣١٥] .

إن هيمنة المراجع الفرس على التشيع، واختلاطه بالموروث الثقافي الفارسي، جعل الفصل بين التشيع والفرس أمرا متعذرا. فقد جمعت النزعة الفارسية المتطرفة للمراجع بين الوحدة الدينية والسياسية، وجعلتهما متداخلتين جداً لدرجة يصعب التفريق بينهما، ففي ايران الخمينية مثلا، بالرغم من شعارها الإسلامي، فإن الدولة ذات طابع قومي فارسي لا يمكن أن تعترض عليه الثورة الإسلامية ." صحيح أن الدستور يوضح أنه ليس بالضرورة أن يكون "المرشد " ايرانيا، الا ان قانون الجنسية هو قانون صارم.وهكذا فإن من الصعب على أفغاني شيعي ناطق بالفارسية، أن يتزوج من إيرانية، شأنه شأن الفرنسي، مثلا .وأحد أقرب معاوني خميني، جلال الدين الفارسي، لم يستطع ترشيح نفسه للانتخابات الرئاسية لأن أباه أفغاني

---

[314] - رؤوف- ب-٢٠٠٦ : ٢٨٢ .

[315] - ROY.O. 1999 :179

المولد. "[٣١٦] . ثم أن ايران احتفظت بالتقويم الزرادشتي وتحتفل برأس السنة في ٢١ آذار من كل عام.

لقد نجح النظام المرجعي الذي يربط المقلد بالمرجع من التأثير على الأقليات غير الفارسية، حتى جعلت التشيع مرادفا للولاء لبلاد فارس، بغضّ النظر عمن يحكم هذه الدولة : صفويا كان أم قاجاريا، بهلويا كان أم خمينيا فصار التشيع هوية سياسية جامعة يقودها الفرس. فالانتساب إلى التشيع معناه عند المراجع ولاء سياسي للدولة الفارسية! . فغير الشيعي الإيراني يحس بالغربة في إيران كما يحس الشيعي غير الإيراني بالغربة في بلده الأصلي . ففي إيران يقاس الولاء للدولة بالتشيع وليس بالانتساب الوطني، فالآذريون والترك الشيعة يحسون أنهم أكثر إيرانية، من الأكراد والبلوش، الذين هم ثقافيا أقرب إلى الشيعة الفرس.

ثم تطور الولاء لإيران حتى صار التشيع في العالم خادما للدولة الفارسية الذي وصل أعلى مستوياته في الفترة الخمينية " فمنذ الأيام الاولى للثورة الإسلامية في إيران كان هناك جدلية ساخنة بين من يقول (إيران للاسلام) وبين من يقول (الإسلام لايران) . وأخيرا حسمت الجدلية لصالح الفريق الثاني وبفوز ساحق . ولاشك أن لتركيبة الشخصية الإيرانية دورا مهما في تحقيق هذا الفوز"[٣١٧] . ومقولة "الإسلام لإيران" تعني تسخير الامتداد الشيعي العالمي لخدمة المصالح الوطنية الإيرانية .

إن إرساء ولاء سياسي على أساس مذهب ديني هو سابقة تاريخية فريدة في العلاقات الدولية . فالتعبد بالمذهب الشيعي يعني ولاءا سياسيا لإيران، ومن حق إيران التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان التي توجد فيها أقلية شيعية، فبقيت العلاقة بين مراجع الشيعة وإيران قوية بالرغم من الحدود . وهذا ما أرسى سابقة سياسية في مفهوم الدولة القومية في عالم اليوم، وهي تدخل دولة خارجية في الشؤون الداخلية للدول عن طريق المراجع . فالعلاقة التاريخية بين إيران والنجف وكربلاء تعني أن النفوذ الفارسي قوي في هاتين المدينتين[٣١٨] .

ويقوم المركز الاستراتيجي في قم، بتدريب وتأهيل آلاف الطلاب الوافدين من العالم، لجعلهم ناشطين سياسيين، وباحثين استراتيجيين في خدمة الدولة الايرانية . فقد جاء على لسان مير حسين موسوي رئيس وزراء خميني في ثمانينات القرن الماضي أن خريجي قم يؤكدون على عالمية التشيع لتوظيفه في خدمة ايران، وجعله أحد أعمدة السياسة الخارجية الإيرانية. أما علي لاريجاني رئيس مجلس الشورى الإيراني الذي حضر المؤتمر العام للرابطة الإسلامية للمهندسين في تموز/يوليو ٢٠٠٨ فقد قال في تصريح تلفزيوني: " إن القوة إيران المعنوية في الدول الاسلامية تخدم المصالح الوطنية".

وقد ظهر هذا الولاء السياسي لإيران بأوضح ما يكون في تشكيلات الأحزاب الطائفية الشيعية في الوطن العربي، خصوصا العراق ولبنان. وقد عدت المرجعية تلك التشكيلات الحزبية :

- نموذجا متطورا من التنظيم لزيادة كفاءتها الإدارية وإحكام سيطرتها على القرار السياسي.
- ظهيرا لنظام الوكلاء المعتمدين المعمول به منذ القديم .

---

316 - روا ١٩٩٤ : ١٦٨ .

317 - شريعتي٢٠٠٢ : ٢١ .

318 - Esposito 1990 :86

فالحزب عند المرجعية هو شكل تنظيمي جديد بيد الولي الفقيه. ففي تصريح للسيد عزت الشابندر أحد قادة حركة جند الإمام قال : "إن الفرق بين القيادة الإسلامية(الفقهية).. والقيادة الحزبية..أن الحزب هو عبارة عن بؤر تنظيمية داخل الأمة يجب أن تتحول الى أجهزة بيد الفقيه الجامع للشرائط"[٣١٩]. وإن نسبة كبيرة من مؤسسي هذه البؤر التنظيمية – الأحزاب– هم من المعممين الفرس .وأما الولي الفقيه لهذه الأحزاب بدون استثناء فهو من" السادة" الفرس، الذي يدير أمورها ويهيمن على قرارها الاستراتيجي والسياسي بصورة مطلقة . وقد دعمت المرجعية هذه الأحزاب، بمليشيات مسلحة تمنع معارضة توجهها الفارسي، خصوصا بين العرب . فاضطر الشيعة العرب إلى دفع تهمة العجمة عنهم بعدما صادرت المرجعية قرارهم السياسي، عن طريق إنشاء احزاب موالية لايران، ودعمها بميليشيات مسلحة . ونجح المراجع بذكاء في تحقيق اختراق في بعض الدول العربية بهذه السياسة.

وسنأخذ الأحزاب الموالية لإيران في العراق ولبنان لدراسة هذه الحالة .

وتشمل هذه الأحزاب:

في العراق: حزب الدعوة الإسلامية ، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية ، ومنظمة العمل الإسلامي ، والتيار الصدري .

وفي لبنان : حركة أمل وحزب الله.

الأحزاب الشيعية الطائفية في العراق

١– حزب الدعوة الإسلامية في العراق:

تأسس حزب " الدعوة الإسلامية في العراق "(حزب الدعوة) عام ١٩٥٩ م على يد بعض رجال الدين الشيعة والتجار. وكان معظم أعضائه من الطبقة المتعلمة، من خريجي الجامعات والمعاهد العلمية العراقية الحديثة . وجاء تأسيسه كردة فعل على المد الشيوعي واليساري في العراق، الذي أدى إلى إضعاف المرجعية وتهميشها. ومن الأسماء التي ساهمت في تأسيس حزب الدعوة وقياداته هي :

" ☻محمد باقر الصدر ☻مهدي الحكيم ☻محمد باقر الحكيم ☻محمد بحر العلوم ☻طالب الرفيعي ☻محمد صادق قاموسي ☻صاحب الدخيل ☻مرتضى عسكري ☻ محمد صالح الأديب ☻محمد صالح سبيتي ☻حسن شيرازي ☻مهدي شيرازي ☻محمد شيرازي ☻هادي شيرازي ، وخمسة لم تذكر أسماؤهم ربما لأسباب أمنية[٣٢٠] .

فثمانية من الأسماء الأربعة عشر المؤسسين للحزب المذكورين أعلاه هم من الفرس، أو من أصول فارسية، وهم : ولدا الحكيم، وبحر العلوم، وعسكري، والشيرازيين .وقد يكون العدد أكبر اذا تكشفت لنا أسماء الخمسة الذين بقيت أسماؤهم طي الكتمان.

---

[319] - رؤوف أ–٢٠٠٦ : ٣٧٦ .

[320] - . JABAR.F.2003 :table 4 -2 : 97-98

- محمد باقر الصدر(١٩٣٥ -١٩٨٠)

محمد باقر الصدر(الصدر) عراقي الجنسية، وابن أخت رئيس وزراء العراق الأسبق محمد الصدر، وأصله من جبل عامل جنوب لبنان، " وجده الأعلى عبد الحسين العاملي المتوفى عام ١٥٧٧ كان من العلماء الذين غادروا جبل عامل في جنوب لبنان ليلتحق بالبلاط الصفوي"[٣٢١].

وهو سليل علاقات عائلية ومصاهرات معقدة بين اسماعيل الصدر المولودفي أصفهان عام ١٢٥٨هـ وعائلة حسين قمي من مدينة قم .

[321] : ROY.O. 1999 :186

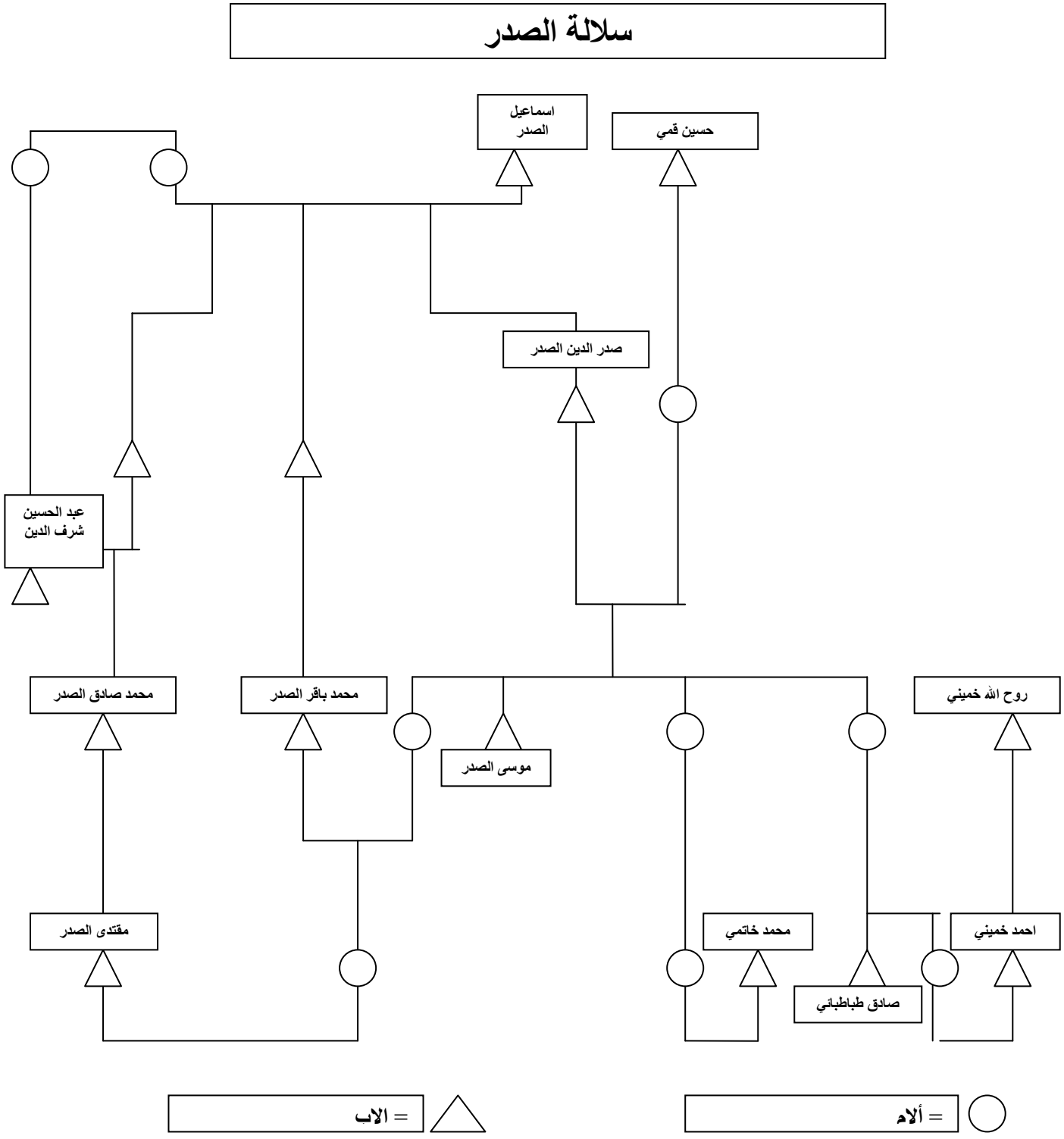

شهابي –جدول ٦–١ :١٤٠

لقد استعانت الإمبراطورية الصفوية بعلماء جبل عامل في تشييع بلاد فارس، وأسندت إليهم مع الفرس وزارات الشؤون الدينية وورئاسة القضاء . ويسمي الفرس هذه الوظائف" الصدر"، لأنهم يجلسون في صدر المجلس، ومن هنا جاء اللقب .

تتلمذ الصدر مؤسس حزب الدعوة، عل أيدي مرتضى عسكري، ومحسن طباطبائي الحكيم، وخميني.وليس له ولاء إلا لخميني وإيران ! فمنذ البوادر الأولى لانتصار الثورة الإيرانية "اندفع الشهيد الصدر إلى التفاعل معها بكل ما لهذا التفاعل من معنى . وبذلك نقل كل حلمه وجهده التأسيسي إلى تفعيل هذا التطور الهائل، ومتجاوزا كل ظروف بيئته السياسية وضغوطها وإسقاطاتها ورقابتها الصارمة على هذا التفاعل . وهكذا بدأ سلسلة تحديات لهذه البيئة، وبدأ خطوات الولاء لحركة خميني". وكان يقول مرارا وتكرارا " لو ان السيد الخميني أمرني أن أسكن في قرية من قرى إيران أخدم فيها الإسلام، لما ترددت في ذلك !فالسيد الخميني حقق ما كنت أسعى إليه"[٣٢٢]. وكان الصدر أحد مفكري الثورة الإيرانية، فقد قام بوضع خطة الدستور لجمهورية إيران الإسلامية عام ١٩٧٩[٣٢٣].

وأما بعد نجاح الثورة الإيرانية، فقد وضع تلميذ خميني الحذر جانبا وراح يتحدى نظام حكم حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق. وبتوجيه من استاذه بدأ يؤجج الشيعة العراقيين عن طريق وكلائه ومعتمديه لزعزعة الاستقرار في العراق : فقد أعطى الصدر في شباط/فبراير ١٩٧٩ يوم انتصار الثورة الإيرانية ثلاثة أيام عطلة لطلاب الحوزة في النجف، ونظم مسيرة سلمية في اليوم نفسه من مسجد الخضرة بعد صلاة المغرب وهي تحمل صور خميني . ولتنظيم العلاقة أكثر مع مولاه خميني "أرسل الصدر مبعوثا دائما له إلى طهران تلميذه السيد محمود هاشمي(إيراني من قادة المجلس الأعلى فيما بعد) . وقد اعلنت خطته لزيارة طهران على رأس وفد ديني وشعبي . وكان وكلاؤه البالغ عددهم حوالي مائة ناشطين في اتصالاتهم لكسب التأييد الشعبي للثورة الإيرانية"[٣٢٤]. وتأجل قراره لزيارة طهران بعد تلقيه برقية من خلال إذاعة طهران العربية في ٨ /١١/ ١٩٧٩ من خميني تنصحه بالبقاء في النجف لقيادة "الثورة الإسلامية" في العراق "سيدنا! سمعنا أنك عازم على الخروج من العراق.السيد الإمام يقول:ابق ، ابق ،فأنت سوف تقود الثورة الإسلامية في العراق "[٣٢٥].

بعد هذه البرقية بدأت ما يسمى بحركة البيعة . وكانت إنذارا لانتفاضة رجب١٩٧٩ التي امتدت من النجف الى بغداد، والكوت، والعمارة، والبصرة، الحلة والديوانية، وكربلاء والسماوة . وكان بعض المتظاهرين يهتفون بحياة خميني، والصدر، وانتصار الاسلام دائما [٣٢٦]. اعتقلت الحكومة العراقية الصدر، بعد هذه المعارضة السياسية الصريحة والولاء المطلق لخميني وايران ثم أعدمته عام ١٩٨٠. كما هجرت الى ايران عددا من الفرس ممن اعتبرتهم طابورا خامسا يهدد أمن الدولة لأن" المهجرين هم من الفرس القاطنين العراق أو العراقيين من أصول فارسية فقط .لا يمكن تحديد عدد المهجرين بالضبط، وربما يتراوح العدد بين ٣٠٠٠٠ إلى ٣٥٠٠٠٠ . وربما يشمل العدد الأخير كل العراقيين الموجودين في إيران"[٣٢٧].

---

322 - رؤوف٢٠٠١ : ١٤٦، ١٤٩

323 -: Richard.Y.1995 116

324 - JABAR.F.2003 :227-229

325 - الناهي ٢٠٠٢ : ٢٦١ .

326 - JABAR.F.2003 : 230 .

327 - Esposito .J.1990 79 .

ونترك للقاريء اللبيب أن يقيس ما فعله الرئيس العراقي صدام حسين بالصدر بـــ:ماذا سيكون موقف خميني من رجل موالٍ لصدام، يعارض خميني في طهـــران وولاءه للعـــراق ولـــيس لايران!.

أقامت طهران مؤتمرا(بكائيا) عالميا لواضع دستورها في ١/١٨ /٢٠٠١ حضره وشارك فيه كبار قادة الدولة الإيرانية مثل :علي خامنئي مرشد الثورة، وآية الله محمد تسخيري، والـــشيخ حيدر أديب من لبنان، وآية الله العظمى محمد باقر الحكيم ممثلا للعراق وآخرين. كما شـــيدت إيران لأخت الصدر بنت الهدى المعدومة معه جامعة باسمها في قم الإيرانية.

حزب الدعوة: التبعية والولاء لإيران:

أما العضو المؤسس الآخر، وأهم شخصية قيادية في الحزب فهو:

- آية الله العظمى مرتضى عسكري(١٩٠٥ –٢٠٠٧) .وعسكري" ســيد" ومـــؤرخ ايراني كبير وهو أحد أساتذة الصدر. وهو ذو نفسية معقدة ملتوية تظهـــر بـــصورة واضحة في اتهامه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أبا حفصة زوجة النبي محمد ﷺ ، وصهر علي بن أبي طالب، في شرفه ونسبه بطريقة تحريضية لاأخلاقيـــة غيـــر مبال بما تحدثه هذه التهمة من تهييج لمشاعر مئات الملايين من المسلمين . ويفتري الكذب على الإمام جعفر الصادق بنسبة هذا التشهير إليه، في أكبر إســـفاف مهـــين ومحقر للإمام جعفر. وينطق هذا الإسفاف أنه من المحال أن يكون عسكري ســـيدا! فنفسيته تعكس مدى إحباطه وحقده من هول انهيار المجد الساساني الغابر، حتى أنه ألف كتابا أسماه" خمسون ومائة صحابي مختلق " ينكر فيه كثرة من الصحابة الذين شاركوا في فتح بلاد فارس، وعلموا عند المسلمين علم اليقـــين كالبطـــل القعقـــاع التميمي. وبدل رد الجميل لعمر الذي أدخل الإســـلام إلـــى بـــلاد عـــسكري!. راح عسكري ينال من عمر وينكرهذا التاريخ وقادته . وهذا الإنكار يتناسب مـــع قـــوة إحباط وغضب شديدين أصابا عسكري ، حتى مات ولم يشف منهما أبدا.

كما ضم الحزب لاحقا

- آية الله العظمى كاظم حائري شيرازي

المقيم في قم الإيرانية ، وهو فقيه حزب الدعوة (الولي الفقيه) لفترة قصيرة.

وضم الحزب في قيادته كذلك :

- علي كوراني المستشار في مكتب الشيخ آية الله العظمى منتظري حسين منتظـــري ثاني أكبر شخصية بعد خميني .

- والشيخ محمد مهدي آصفي

المشرف على مدرسة الرضا للدراسات الإسلامية في مدينة قم الإيرانية الـــذي قـــاد حـــزب الدعوة لفترة طويلة خلال تسعينات القرن العشرين وكان الناطق الرسمي باسمه.

كما جاءت الحاجة لهذا التأسيس بتوجيه من محسن طباطبائي الحكيم المرجع الأعلى للـــشيعة آنذاك المقيم في النجف " ... أن ظروف التأسيس انطلقت من جو الحوزة، وفي محيطهـــا .

وربما تحركت الاندفاعة الأولى للتنظيم من خلال هذا المحيط وجو المرجعية المتمثل آنـذاك بآية الله السيد محسن الحكيم"[٣٢٨] .

آية الله العظمى محسن طباطبائي الحكيم (١٨٨٩-١٩٧٠):

السيد محسن طباطبائي الحكيم (الحكيم) هو عميد أسرة فارسية عريقة من أصفهان امتهنـت طب الأعشاب زمن الدولة الصفوية، ومن هنا جاء لقب طباطبائي، واسقط لقبـي اصـفهاني وطباطبائي لاحقا على التوالي فصارعربي اللقب: الحكيم . تتلمذ الحكيم علـى يـد المرجـع الاعلى كاظم يزدي. عاش الحكيم ومات في النجف، ولم يحمل الجنسية العراقية أبدا!.وبالرغم من علاقة الشاه المتوترة مع المرجعية داخل ايران لكن علاقاته بقيت جيدة مع المراجع خارج ايران.فقد كان الحكيم الذي عينه الشاه مرجعا أعلى عام ١٩٦١ مرتبط مع محمد رضا بهلوي في خمسينات وستينات القرن العشرين بعلاقات سياسية واجتماعية قوية.

فقد اصدر الحكيم المتحالف مع الاقطاع وملاك الارض، فتوى في ٩ اذار ١٩٦٠ تحرم على الشيعة الانتماء للحزب الشيوعي "الشيوعية كفر والحاد" في زمن كان النظام الشاهنشاهي رأس حربة لمقاومة المد الشيوعي في المنطقة، وكان حزب تودة الشيوعي معارضا جـديا للـشاه " فأصدر الحكيم الفارسي الاصل فتوى تمنع الشيعة من الانتساب الى الحزب الشيوعي باعتبار الشيوعيين كفار ملاحدة[٣٢٩]. وهناك سبب داخلي عراقي ثان وهو ان قانون الاصلاح الزراعي لعام ١٩٥٩ الذي اصدره عبد الكريم قاسم الرئيس العراقي يومئذ والمتعاون مع الشيوعيين، حرم المرجعية من اموال الخمس التي يدفعها حليفها الاقطاع .

كما أصدر في ١٩٦٤ فتوى ما يفتأ يـذكرها القائـد الكـردي جـلال الطالبـاني الـرئيس العراقي(٢٠٠٦-)،تحرم على الجنود العراقيين مقاومة التمرد الكردي المسلح الـذي كـان يدعمه الشاه "إن الشعب الكردي عموما، والاتحاد الوطني الكردستاني خصوصا، يحمل فـي قلبه آيات الاحترام والتقدير لعائلة الحكيم الكريمة . فلسماحة المرجع السيد محـسن الحكـيم (رض) موقف خاص من الشعب الكردي، إذ أفتى حينه بعدم جواز مقاتلة الشعب الكردي "[٣٣٠] .
وغني عن القول أن هدف الفتوى سياسي واضح: فقد كانت الحكومة المركزية في بغداد على علاقة توتر مع طهران الداعمة للتمرد الكردي في شمال العراق، فلم تكـن الفتـوى إسـنادا للأكراد! فالأكراد عانوا، ولايزالون، يعانون حرمانا من أبسط حقوقهم القومية في إيران . وقد انهار التمرد الكردي حال توقيع اتفاقية تقسيم شط العرب بين شاه إيران محمد رضا بهلـوي ونائب رئيس الجمهورية العراقي آنذاك صدام حسين في ٦ /٣/ ١٩٧٥.

وعلى صعيد العلاقات الاجتماعية مع حكام إيران المختلفين : كانت إحـدى بنـات محـسن الحكيم زوجة لاحد أركان بلاط الشاه وهو السيد ابراهيم طبطبائي يزدي[٣٣١] وتزوجت ابنتـه الأخرى من هادي خامنئي شقيق مرشد الثورة الإيرانية الحالي علي خـامنئي[٣٣٢] . وللحكـيم اولاد كثيرون، منهم : مهدي و محمد باقر وعبد العزيز ومن الأحفاد عمار الحكيم نجل عبـد العزيز، القيادي في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والذي بقي يحمـل الجنـسية الإيرانية حتى عام ٢٠٠٧ عندما قررت حكومة الاحتلال الرابعة في العراق والتـي يقودهـا

---

328 - رؤوف- أ- ٢٠٠٦ : ٢٠٢ .

329 - Sluglett & Sluglett 1990 :195 .

330 - رؤوف-أ-٢٠٠٦ : ٣٢٨-٣٢٩.

331 - رؤوف -ب -٢٠٠٦ :٥٤١ .

332 - ROY.O.1999 :187 .

حزبه منحه الجنسية العراقية[٣٣٣] . توفي الحكيم في ١٩٧٠ فأقام له الشاه مجلس فاتحة لمدة ثلاثة أيام، يستقبل خلالها شخصيا المعزين بوفاته .

حزب الدعوة والحرب الإيرانية على العراق:

كان حزب الدعوة قبل الثورة الإيرانية يدعو إلى نظام الشورى " إلا انه وبعد الثورة الإيرانية ١٩٧٩ تحول من الشورى لصالح نظرية (ولاية الفقيه). ولكن لما رأى أن هذه النظرية لا تنسجم مع طبيعة المجتمع العراقي تحول منها إلى شكل آخر يدمج بين الشورى وولاية الفقيه"[٣٣٤] .

بالإضافة إلى مواقفه الدعائية المؤيدة لإيران، حارب حزب الدعوة ضد العراق إبان الحرب الإيرانية– العراقية ، فـ"بالإضافة إلى المواقف النظرية، فلقد قاتل عناصر الحزب مع الدولة الإسلامية في إيران في صراعها الذي خاضته مع أعدائها"[٣٣٥]. ففي حوار جرى في بيت خميني عام ١٩٨٠ بين حسن شبّر القيادي في حزب الدعوة والسيد محمد بنجنوري أحد القادة الإيرانيين يبين فيه وقوف الحزب مع الإيرانيين في حربهم ضد العراق.

قال بنجنوري: " إن بعض العراقيين المؤمنين يقفون الان مع **إخوانهم** الإيرانيين في خندق واحد ضد العراق!

فقال له السيد شبّر :ومن هؤلاء؟

فأجاب البنجنوري: إنهم حزب الدعوة الإسلامية،!

ثم قال :إن الاذاعة العربية في طهران تحسنت الآن كثيرا بعدما كان مستواها منخفضا .

فقال له السيد شبر لماذا كان مستواها منخفضا ولماذا تحسنت؟.

فأجاب: إنها كانت بيد منظمة العمل والان بيد حزب الدعوة "[٣٣٦].

وقد قام الحزب بأعمال ارهابية كثيرة ضد العراق منها : تفجير السفارة العراقية في بيروت في ١٥-١ عام١٩٨١ بعملية انتحارية قام بها المدعو ابو مريم يوم كانت حرب ايران على العراق على أشدها وكان من ضحايا التفجير عشرة من الموظفين والمراجعين بينهم السفير عبد الرزاق لفته وزوجة الشاعرالعربي الكبير نزار قباني السيدة بلقيس الراوي. كما قام الحزب بواسطة الانتحاري المدعو ابو بلال بتفجير وزارة التخطيط العراقية عام ١٩٨٢ . ان الاعمال الارهابية التي قام بها حزب الدعوة والوقوف وبصورة علنية مع ايران اثناء الحرب اضطر الحكومة العراقية الى إتخاذ إجراءات حازمة ضد قيادة الحزب الذين شكلوا طابورا خامسا يهدد أمن العراق.

وبعد الاحتلال الامريكي للعراق قام إبراهيم جعفري قائد حزب الدعوة رئيس وزراء حكومة الاحتلال الثالثة(٢٠٠٥-٢٠٠٦)، باطلاق سراح ٤٠٠ سجين إيراني متهمين بأعمال إرهابية وجرائم قتل لعراقيين، في حين تغص السجون الأمريكية والعراقية بالسجناء العراقيين الابرياء!.

- د. إبراهيم جعفري(جعفري)

جعفري طبيب عراقي من أصول هندية، ويحمل الجنسية البريطانية، قاد حزب الدعوة في الغرب عندما كان معارضا للنظام العراقي. و هوعلى علاقة قرابة بستاني عن طريق

---

[333]- رؤوف-ب- ٢٠٠٦- ملحق ٢٨- :٦٢٦ .

[334] - رؤوف-أ-٢٠٠٦ : ١٩٧.

[335] -المصدر نفسه : ٢١٨ .

[336]- رؤوف ٢٠٠١ : ٤٨٩ -

المصاهرة . ويوصف بانه شكل في فترة ما جسرالتواصل غير المعلن بين المرجعية الشيعية العليا والإدارة الأمريكية. وتكرست الطائفية في زمنه، وتشكلت فرق مـــوت تابعـــة لـــوزارة الداخلية، واختطف عدد من السفراء العرب من بينهم السفير المصري إيهاب نافع وقتله ، ثـــم اختطاف السفير البحريني. كما أدار سجونا سرية للتعذيب، منها سجن الجادرية حيث جـــرى تعذيب ١٧٠ عراقيا حتى الموت. وتم في زمنه تم تفجير قبة مرقد سامراء في ٢/٢٢ /٢٠٠٦ (التابع للوقف السني) . كما يعرف عنه دعمه للتيار الصدري وجيش المهدي)[337] .

- أما نوري المالكي(المالكي)

المالكي هو الامين العام لحزب الدعوة، رئيس الحكومة الحالية في العراق (٢٠٠٦ –) وهو أشد ولاءاً لخامنئي من قائده محمد باقر الصدر لخميني . ففي زيارة له الـــى طهـــران فـــي حزيران ٢٠٠٨ قام المالكي بلقاء خامنئي فخلع ربطة عنقه الباريسة متيمننا بالايرانيين وغيب العلم العراقي في هذا اللقاء مخالفا البرتوكولات الدولية لزيارة الرؤوساء، فظهر وكأنه مريـــد في حضرة سيده. ولتأكيد ولاءه العميق لايران فإن المالكي لايستخدم العراقيين فـــي تنقلاتـــه الدولية جوا وانما طاقما ايرانيا فعند زيارته لواشنطن في ٢٢ تمـــوز ٢٠٠٩ للقـــاء الـــرئيس الامريكي أوباما، احتجزت السلطات الامريكية الطاقم الايراني للطائرة التي اقلته للتحقيق معهم باعتبارهم غرباء عن زائر ضيف هو المسؤول الأول لبلد آخر هو العراق، حيـــث لايـــدرك الأمريكي وأي طالب مبتدأ في العلاقات الدولية، الاسباب التي تدعو رئـــيس وزراء العـــراق استخدام طاقم ايراني في تنقلاته بدل العراقي !.

ولشدة الولاء الخالص الذي يكنه الحزب لايران، وصف خامنئي في معرض تقييمه للحـــزب بقوله: " إن حزب الدعوة هو أفضل حزب عرفته في حياتي "[338] .

المالكي بدون ربطة العنق في حضرة خامنئي والعلم الايراني فقط.

[337] http://www.algazeera.net/nr/exeres/5AD2511D-3C8A-4EIC-8B2D-42132BE16869

[338] - رؤوف–أ ٢٠٠٦ هامش :٢٢١).

٢- المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق ، وفيلق بدر:

تشكل " المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق" (المجلس) في إيران ليكون إطارا جامعا للأحزاب الموالية لإيران في العراق . ففي ١٧ /١١/ ١٩٨٢ أعلن نجل محسن طباطبائي الحكيم : آية الله العظمى محمد باقر(١٩٤٢-٢٠٠٣)، عن تشكيل المجلس ليكون إطارا جامعا لكل الناشطين السياسيين الموالين لإيران . وقد ضم في جبهته حزب الدعوة ومنظمة العمل الإسلامي وجند الإمام وحركة المجاهدين و حزب الله في العراق، وغيرهم.

تأسس المجلس إبان الحرب الإيرانية-العراقية، خصوصا بعد ظهور موقف حربي إيجابي لصالح إيران في عام ١٩٨٢ . فتأسيسه لم يكن تأسيسا وطنيا عراقيا فـ "المجلس أسس دون حسابات كافية لحساسية العراق، ولم يستوعب ما يكفي من العاملين الذين لهم تجربة واقعية في العمل . كما أنه لم يدرس خصائص الشعب العراقي والحركة الإسلامية في العراق، وبالتالي فانه لم يكن إنباتا طبيعيا"[٣٣٩]. ويجهض أكرم الحكيم، أحد قياديي المجلس ولاء المجلس للعراق، عندما تحدث عن حاجة العراق لمثل هذا المجلس ووصفه القوات الايرانية بالقوات المحررة " .... خاصة بعد تصاعد احتمال تحرير مناطق عراقية واسعة من قبل القوات الإيرانية، وأهمية وجود مؤسسة سياسية جهادية تقود فعاليات الإسلاميين العراقيين! "[٣٤٠].

اضافة الى رئيسه محمد باقر طباطبائي الحكيم فقد ضم المجلس عند التأسيس كلا من " ☻ محمود هاشمي ☻حسين الصدر ☻محمد باقر ناصري ☻كاظم حائري ☻عزيز الحكيم ☻محمد تقي مدرسي ☻ محمد آصفي ☻ جواد الخالصي ☻أكرم الحكيم ☻ علي الموسوي ☻ أبو أحمد جعفري(إبراهيم جعفري) ☻ صالح أديب ☻ حسن فرج الله ☻شهاب أبو حيدر"[٣٤١] .

وتشمل قائمة المؤسسين الفرس، بالإضافة إلى ولدي الحكيم، كلا من : محمود هاشمي، ومحمد تقي مدرسي، وكاظم حائري، ومحمد آصفي. وكلهم تبوأوا مواقع قيادية في المجلس ، فمثلا أصبح محمود هاشمي رئيسا للمجلس قبل أن يتولى رئاسته محمد باقر الحكيم.

- أما مدرسي فهو من عائلة شيرازية معروفة بعلاقاتها الوطيدة مع شاهات إيران "وهو رئيس مجلس التنسيق العالمي لفروع حزب الله في العالم، ومقره طهران . يساعده معمم إيراني رسمي هو حجة الإسلام هادي غفاري"[٣٤٢].
- وقد علمنا أن كاظم حائري ومحد آصفي كانا من قادة حزب الدعوة.

فالمجلس تأسس بدعم إيراني، وتهيمن على قراره السياسي إيران من خلال دعمه ماليا وسياسيا "لقد قامت القيادة الاسلامية في إيران بدعم الإسلاميين العراقيين، ماديا ومعنويا، وحاولت توحيدهم عبر المجلس الأعلى التي ساهمت في ولادته وتركت بعض بصماتها عليه"[٣٤٣] . وعند انعطاف مسار الحرب لصالح إيران، ولدعم موقفه السياسي في العراق، وضع محمد باقر الحكيم استراتيجيته على أساس انتصار إيران في الحرب، حتى أنه عدّ الأراضي

---

339 - رؤوف-أ-٢٠٠٦ :٣٠٩ .
340 - الناهي٢٠٠٢ : ٢٧٩ .
341 -- JABAR.F.2003 table 14-1 :239-240
342 - . Richard Y.1995 :134
343 - رؤوف-أ-٢٠٠٦ : ٣١٥ .

العراقية المحتلة من قبل إيران أراض عراقية محررة! "عندما احتل الإيرانيون بمساعدة حلفائهم الأكراد- حاج عمران- وهي قرية صغيرة في شمال العراق على الحدود العراقية الإيرانية في عام ١٩٨٣ زارها محمد باقر الحكيم رئيس المجلس وعدّها أرضا عراقية محررة"[٣٤٤]. كما أسندت إيران المجلس بالمال : ففي عام ١٩٩٠ "رصد هاشمي رفسنجاني مبلغ ثمانية ملايين دولار سنويا لميزانية المجلس الأعلى من ميزانية حرس الثورة الإيراني"[٣٤٥] .

يؤمن المجلس بحماس كبير بنظرية ولاية الفقيه التي جاء بها خميني .و يتبنى المظلومية التاريخية المصنوعة كبرنامج سياسي له .

المظلومية: البرنامج السياسي للمجلس:

تبنى المجلس، وحزب الدعوة خطابا سياسيا طائفيا يؤكد على مظلومية الشيعة التاريخية التي هي أحد اهم أعمدة التشيع الدخيل. التي جاءت مطابقة تماما لسياسة مابعد الحداثة، التي تتبناها الادارات الغربية تجاه العالم الاسلامي، والتي تسعى الى تفتيت العالم الاسلامي وتمزيقه عى اسس طائفية وعنصرية واثنية، فقد قدم (غراهام فولر) وهو مسؤول سابق بالاستخبارات الأمريكية وبمساعدة الباحثة الأمريكية عراقية الأصل (رند رحيم فرانكي)، بحثا بعنوان (الشيعة العرب :المسلمون المنسيون) تم فيه طرح مفهوم المظلومية الشيعية السياسية في العراق[٣٤٦].لذا ظل حزب الدعوة والمجلس يتبنيان الخطاب السياسي الطائفي المتمثل في المظلومية بعد استلامهما السلطة في العراق، حتى خلص الدكتور الحسيني في بحثه (الشيعة والحكم في الدولة العراقية الحديثة)" إلى أن الأحزاب الشيعية الكبرى، وهي كل من المجلس الأعلى وحزب الدعوة ، قد تخليا عن المضامين الفكرية الداعية إلى إقامة الدولة والحكومة الإسلامية، وتحولا إلى الدعوة إلى المظلومية (مظلومية الشيعة) وقد تحولا من حزب أو حركة ترفض الطائفية ولو ظاهريا إلى تجمع طائفي . فقد بدأ المجلس الأعلى بالدعوة إلى مفهوم المظلومية بعد حرب الكويت، وأما حزب الدعوة فقد تبناها بعد احتلال العراق "[٣٤٧].

وأسس المجلس –تأكيدا للمظلومية- منظمة عالمية أسماها "المنظمة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان للدفاع عن الإمامية" . وكان من بين مسؤوليها د. صلاح الخطيب. كما ضمن المجلس هذه المظلومية في مباديء الدستور الصادر في مؤتمر لندن للمعارضة العراقية المنعقد في ديسمبر٢٠٠٢ . وللدفاع عن هذه المظلومية، أنشأ ميلشيات مسلحة تابعة للمرجعية بتدريب وتمويل وإسناد إيراني أسماها " فيلق بدر".

فيلق بدر:

فيلق بدر(الفيلق) هو الذراع العسكري للمجلس . وهو ميليشيات مسلحة ومجاميع إغتيال تشكلت في إيران من عراقيين وأسرى حرب عراقيين، وتوابي الحكيم، ولكن بقيادة إيرانية، " فبالرغم من ادعاء المجلس بأن فيلق بدر منظمة عراقية، لكن قواته كانت تحت القيادة الإيرانية"[٣٤٨]. تناوب على قيادة الفيلق : حرس الثورة، وضباط مخابرات، وعسكريون

---

[344] - JABAR.F. 2003 :253

[345] - الناهي٢٠٠٢ : ٣٠٦ .

[346] - كمال وآخرون٢٠٠٦ :٣٦٠ .

[347] - المصدر نفسه :٣٦١ .

[348] - JABAR.F.2003 : 253

إيرانيون. فقد شغل رئاسة أركان الفيلق إسماعيل دقائقي أحد الأعمدة المهمة في قيادة حرس الثورة يساعده فريدون جوبان الملحق العسكري الإيراني في العراق منذ ايلول ١٩٩٠ ولغاية شباط ١٩٩٤.وبعد مقتل دقائقي خلفه ضياء الدين شمس، الذي يعمل في الاطلاعات الإيرانية، وشارك في اغتيال قاسملو الزعيم الكردي المعروف في ألمانيا . وسبقهم علي قرباني أحد آمري الحرس الثوري قائدا لقوات الفيلق . كما كان في الفيلق ممثل للخميني وهومحسن أراكي[٣٤٩].

وتقوم هيئة التعبئة للمستضعفين الإيرانية بالإشراف على تطوع وحدات الباسيج الإيرانية والفيلق ." وتقوم هذه الهيئة بإرسال برقيات التعزية إلى داخل العراق أو إلى العوائل العراقية في إيران تخبرهم : باستشهاد أبنائهم. ومن دون الرجوع إلى فيلق بدر. وكمثال لهذه البرقيات هذا النص المنشور في جريدة طريق الثورة : نهنئكم (حركة الجماهير المسلمة) على استشهاد اربعة من الاخوة الابطال من حركتكم السياسية العسكرية ... في معركة استرجاع تلال بازي درازا "[٣٥٠]. ويفخر الفيلق بأعمال تخريبية قام بها أثناء الحرب الإيرانية–العراقية ضد مؤسسات الدولة العراقية والجيش العراقي ، فـ "طبقا لمصادر المجلس فقد أوقعوا إصابات كبيرة وخسائر فادحة بنظام البعث من خلال أعمال **تخريبية** بطولية"[٣٥١].

وقد شارك الفيلق في الحرب الإيرانية– العراقية ضد العراق جنبا إلى جنب مع الجيش الايراني، وأصبح جزءا من الحرس الثوري الإيراني الجناح الثاني للقوات المسلحة الإيرانية. قامت القوات الإيرانية بتدريب وتسليح ونشر هذه القوات لقتال العراق على طول خطوط الجبهة الإيرانية اثناء الحرب .وكان هناك تنسيق وتعاون وثيق بين الفيلق والحرس الثوري الإيراني أثناء التمرد المسلح في جنوب العراق في آذار/مارس ١٩٩١ أثناء انسحاب الجيش العراقي بعد حرب الخليج الثانية مباشرة .

أهملت الولايات المتحدة المناشدات التي أطلقها على شاشة محطة الـ بي بي سي البريطانية حليفها موفق الربيعي، احد قادة حزب الدعوة في لندن في ١٩٩١/٣/١٠ ، والتي تدعو إلى مساعدة التمرد باستخدام طائرات الهليكوبتر الامريكية ضد الجيش العراقي، لكن الولايات المتحدة قررت "تحييد" البلد المهزوم وأحاطته بنظام صارم من الحصار الاقتصادي على ان يبقى تحت سيطرة صدام حسين– ذلك الديكتاتور الذي اعتبر خيرا من القفز في المجهول في حينه "[٣٥٢].

وهناك أسبابا كثيرة أخرى أدت الى إضعاف التمرد، ومن ثم فشله، منها:

- الفظائع والفوضى العارمة والدمار الذي قام به التمرد والتي هددت وحدة العراق بصورة جدية.
- أدخال الرعب والخوف في قلوب الناس بالوحشية التي مارسها الفيلق.
- غياب الخدمات بعد تدميرها وسلبها، ونقل المعدات الثقيلة إلى إيران، ورمي الحبوب والدواء في الانهار حتى توقفت الحياة .

---

[349] -الناهي٢٠٠٢ : ٢٨٤–٣٠٤ .
[350] - JABAR.F.2003 :253
[351] - PISCATON J.199 : 35 -. .
[352] - كيبل٢٠٠٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥ .

- خوف الناس عما يحمله المستقبل المجهول.

وبعدم أدراكه فشل التمرد المسلح المخيف وصفه قائده المرجع أبو القاسم خوئي "بالحركة الغوغائية"، فقال بعد سحقه وهو يخاطب الرئيس العراقي الراحل صدام حسين على شاشة التلفزيون في نهاية آذار/مايس ١٩٩١ : "شكرا لله تعالى أنك تمكنت من إخماد هذه الفتنة"!.

قرر قادة الاحزاب الطائفية، بعد الإحباط واليأس الذي أصابها جراء انهاء التمرد الفوضوي وبسرعة في الجنوب العراقي، تشكيل معارضة ضد النظام العراقي خارج العراق. ومن العوامل الاخرى التي قد أسهمت في تشكيل معارضة الخارج :

١- ضعف سلطة العراق المركزية بعد حرب أمريكا وحلفائها على العراق (حرب الخليج الثانية).
٢- الحصار الاقتصادي الظالم الذي فرضته بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية على العراق عام ١٩٩٠ .
٣ - "الحملة الإيمانية" التي أطلقها الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، التي هددت العكازة الدينية، لأهم فصائل المعارضة.
لكل هذه الاسباب قررت القيادات الخروج إلى الغرب لقيادة المعارضة هناك، بالتعاون والتنسيق مع إدارات الدول الغربية وأجهزة مخابراتها . وكان المجلس مع حزب االدعوة أكبر مكونات المعارضة التي اتخذت من أمريكا وأوربا وبعض دول الجوار العراقي كسوريا وإيران مقرات لها .

المعارضة العراقية- حلف مع الغرب وولاء لإيران:

كانت المعارضة العراقية(المعارضة) ضعيفة جدا، وغير معروفة عند العراقيين وليس لها قاعدة ولاأثر بين أبناء الشعب العراقي. والاخطر ان اكثر قياداتها، من المبتعثين من حكومة العراق للتحصيل العلمي والاكاديمي، وبدل الوفاء بالعقد والرجوع الى الوطن وتعليم ابناء الوطن من المهارات والعلوم التي اكتسبتها، آثرت البقاء في الغرب فصارت الغالبية العظمى من أعضائها تحمل جنسيات الدول الغربية التي تعيش فيها، وترتزق على المساعدات الحكومية لهذه الدول، ولم تعان ماعاناه الشعب العراقي خلال الحروب المتعددة والحصار الاقتصادي القاسي الذي فرضته أمريكا وبريطانيا على العراق.

وكان الأكثر شؤما في ولادة المعارضة أنها هجينة في تشكيلها وأفكارها والداعمين لها:

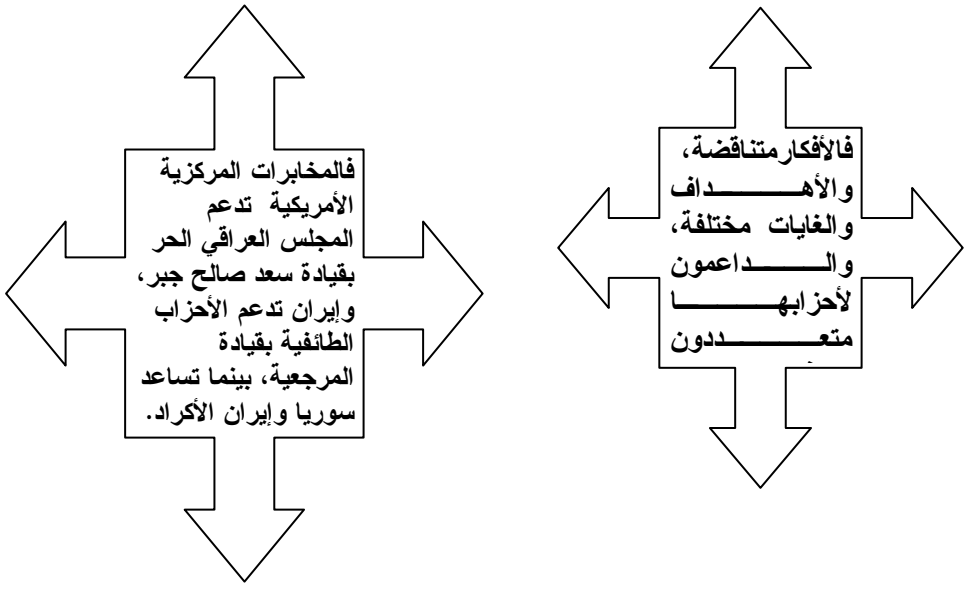

وقد تبنت المعارضة في الخارج، نفس سياسات الإدارات الغربية، المتمثلة في:

- إدامة الحصار الظالم على العراق وأهله، والذي استمر مدة ١٣ سنة عجاف،
- تأييد نظام الفدرالية التقسيمي،
- رفع الشعار الطائفي العنصري(سياسة مابعد الحداثة) في الخطاب السياسي.

وعدّ المجلس الأعلى ومنظمة العمل الإسلامي أن من إنجازاتهما :" المناطق الآمنة " التي فرضتها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على العراق عام ١٩٩٢، والتي تقوم على تقسيم خطوط العرض في العراق.وقد طالب محمد تقي مدرسي رئيس "منظمة العمل الاسلامي" بزيادتها وجعل كربلاء منطقة آمنة كذلك.

إن هذه السياسات المدمرة المطابقة لما تريده الادارات الغربية، تؤكد عدم ولاء المعارضة للعراق، ولاتبالي بتهديد أمنه وأستقراره، حتى قال حسن العلوي عنها: " أن ما يسمى بالمناطق الآمنة، حتى ولو تم التفاهم فيها وطنيا، فجوارنا العربي لا يمكن ان يساهم فيها.ولم تقف القوى العربية ضد المعارضة العراقية إلا بعد ظهور المناطق الآمنة، وتأييد المناطق الآمنة والحصار والدعوة إليها. فلقد أضرت بنا هذه الدعوة كثيرا لدى الدول العربية والشارع العربي.إن هذه المسألة تفقدنا وطنيتنا وتؤثر على سمعتنا"[٣٥٣].

نظمت المعارضة الموالية للغرب، سلسلة لقاءات ومؤتمرات لإسقاط الحكومة العراقية في بغداد، ووعدت بتطبيق السياسات الغربية أعلاه إذا استلمت الحكم في العراق.

١- مؤتمر بيروت ١٩٩١ م

فبعد انتهاء حرب الخليج الثانية مباشرة وفي ١٣/٣ /١٩٩١ توافد المئات من المعارضين العراقيين إلى مؤتمر بيروت، الذي شهد انقساما حادا فاضحا في سياساتهم ورؤاهم وأفكارهم، حتى اختلف المؤتمرون على نطق البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) عند افتتاح المؤتمر!.

٢- مؤتمر فينا ١٩٩٢ م

وفي ١٩٩٢/٦/١٦ انعقد " مؤتمر فينا " الذي نظمه حليف الإدارة الأمريكية أحمد الجلبي رئيس المؤتمر العراقي . وكان من نتائج هذا المؤتمر: توسيع الاختلاف العرقي والطائفي بين المجتمعين والمطالبة بنسب محددة لكل فصيل منهم. وبعد جدل ونقاش طويلين توصلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر" إلى اتفاق غير مكتوب على توزيع نسب التمثيل في المؤتمر على النحو الآتي:[٣٥٤]

التيار الإسلامي الشيعي ٣٥،٣ %.	الديمقراطيون والليبراليون والمستقلون ٣٥،٣ %.
الأكراد ٢٣،٥ %	التركمان ١،٥ %.

٣- مؤتمر صلاح الدين ١٩٩٢ م

[353] - رؤف-أ-٢٠٠٦ : ٣٣٣-٣٣٤ .
[354] - الشمراني ٢٠٠٣ :٢٩٣-٢٩٤ .

وفي تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٢ انعقد " مؤتمر صلاح الدين " الذي كان امتدادا لمؤتمر فينا. وقد موّلت هذا المؤتمر الإدارة الأمريكية من خلال الجلبي أيضا، والذي بدا وكأنه صاحب القرار الوحيد فيه يساعده ضابط المخابرات المركزية الأمريكية روبرت بير " وكان من نتائج المؤتمر تشكيل جناح عسكري للإطاحة بنظام صدام يتخذ من شمال العراق قاعدة له. لم يدم وجود الجناح العسكري طويلا، فقد دخل الجيش العراقي أربيل مقر القائد الكردي مسعود البارزاني في آب/أغسطس ١٩٩٦ وقتل مئات من الجناح العسكري للمؤتمرالوطني العراقي ونقل الآلاف جوا إلى أمريكا[٣٥٥].

٤– مؤتمر لندن ٢٠٠٢ م

وهو أهم المؤتمرات كلها المنعقد في كانون أول/ديسمبر عام ٢٠٠٢ قبل احتلال العراق بثلاثة أشهر برعاية المبعوث الأمريكي زلماي خليل زاد تحت شعار:

" إنقاذ العراق وتحقيق الديمقراطية"

وقد تبنى المؤتمر، الذي ترأس اللجنة التحضيرية له عبد العزيز الحكيم " دستورا يؤكد على جملة مباديء، من بينها أن العراق دولة ديمقراطية فيدرالية يحكمها القانون. كما أكد المؤتمر على المظلومية التي تعرضت لها الطائفة الشيعية في جنوب العراق أثناء فترة حكم صدام حسين .

كانت المعارضة العراقية خليطا فريدا في تشكيلها = أفكار متباينة + أهداف مختلفة +إسناد إقليمي متنافر ، " ولكن أهم مجموعات المعارضة هي المجموعات المدعومة من إيران، حيث ألحت على أن يكون لها دور رئيسي في عراق ما بعد صدام. وقد شكل الشيعة حلفا قويا لتحقيق هذا المطلب، فصار واضحا أنهم ميزوا أنفسهم عن الآخرين من علمانيين وغير شيعة[٣٥٦]. الذي جاء متناغما مع سياسات إيران على مر العصور في التدخل في الشؤون الداخلية للعراق، فدعمت الأحزاب الشيعية الموالية لها فهي تراهن على إيجاد دولة خاضعة وحكومة دمية عاجزة، تنظر إليها للإلهام والتوجيه.

وقد لعب المجلس دورا قياديا في تحديد العلاقة مع الغرب، ومهد لهذا الدور مع الأمريكان شقيق محمد باقر: مهدي محسن الحكيم عقب الثورة الإيرانية مباشرة. فقد ذكرالأستاذ سامي فرج في مقالته في صحيفة المسار بتاريخ ١٩٨٦/١/٣٠ "لقد نشرت مطبوعة حزب الأمة الصهيوني مقالة عن مجلة أمريكية جاء فيها أن السيد مهدي، إلى جانب اللواء فاضل عساف وسعد صالح جبر، قد اتصلوا عقب الثورة الإسلامية في إيران بمستشار ريجان لشؤون الأمن القومي أي بالمسؤول عن المخابرات الأمريكية"[٣٥٧]. ولم ينف هذه الواقعة مهدي الحكيم نفسه ، الذي قتل في الخرطوم عام ١٩٨٩ تلاحقه تهمة العمالة للمخابرات المركزية الأمريكية .

وأما الناشطون في ترتيب العلاقة مع الغرب وخصوصا الامريكان فهم:

- حامد البياتي مسؤول العلاقات الخاجية للمجلس في لندن، الذي اجرى اتصالات جادة مع الدبلوماسية الامريكية في عهد ادارة كلنتون، بعدما غير المجلس سياسته من عدم

---

[355] - ALDOURI.F.2006 :69

[356] -المصدر نفسه :٦٨ و ٧١ .

[357] - رؤوف٢٠٠١ : ٥٠٨ .

الحضور تماما الى المشاركة الفعالة خصوصا بعد انتخاب الاصلاحي محمد خـــاتمي رئيسا ايران وصدور قانون تحرير العراق ١٩٩٨ .

- د. موفق الربيعي[٣٥٨]– الإيراني الأصل– والذي ترك حزب الدعوة وقدم نفسه في لندن على انه اسلامي ديمقراطي مستقل. صار الربيعي ضابط الارتباط بـــين الأحـــزاب الطائفية والإدارة الغربية بعد حرب الخليج الثانية. وبالفعل قاد الربيعـــي الاتـــصالات الرسمية الأولى بين الجماعات الشيعية والأمريكيين في مارس /أذار ١٩٩٢ الذي توج بلقاء في واشنطن مع وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر. كان الوفد الذي رأسه عبد العزيز الحكيم والذي التقى بيكر مؤلفا من شخصيات كثيرة بينها محمد بحـــر العلـــوم العضو في مجلس الحكم السابق، وعزت الشابندر، ورجل الدين الراحـــل مـــصطفى جمال الدين وآخرين.

٣- منظمة العمل الاسلامي:

منظمة العمل الاسلامي (المنظمة) أسستها عائلة فارسية من شيراز تتخذ من كربلاء العراقية مقرا لها. بدأ تأسيس المنظمة مبكرا بأسماء وعناوين مختلفة منها" الحركة المرجعية "و "طلائع الرساليين" وغيرها حتى اخذت اسمها الحالي عام ١٩٨٢، ومن قادتها ☻ السيد حسن شيرازي و ☻محمد شيرازي أولاد مهدي مير شيرازي وابنا أختيهما ☻محمد تقي مدرسي و ☻أخوه هادي مدرسي.

ويرجع نسب هؤلاء القادة تاريخيا إلى جدهم الأعلى محمد ميرزا حسن شيرازي الذي سكن سامراء وتوفي في النجف عام ١٨٩٥، وجدهم المباشر محمد تقي شيرازي المرجع الأعلـــى المتوفي عام ١٩٢٠.

لقد ☻منح مير مهدي شيرازي نفسه فجأة لقب" سيد" لقاء خدماته الكبيرة للاســـرة البهلويـــة وادعى المرجعية منافسا مرجعية محسن الحكيم في النجف عام ١٩٦٥ " .كانت هذه العائلـــة الشيرازية مدعومة بقوة من شاه إيران، للقيام بنشاط استخباري داخل العراق تحت واجهـــات ثقافية وخيرية مختلفة مثل الجمعية الإسلامية الخيرية التي تأسست ١٩٦٢ برئاسة الايرانـــي مرتضى قزويني." لقد دعم الشاه بكل ماأعطي من قوة تلك المنظمة التي كانت تتخذ من عنوان مكتبة الشيرازي غطاءا لها ، مما مكنها من فتح مؤسسات متفرعة بعضها ذات طابع ثقـــافي متأبط باالسياسة في تموز/يوليو عام ١٩٦٦ "[٣٥٩].مما اضطر الحكومة العراقية حفاظا على أمن بلدها، ومنعا للنشاط الاستخابري المعادي، والتدخل في شؤونها الداخلية، إلى طرد الشيرازيين "فغادر كل من الشيخين محمد مهدي الشيرازي وأخوه حسن الشيرازي إلى الكويت في ٩/٤/ ١٩٧١، بعد أن أبرق لهم الشاه على يد ضابط المخابرات الإيراني علي أمير غلام أغا"[٣٦٠] .

ويعود تاريخ تأسيس المنظمة في العراق باسمها الحالي إلى ما بعد الثورة الإيرانية . وكـــان آية الله العظمى محمد تقي مدرسي شيرازي أول أمين عام لها، وهو رئيس مجلـــس التنـــسيق العالمي لفروع حزب الله في العالم ومقره طهران .

---

358 أصبح الربيعي مستشلرا للأمن القومي للعراق بعد الأحتلال الامريكي وبعقد مع سلطة الاحتلال مباشرة لمدة خمس سنوات!.

359- الناهي ٢٠٠٢ :٢٧٣ .

360 - المصدر نفسه :٢٧٤ .

يعتمد برنامج المنظمة السياسي على أعمدة محددة مهمة:

أولاها النزعة الفارسية المتطرفة،
وثانيها عدم الإيمان بالحزبية،
وأن القيادة للولي الفقيه.

تتبنى المنظمة بشدة **المظلومية التاريخية** التي تعدها، كالمجلس الأعلى، من أهم مرتكزات الخطاب السياسي الناجح والتعبئة النفسية للجماهير في **مجالس العزاء** وفي أشد صوره عنفا وهو التطبير وضرب الزنجيل. وهي صاحبة سياسة المبالغة الشديدة للاعداد المعروفة : " **النظرية المليونية** " .

وبالرغم من التنظيم الحزبي الدقيق الذي تمارسه المنظمة، إلا الاسم، فإنها ترفض التنظيم الحزبي وتعتبره فكرة ديمقراطية غربية . وهي ممن ساهم في وضع الشكل الاستبدادي التسلطي لنظرية ولاية الفقية التي تعطي الفقيه الشيعي حقا إلهيا، وتجعل منه سلطة مطلقة لايمكن الرد عليها فضلا عن تجاوزها . يقول حسن شيرازي" إن الأحزاب الاسلامية في شكلها الحالي، هي نسخة طبق الأصل لحركات الأحزاب الديمقراطية في العالم الحر(الغرب) . نحن نرفض هذا. وعلى الجانب الآخر فالنموذج الفردي غير فعال . إن الحل الوحيد هو حركة يقودها الفقهاء، حيث تتكون من ثلاثة عناصر:القمة هم الفقهاء، والجهاز ، والقاعدة"[٣٦١]. يتحدث شيرازي عن قيادة فردية للفقيه، رغم استخدامه صيغة الجمع :

فالمرجعية = مرجعية شخصية فردية ولايخرج القرار من يدها مطلقا.
والجهاز = الوكلاء الذين يربطون الناس بالمرجع ،
والقاعدة = المقلدون.

والمنظمة هي أحد أذرع الثورة الإيرانية في تصدير ثورتها إلى العراق. "ان المنظمة اندكت بالتجربة الاسلامية الايرانية اندكاكا كبيرا في مرحلة ما بعد الانتصار. ربما بطريقة مغايرة عن سواها من الحركات. وانعكس هذا الاندكاك القوي على الفكر السياسي للمنظمة ومجمل نشاطاتها، وحتى أسماء كوادرها الحركية حيث أخذت نسق الأسماء الإيرانية"[٣٦٢]. واندمجت كوادر المنظمة مع الثورة الإيرانية كليا، وتسلمت مراكز قيادية فيها، " فإن ذوبان الكثير من أفراد الحركة في التيار السياسي للثورة أدى إلى ما يمكن اعتباره ازدواجية الانتماء نفسيا وموضوعيا. ومع قوة وتفوق الزخم السياسي للثورة باعتبار ضخامتها وشموليتها، فإن الانتماء المزدوج أصبح يميل بصورة ملحوظة تجاه المزيد من الانتماء للثورة "وبعيد انتصار الثورة الإيرانية " تبنت المنظمة، في النصف الأول من العام١٩٧٩ مشروع القسم العربي في إذاعة الجمهورية الإسلامية في إيران ، والذي لعب دورا بارزا وحيويا في تأجيج روح الثورة والتحدي عند أبناء الشعب العراقي عبر برامج تربوية وثورية كانت تبث على مدى الاربع والعشرين ساعة في اليوم. كذلك تبنيها لإذاعة عبادان العربية والقسم العربي في تلفزيون الجمهورية الإسلامية في إيران"[٣٦٣].

ويدعو أمينها العام مدرسي إلى وحدة اندماجية بين العراق وإيران اذا سيطر على السلطة في بغداد فيقول : " إني اعتقد بأن الوحدة الاندماجية هي الخيار الأمثل لتكامل البلدين وقدرة

---

[361] - JABAR.F.2003 :218
[362] - رؤوف-أ-٢٠٠٦ : ٢٨٦
[363] - رؤوف-أ-٢٠٠٦ : ٢٨٨ و٢٨٩ .

كل منهما على توفير مستلزمات البقاء لنفسه بحيث لا تكون الوحدة سبيلا لإثقال أحدهما بعبء الآخر، لأن الشعبين في مستوى معيشي واحد تقريبا، ولأنه لايخشى من غبن أو هضم جراء هذه الوحدة، هذا إضافة إلى عناصر التشابه جغرافيا واقتصاديا وثقافيا (الخلفية التاريخية والدينية) " [٣٦٤].

وقد دفعت التربية السياسية التحريضية العنيفة وإشاعة ثقافة الحقد والكراهية التي تتبناها المنظمة، بعض كوادرها للقيام بأعمال إرهابية ضد البلد المضيف العراق ورموز حكمه ومؤسساته المدنية . ففي ١٩٨٠/٤/١ وأثناء الاحتفال بميلاد حزب البعث العربي الاشتراكي برعاية نائب رئيس الوزراء العراق طارق عزيز في الجامعة المستنصرية في بغداد، نفّذ المدعو سمير نور علي عملا إرهابيا مثيرا للتقزز بهجوم على الجامعة المستنصرية أدى الى جرح طارق عزيز ومقتل ١٢ من طلاب الجامعة الابرياء . كما قامت كوادر المنظمة بتفجير دار الحرية للطباعة والنشر، والهجوم على الإذاعة والتلفزيون مما أدى إلى استشهاد أحد جنود حرس المبنى.

والمنظمة شبكة عنكبوتية عالمية لها فروع كثيرة منها : حزب الله في لبنان، وحزب الله في السعودية والبحرين وباقي دول شبه الجزيرة العربية، يديرها الأخوان محمد تقي مدرسي وهادي مدرسي.

تأسست بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣ أحزاب وتيارات كثيرة في العراق لها ارتباطات قوية مع إيران، حيث تدير إيران قسما منها مباشرة. وأما الولي الفقيه لهذه الأحزاب والتيارات كلها فهو من الفرس قطعا. ومن هذه الأحزاب :التيار الصدري وجيش المهدي، وحزب الله، وثأر الله.....الخ.

التيار الصدري وجيش المهدي:

نشأ التيار الصدري(التيار) بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام **٢٠٠٣** بقيادة مقتدى الصدر. وقد بنى مقتدى شهرته السياسية على إرث أبيه، الذي دعمه الرئيس الراحل صدام حسين . وأكثر أتباع مقتدى من فقراء الشيعة، ومن أصول مهاجرة قدمت الى العراق من الشرق. أما مرجع التقليد للتيار فهو كاظم حائري شيرازي المقيم في قم.

اتصف التيار بضعف أدائه السياسي وتذبذبه بين الرفض ومماألأة الاحتلال .كما كان أداة بيد حزب الدعوة الإسلامية، الأكثر خبرة منه، الذي استغله لتحقيق مآرب سياسية . دخل التيارانتخابات كانون أول/ديسمبر ٢٠٠٥ واحتل ٣١ عضوا في مجلس البرلمان العراقي وأصبح له ٦ وزراء في حكومة الاحتلال الرابعة بقيادة نوري المالكي .

للتيارميليشيات مسلحة و " فرق موت " نشأت في تموز/يوليو ٢٠٠٣ م تحت نظر الأمريكيين وتشجيعهم وهي جيش المهدي . ويصف قائده مقتدى أن جيش المهدي "جيش عقائدي" وتعود فكرة إنشائه إلى عقيدة المهدي المنتظر. وهو تحت إمرة المرجعية، في حين يراه سلام المالكي وزير النقل في حكومة جعفري٢٠٠٥ وأحد قادة التيار بأنه جيش ثقافي.

364- الشيخ١٩٨٨ :٢٥ .

تاريخيا تعود فكرة تأسيس هذا الجيش إلى الحرب الإيرانية –العراقية حيث كان يسمى آنذاك " جيش الفجر" الذي تطور إلى فيلق القدس الإيراني.

وعلى طريقة "الحشاشون " الفارسية ارتكب جيش المهدي فظائع وحشية وجرائم مرعبة في القتل والتهجير والتخويف والخطف والسلب والترويع للعراقيين ، خصوصا بعد التفجير المدبر لقبة الإمام العسكري في سامراء في يوم ٢٢/٢/ ٢٠٠٦، تفوق الخيال، بتوجيه وتحريض من الولي الفقيه حائري شيرازي .

وبعد تدهور علاقة مقتدى بالأمريكان وحكومة نوري المالكي في عام ٢٠٠٨ ، جمّد مقتدى نشاط جيش المهدي، ثم غادر العراق إلى مدينة قم الإيرانية، متعذرا برغبته في إتمام دراسته الحوزوية ليأخذ درجة الاجتهاد!.

ويستوجب الدور السياسي الخطير الذي لعبه التيار الصدري، والجرائم التي اقترفتها ميلشياته – جيش المهدي– بحق الشعب العراقي، دراسة خاصة للإحاطة بجميع جوانبه. وسنسعى لكتابتها في كتاب مستقل إذا سمح الوقت والجهد بإذن الله تعالى.

الأحزاب الموالية لإيران تغري الأمريكان بغزو العراق:

دع عنك شعار "الشيطان الأكبر" ، فقد اتخذت المرجعية الفارسية قرارا استراتيجيا بالتحالف مع الأمريكان والغرب: فبعد صدور قانون تحرير العراق في كانون أول/ديسمبر ١٩٩٨ شجعت وحرضت المعارضة العراقية بقيادة المجلس وحزب الدعوة الإدارة الأمريكية على غزو العراق، وأغروهم بأن العراقيين سيستقبلون الغزاة "بالزغاريد وماء الورد". وكان ذلك بعد تبني المعارضة : نظام الفدرالية، وإدامة الحصار، والقبول بالمناطق الآمنة. وقد نجحت المعارضة حقا بهذا الإغراء، ودخلت مع القوات الأمريكية الغازية في نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ ،قادمة من فنادق لندن وباريس وواشنطن وحاناتها، بدون الاتفاق على أرضية مشتركة أو استراتيجية موحدة في كيفية إدارة العراق في ظل الاحتلال.

شاركت المعارضة سابقا، الحاكمة حاليا، في عملية سياسية صاغها الاحتلال على أسس طائفية وعنصرية حادة ورعاها المرجع الأعلى سيستاني: فصارت كل سياسات الأحزاب الطائفية الحاكمة تؤكد على تفريس التشيع، وتتخذ برامج وقرارات، تهدف إلى عزل الشيعة العرب والعراق من محيطهما العربي الإسلامي، وربطهم بإيران.

دخل العراق بهذه السياسة الطائفية/العنصرية فترة مظلمة في تاريخه الحديث : فقد تدمرت الدولة ومرافقها الخدمية والصناعية تدميرا كاملا، مع زيادة حادة في البطالة وشيوع الفقر في واحد من أغنى بلاد العالم، وحصل استقطاب طائفي /عنصري غير مسبوق بين شرائح الشعب العراقي سابقا، مع غياب تام للقانون أدى إلى فوضى عارمة وعنف مرعب ،وجريمة منظمة يديرها المحتل وذراعاه جيش المهدي وفيلق بدر، في السلب والنهب والقتل والتهجير على الهوية لملايين العراقيين.

ان مسؤولية كارثة سقوط بغداد وماتبعها من تداعيات، والفترة المظلمة التي دخلها العراق تقع على مريدي خميني وأتباعه: حزب الدعوة والمجلس الذين تحالفوا مع الإدارة الأمريكية وأغروها بالاحتلال. فهم أصل الكارثة وأس البلاء الذي حاق بالعراق وأهله.

وعندما رأى كيبل – بعد الاحتلال الأمريكي للعراق – وكلاء المراجع الفرس يحيطون باليهودي بول ولفتز أحد أعمدة المحافظين الجدد، نائب وزير الدفاع الامريكي السابق دونالد رامسفيلد في مكتبه في البنتاغون في تموز/يوليو ٢٠٠٣ " كانت دهشته كبيرة لدى رؤيته أعيانا مدنيين ورجال دين شيعة عراقيين يحيطون به (بول ولفتز) في غرفة الجلوس معممين بالكامل وهم يتكلمون العربية بلكنة شرق أوسطية، بدلا من رؤيته عسكريين حليقي الرؤوس ويتحدثون الإنكليزية بلكنة بلاد الغرب الوسطى "[٣٦٥].

سقوط بغداد: عيد ألفرس وتصحيح خطأ التاريخ:

عندما أسس الحاكم المدني للعراق بريمر مجلس الحكم في ٢٠٠٣/٧/١٣ حاول عبد العزيز طباطبائي الحكيم إرسال نائبه عادل عبد المهدي، ليمثله .كما حاول محمد بحر العلوم ميرزا كجك إرسال ابنه ليمثله في مناورة سياسية مكشوفة قد تخرجهما من مأزق التعاون مع الأمريكان مستقبلا. رفض بريمر هذين الطلبين بحزم محذرا إياهما أن" لا يعاد الخطأ المأساوي لعام ١٩٢٠ " مشيرا إلى الثورة العراقية المشهورة بـ"ثورة العشرين" ضد الانكليز إبان احتلالهم للعراق والتي فجرتها القبائل العربية في كل أنحاء العراق.

لقد عدّ"السادة" الفرس ذلك التاريخ المشرف في مقاومة الاحتلال خطأ استراتيجيا، وسقطة تاريخية، يجب أن تمحى ويعتذر منها، فراحوا يتعاونون مع المحتل الأمريكي الجديد حتى جعلوا يوم سقوط بغداد عيدا وطنيا! . ففي اول إجتماع لمجلس الحكم اعلن بحر العلوم قرارين ألاول اعتبار عطلة يوم ثورة ١٧ تموز يوما لاغيا . والثاني اعتبار يوم ٩ /٢٠٠٣/٤(يوم سقوط بغداد) عيدا وطنيا"[٣٦٦] !!.

وبعد فتواه المشؤومة بعدم مقاومة الأمريكان يحث سيستاني الشيعة على التحلي بالاعتدال والتنسيق مع الأمريكان، لئلا يفشلوا ثانية بإقامة دولة طائفية، مثلما فشل كاظم يزدي من قبل. فيصف الكاتب الإيراني الاصل ولي نصر حال الشيعة وموقف سيستاني، بقوله: " واستسلم الشيعة المنهكون والمهزومون للحكم السني في أعقاب الثورة المتهورة (يقصد ثورة العشرين) . تلك الثورة التي طارد شبحها آية الله السيستاني بعد انقضاء ثمانية عقود، فحذر الشيعة من تكرار أخطاء ١٩٢٠ . كما حث على التحلي بالاعتدال خلال وبعد عملية القضاء عسكريا بقيادة الولايات المتحدة الامريكية على نظام صدام حسين، لأنه كان يخشى، إن فعل العكس، أن تسلم الولايات المتحدة وبريطانيا مفاتيح البلاد إلى السنّة وتحبس الشيعة خارج السلطة مرة جديدة مثلما فعل الإنكليز من قبل"[٣٦٧].

أماهادي العامري رئيس منظمة بدر رئيس لجنة الامن في البرلمان فقد ذهب إلى أبعد من ذلك في تأكيد المظلومية التاريخية التي بدأت يوم فتح بلاد فارس في سنة ٢٢ هـ ، واعتبر ٢٠٠٣/٤/٩ يوم تصحيح لهذا التاريخ فقال في ٢٠٠٣/٦/٣٠ أمام حشد من أهالي النجف : " لقد تصحح خطأ تاريخي استمر أربعة عشر قرنا"!. وأثناء ترأسه الدورة الشهرية لمجلس الحكم في العراق لديسمبر ٢٠٠٣ ، طالب الأصفهاني عبد العزيز الحكيم على شاشات التلفزيون في ١٧-١٢-٢٠٠٣ بتعويض إيران مبلغ ١٠٠ بليون دولار بسبب الحرب الايرانية-العراقية ، حتى ظنّ سامعوه أنه رئيس لإيران وليس للعراق . وبعد انتهاء الاجتماع

---

[365] - كيبل٢٠٠٤ :٢٤٠-٢٤١ .

[366] - PREMER.P.2006 :101

[367] -نصر٢٠٠٧ ٨٧ .

التأسيسي السنوي لمنظمة بدر، الواجهة المدنية لفيلق بدر المنعقد في بغـداد صـيف ٢٠٠٥، أبرق رئيسها هادي العامري برقية إلى مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي يجدد فيها الولاء له ولمرجعيته!.

بعد مقتل محمد باقر طباطبائي الحكيم في انفجار سيارة في النجف في آب ٢٠٠٣ خلفه أخوه الأصغر عبد العزيز(١٩٥٠- ٢٠٠٩)[٣٦٨] في رئاسة المجلس، فغيّر اسم المجلس عام ٢٠٠٧ إلى "المجلس الإسلامي العراقي الأعلى" محاولا إعطائه صبغة عراقية وإبعاده عن ارتباطـه بإيران، واتخذ سيستاني مرجعا له، بدل المرشد الحالي للثورة الايرانية خامنئي !.

ولاثارة نعرات البغضاء والعداوات بين أبناء الشعب العراقي وتفتيت وحدة أراضيه روّج عبد العزيز وحزبه مفهوم المظلومية على نطاق شعبي واسع في الجنوب، لتهيئة الظروف للمطالبة بفيدرالية الجنوب وفصله، ليكون حديقة خلفية لإيران. وتأتي هذه المطالب مطابقة لما تريـده الدولة الصهيونية، فـ " إن الترويج لفكرة المظلومية تأتي متزامنة مع مشروع قدمه اثنان من جنرالات إسرائيل، شارون و وايتمان، يتضمن تقسيم الدول العربية الكبرى المجاورة لإسرائيل إلى دول صغيرة على أساس طائفي وديني ضمانا لأمن إسرائيل . فتكون حصة العراق ثلاث دول : سنية، شيعية، كردية"[٣٦٩].

المرجع الأعلى راعي العملية السياسية في ظل الاحتلال:

علي سيستاني :

علي سيستاني(سيستاني) فارسي من مواليد مشهد الإيرانية في آب ١٩٣٠ م . و كـان جـده الأعلى السيد محمد "شيخ الإسلام" في زمن الشاه حسين الصفوي . دخل سيـستاني العـراق خلسة عام ١٩٨٠ أثناء الحرب الإيرانية- العراقية مبعوثا من خميني إلى النجف، وتتلمذ على يد أبي القاسم خوئي ثم خلفه كمرجع أعلى للشيعة بعد وفاة خـوئي عـام ١٩٩٢ . صـار سستاني راعيا للعملية السياسية على حد وصف صهره إبراهيم جعفري في ظـل الاحـتلال الأمريكي للعراق. ورفض سيستاني الجنسية العراقية عندما عرضها عليه مجلس الحكم الذي يشكل ممثلو الاحزاب الشيعة غالبيته ، اعترافا منهم لخدماته الجليلة!.

واذا نجح كاظم يزدي المرجع الاعلى والمجتهدون الفرس معه بفتاواهم التحريمية والتكفيرية في اعاقة مشاركة الشيعة العرب في بناء مؤوسسات الدولة العراقية الفتية(١٩٢١- ٢٠٠٣) بعدما يئسوا-ابان تعاونهم مع المحتل الانكليزي- من انشاء دولة طائفية وعاصمتها النجـف. فان الفارسي سيستاني بعد فتواه المشؤمة بعدم مقاومة القوات الغازية وإصدار اوامره الى كل قياداته الطائفية بالتعاون مع المحتل الامريكي، رعى عملية سياسية سوداء مظلمة دمرت كـل مؤسسات الدولة العراق تماما التي بناها العراقيون بدمائهم واموالهم وعرقهم على مدى اكثـر من ثمانين عاما ولم يسلم من هذا التدمير حتى النصب التاريخية والتراث الثقافي والحضاري في محاولة، ليس لطمس الهوية العربية الاسلامية للعراق فحسب، بل وسـد الطريـق علـى امكانية نهوضها من جديد. وابقى سيستاني تنسيقه سرا(تقية) واضعا سـمعته فـوق مـصالح العراق وسمعة شيعته. وإن أول عمل طائفي قام به ومريدوه لتمزيق العـراقيين هـو تقـسيم وزارة الاوقاف الى وقفين: الوقف الشيعي والوقف السني، مقتفين سياسة مبعوث الـشاه الـى لبنان الذي فصل شيعة لبنان عن دار الافتاء اللبنانية وتأسيس المجلس الشيعي ألاعلى.

---

[368]- اصبح عمار عبد العزيز طباطبائي الحكيم رئيس المجلس الاعلى بعد وفاة أبيه في ٢٦ -٨-٢٠٠٩ .

[369] - كمال واخرون ٢٠٠٦ :٣٦٢ .

جامعة الحلة الدينية التي ساهم في تأسيسها وتمويلها الحاكم الامريكي للعراق بول بريمر

وكعادة القادة الفرس ظل سيستاني محتجبا ! وأبقى نفسه بعيدا عن الناس، وهو الراعي الأول للعملية السياسية في العراق!. وعلى عكس ما تمليه العملية الديمقراطية، يتدخل هذا الغريب في كل تفاصيل العملية السياسية العراقية، ويزوره السياسيون الطائفيون في غيبته لأخذ موافقته في كل منعطف سياسي وأمني ودستوري كبير.

بقي المحتجب سستاني موافقا للقرار الامريكي على طول الخط حتى وان عارضه البرلمان، فبعد مباركته قائمة الانتخابات المغلقة السرية التي جاء بها الاحتلال وأعوانه، تحول فجأة، وأعلن موافقته على القائمة المفتوحة للإنتخابات المقبلة في كانون الثاني ٢٠١٠ ، التي جاء بها جو بايدن نائب الرئيس الامريكي عند زيارته العراق للعراق في ٢٠٠٩/٩/١٥ بالرغم من المعارضة القوية التي ابدتها بعض كتل البرلمان الطائفية.

لكن لماذا يقود عملية سياسية عراقية مرجع فارسي يأنف حمل الجنسية العراقية؟!.
وهل تقبل إيران عراقيا واحدا يتبوأ مركزا في دولتها، فضلا عن أن يقود عملها السياسي؟.

هذه المرجعية التي تتدخل في كل تفاصيل العملية السياسية صمتت أثناء الهجوم على الفلوجة في أبريل/نيسان ٢٠٠٤ . وخرج سيستاني إلى لندن للعلاج، عند حصول مماحكات في النجف في أبريل/نيسان عام ٢٠٠٤ بين أتباع مقتدى والقوات الأمريكية التي قصفت قبة ضريح علي بن أبي طالب بالمدافع.

لكن ما أشبه الليلة بالبارحة !

فلقد حاصر الإنكليز النجف إبان ثورتها عام ١٩١٨ وأرسل أهل النجف العرب الأحرار برقية إلى الحاكم الإنكليزي في العراق مطالبين فك الحصار عن النجف الذي راح ضحيته عددا من الأبرياء . كما قصفت قبة ضريح علي بن ابي طالب بالمدفعية، فوقف الفارسي يزدي مع الانكليز، وقد وقع البرقية مع أهل النجف مضطرا، حتى كتب الشيخ الوطني محمد رضا الشبيبي تعليقا قال فيه: " وقد وقع على هذه البرقية فيمن وقع من العلماء السيد اليزدي وجرى على عادته في عدم مشاركة الجمهور، ومخالفة السواد الأعظم. وحب الامتياز والانفراد، والهرب من التصريح، بالجمل المجملة التي تحتمل التأويل فكتب قبل أن يختم في البرقية هذه الجملة– نعم الصلاح بالإصلاح – وختم تحتها، كأنه يريد أن يقول ..أنه غير مسؤول إلا عن هذه الكلمة التي لايحتمل فيها التأويل "[٣٧٠]

[370] - العلوي١٩٩٠ : ١٠١-١٠٢ .

ولكن الأجنبي سيستاني الذي ترك النجف للعلاج ، حرّض على العنف الطائفي ضد العراقيين بعد التفجير المدبر لقبة الإمامين العسكريين في سامراء في شباط/فبراير ٢٠٠٦ . وكان قد تم تفجير القبة بطريقة فنية متطورة بعد طرد الحراس المحليين واستبدالهم بقوات تابعة لـــوزارة الداخلية التي كان يقودها جبر صولاغي القيادي في المجلس الأعلى، والذي جعل أكثر منتسبي الوزارة من فيلق بدر، الميليشيات التابعة للمجلس الأعلى. مثّل الهجوم نقطة تحول في التوتر الطائفي بين العراقيين: فبدل الدعوة إلى التهدئة دعا سيستاني أتباعه إلى التظاهر في ساعات التوتر والاحتقان، فحصلت مجزرة مروعة راح ضحيتها آلاف القتلى والجرحى والمهجرين، ومئات المساجد المحروقة والمدمرة، وقتل المئات من أئمتهـــا. واســـتمرت أعمـــال الانتقـــام والتهجير أكثر من ١٦ شهرا خصوصا في بغداد والبصرة .

وكانت هذه الأعمال الانتقامية، التي ارتكبتها وترتكبها قوات الحكومة وميليشياتها فـــي القتـــل والتعذيب والتطهير العرقي، تقابل بغضب من بعض أطراف "العرب السنة" والرد بالمثل رغم دعوات التهدئة والانضباط التي تمارسها قياداتهم السياسية والدينية، خصوصا هيئـــة علمـــاء المسلمين التي ما حادت يوما عن الخطاب الوطني الجامع.

ولئن كان الدعم الظاهري الذي تحظى به الديمقراطية يبدو قويا في العراق، إلا أن هناك دلائل خطيرة على رغبة القيادة الفارسية في اعتناق ولاية الفقيه الخمينية . فأغلب القادة الـــسياسيين الحاليين في العراق هم من مريدي خميني، ويتبعون قرارات سستاني. و بقيت إيران تبـــارك الحكومة العراقية الحالية وتدعمها، وهي تعلم أنها حكومة عاجزة غير قادرة على أداء أي من واجباتها القانونية المعروفة، مثل: حفظ الامن العام وتوفير الخـــدمات الـــصحية والتعليميـــة والقضاء على الفقر وايجاد فرص العمل. بل هي تعلم الفوضى المنظمـــة والقتـــل العـــشوائي وانعدام الخدمات والفساد الاداري لأعضائها الذي فاق حدود التصور، وصار حديث الاعـــلام والمؤسسات الدولية والادارة الامريكية ومنظمات حقوق الانسان، حتى وصل الى الاعتـــراف الصريح بهذه الفوضى من اركان الحكومة نفسها. فقد ذكر مركز إكرام لحقوق الانسان فـــي مطوية له تحت عنوان(العراق بالارقام...بعد خمس سنوات من الأحتلال) حقـــائق مرعبـــة، نفتطف بعضا منها:

- قتل أكثر من ١،٢ مليون (الوكالة البريطانية لقياس الرأي العام آذار٢٠٠٨).
- أكثر من ٥٥٠٠ قتيل ومخطوف وسجين ، بين عالم ومفكر وأستاذ وأكاديمي (اللجنة الدولية للصليب الاحمر ٢٤-٣ -٢٠٠٨).
- ٤٠٠ ألف معتقل ، منهم ٦٥٠٠ حدث و ١٠ آلاف امرأة.
  (سحر الياسري ممثلة الأسرى والسجناء العراقيين٢٠٠٧).
- يقولون أنهم أنفقوا ١٧ بليون دولار على قطاع الكهرباء ! ولكن هذا الإنفاق الضخم لم يرفع إنتاج الكهرباء واطا واحدا.
  (القاضي موسى فرج نائب رئيس هيئة النزاهةالحكومية ١٢-٤-٢٠٠٨).

-

- تعاني ١٦٠ مستشفى في كافة أرجاء البلاد من نقص حاد في الموارد البشرية.(منظمة أطباء العالم ٢١-٣-٢٠٠٨).

- بلغت خسائرالعراق نحو ٢٥٠ بليون دولار خلال السنوات الخمس التي أعقبت الغزو الأمريكي للعراق (القاضي موسى فرج)

- اغتيال ٣١ محققا في قضايا الفساد في الوزارات الحكومية
(جويل برينكلي – نيويورك تايمز ٢-٧-٢٠٠٨)

ومع هذا بقت المرجعية الفارسية ومعتمدوها تساند هذه الحكومة، لأنها ببساطة حكومة طائفية: ولاءها لايران وليس لها ولاء للعراق، ولاتؤمن بالديمقراطية بل بالاستبداد الفارسي – ولاية الفقيه– الذي جاء به شيرازي وخميني.

وعلى خطا الغريب خوئي الذي ندد بالتمرد المسلح في الجنوب العراقي ١٩٩١ بعد أن أدرك فشله، راح تلميذه سيستاني، بعد سبع سنين من رعايته العملية السياسية القاتلة في ظل الاحتلال، يبعد نفسه عنها، محذرا من استخدام اسمه في الدعاية السياسية للانتخابات في بداية عام ٢٠١٠ بعدما جعلت سياسته من العراق ليس دولة فاشلة فحسب، بل دولة منهارة .

إن القادة الفرس ليس لهم ولاء للعراق وانما يتحولون من الحال الى نقيضه طبقا لما تمليه المصالح القومية الايرانية العليا. لقد بقيت ذكرى سقوط العاصمة طيسفون/المدائن قبل أكثر من ١٤٠٠ عام إلى اليوم، حية تؤرق خيال القادة الفرس، فهي تعد العراق إرثا ساسانيا يجب إعادته بأي طريقة. وقد نجحت هذه القيادة، في تحقيق اختراق في العراق من خلال نظام الوكلاء المعمول به منذ أكثر من خمسة قرون، ورديفه الحالي الأحزاب الطائفية التي رهنت قرارها السياسي خارج الوطن.

وكما لايران أطماع في العراق، فلها أطماع أخرى في لبنان سبقت قيام الثورة الإيرانية. فبالرغم من التوتر الذي أصاب علاقة الشاه مع بعض المراجع داخل إيران، كان يشجع ويساند الأحزاب والمراجع خارجها . واتبعت الدولة الشاهنشاهية أسلوبا ذكيا في تقوية نفوذها، عن طريق إرسال رجال تحت عنوان ديني للقيام بنشاطات استخباراتية وسياسية: فقد أرسلت إلى العراق العائلة الشيرازية في كربلاء، ونصبت محسن طباطبائي الحكيم مرجعا أعلى في النجف، وأمدت حزب الدعوة بالمال، كما أرسلت موسى الصدر إلى لبنان. فـ" بالرغم من أن الشاه قمع الملالي في إيران، إلا أنه شجع التشيع والأحزاب الشيعية في الخارج ! فهو الذي أرسل موسى الصدر إلى لبنان، ودعم حزب الدعوة في العراق ماليا"[٣٧١].

الأحزاب الطائفية الشيعية في لبنان:

شيء من التاريخ

تستوقفك حقا في بلاد الغرب العلاقة القوية بين كثرة من الشيعة اللبنانيين والإيرانيين فهم

---

[371] - ROY.O.1999 : 187 .

يكاد لا يفترقون .إن هذه العلاقة والتماثل بين الإيرانيين وشيعة لبنان تعود إلى تاريخ سحيق يوم لم تكن لبنان الحالية موجودة، بل كانت تسمى بلاد الشام التابعة للإمبراطورية الساسانية. وكما نزل الفرس من الهضبة الإيرانية واحتلوا شرق العراق، هاجر آخرون واستوطنوا جبل عامل، واندمجوا مع اللبنانيين واستعربوا . وإن لقب إيراني وعجمي بين اللبنانيين يذكر بهذه الهجرة، منهم على سبيل المثال الكاتب اللبناني الأصل الأمريكي الجنسية: الدكتور فؤاد عجمي.

أما بعد الإسلام فيعود أول اتصال ثقافي وسياسي وديني بين علماء جبل عامل والفرس، إلى الحقبة الصفوية التي بدأت عام ١٥٠١ م. لقد فرض إسماعيل الصفوي مؤسس الإمبراطورية التشيع بالقوة في بلاد فارس . وبسبب ندرة العلماء الشيعة في إيران آنذاك، لجأ الصفوي إلى علماء الإحساء والبحرين وجبل عامل لمساعدته في نشر الاعتقاد الشيعي بين المسلمين الإيرانيين.

وانحدر أكثرالعلماء الذين هاجروا إلى إيران بدعوة من البلاط الصفوي من جبل عامل والبقاع وبعلبك وقراها المختلفة : جوبا، وميس الجبل، وكرك نوح، وجزين ..الخ . وبسبب وحدة المذهب، سميت المنطقة كلها تاريخيا جبل عامل، وحمل علماؤها لقب العاملي. استوطن أفضل علماء الشيعة الإمامية من جبل عامل مع عوائلهم في بلاد فارس وقد بلغ عددهم ١٥٦ عالما كبيرا سكنوا إيران في نهاية عهد الإمبراطورية الصفوية [٣٧٢]. وإن الذين غادروا جبل عامل في لبنان الى البلاط الصفوي كانوا من عوائل علمائية مختارة،

منهم على سبيل المثال:

١-عائلة الكركي:
ومنهم علي عبد العال الكركي وولده تاج الدين عبد العلي وحفيده مير حسين.
٢- عائلة الحارثي :
ومنهم حسين عبد الصمد الحارثي، وابنه بهاء الدين محمد الملقب بالشيخ البهائي.
٣-عائلة الميسي :
ومنهم لطف الله الميسي العاملي، وابنه جعفر.
٤-عائلة الموسوي:
ومنهم محمد بن علي الموسوي، وابنه حسين الذي أصبح شيخ الإسلام لمشهد، وكان يقوم بالتدريس تحت القبة الشرقية الفخمة للإمام الرضا.

أعطى الصفويون هؤلاء العلماء لقب الصدر، وأسندوا إليهم مع أشراف الفرس إدارة الشؤون الدينية والقضاء في المدن الفارسية الكبيرة كمشهد وقزوين وأصفهان وهيرات وتبريز . وكانوا يحملون لقب "شيخ الإسلام"، وهي أكبر سلطة دينية في المدينة. كما أصبحوا كُتّابا ومستشارين سياسيين في البلاط. ومنذ ذلك الحين سار التفريس ونشر الاعتقاد الشيعي سويا، فبعدما كانت العلوم الإسلامية في العقيدة والحديث تدرس باللغة العربية، أجبر الشاه علماء جبل عامل على إتقان اللغة الفارسية، وان يقوم الطلاب بالترجمة الفورية لهذه الدروس .

[372] - Chehabi 2003 :7

ساهم علماء جبل عامل مساهمة فعالة في تشكيل التشيع الصفوي الملوث بالطعن في أم المؤمنين عائشة واللعن والسب لأصحاب رسول الله ﷺ وممارسات النياحة واللطم ونشر ثقافة الحقد والكراهية . وأول هؤلاء المروجين للتشيع الصفوي :

☻ علي عبد العال الكركي.

عاش علي عبد العال الكركي الملقب بالمحقق الثاني (١٤٦٠ – ١٥٣٣ م) في عهد إسماعيل وابنه طهماسب ، وهو من أوائل من غادر جبل عامل ملتحقا بالبلاط الصفوي.
والكركي هو أول من قال بنيابة المجتهد للإمام الغائب في نظرية ولاية الفقيه. وقد ألّف كتبا تدعم هذا التوجه ليكون متناغما مع مصالح وتوجهات الحكام الصفويين . كما أقر صلاة الجمعة في الإمبراطورية الصفوية لإضفاء الشرعية الدينية القوية عليهم، وأنهم دولة إمامية، باعتبارأن صلاة الجمعة لا تقام إلا بعد ظهور الإمام المهدي وفق التشيع الصفوي . كما كان أول من قدم مسوغات عقائدية تبرر سب أبي بكر وعمر، في كتابه الموسوم "نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت" وقد وصفه كبار المؤرخين الصفويين بأنه" مخترع الدين الشيعي". وإن الحماس الذي أبداه الكركي في الدفاع عن الاعتقاد الشيعي وضعه في مقام ناصر الدين الطوسي، وتثمينا لجهوده، فقد منحه الشاه طهماسب وقفا وراثيا لأراض واسعة تقدر قيمته ٧٠٠ تومان سنويا. [٣٧٣] .

ومن شدة ولائه للصفويين حضر الكركي في عهد الشاه إسماعيل (١٥٠١-١٥٢٤) الاستعدادات العسكرية لمعركة جالديران الواقعة في تبريز، ضد العثمانيين عام ١٥١٤م. التي انتصر فيها العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول . وفي فترة حكمه، الممتدة بين(١٥٢٤-١٥٧٦)، أقر الشاه طهماسب اسماعيل للكركي بأنه نائب للإمام، وأعطاه لقب " خاتم المجتهدين"، وأسند إليه مسؤولية إدامة الشريعة . كما أعطى لابنه عبد العلي لقب المجتهد الأعلى .

أما ميرحسين حفيد الكركي فقد عاش في فترة طهماسب وابنه اسماعيل الثاني (١٥٧٦-١٥٧٨). حاول إسماعيل الثاني تخفيف التطرف والغلو الذي يحمله علماء الصفويين ضد المسلمين فسعى لإلغاء الطعن في عائشة زوجة النبي محمد ﷺ ولعن الخلفاء الراشدين الثلاثة بعد توقيع " معاهدة الماسيا" مع العثمانيين في ١٥٥٥ م ، والتي ينص أحد بنودها على إيقاف الطعن واللعن ضد رموز الاسلام. لم يرض علماء جبل عامل عن هذا القرار، ولكنهم لم يصادموا الشاه. وبالرغم من سوء العلاقة معه، كان مير حسين قويا ومن حاشية طهماسب المقربين ومستشاره في الأمور الصعبة التي لا يقدر على حلها حتى الأمراء، ونجح في ثني الشاه عن قراره. "حاول إسماعيل الثاني أن يلغي أسماء الأئمة الاثني عشر المطبوعة على النقود ويضع محلها شعارا ملكيا. وقرر مير حسين منعه من ذلك فأشار عليه أن يطبع بيتا من الشعر للشاعر الفارسي العظيم مولى حيراتي يتضمن لعن الخلفاء الثلاثة . فما كان من الشاه إلا أن ألغى الامر بعصبية خشية أن تضعف مساندة الحاشية له" [٣٧٤].

- حسين بن عبد الصمد الحارثي:

---

[373] -المصدر نفسه :٧٩ .(ibid).
[374] -المصدر نفسه :٨٨ .(ibid).

قلد طهماسب الحارثي كساء الشرف وهدية ملكية ، ودعاه إلى قزوين مقر إقامة الشاه ، وأقطع له وقف ثلاث قرى في هيرات-عاصمة خراسان- عندما كان يشغل منصب شيخ الإسلام فيها .

- لطف الله الميسي العاملي (المتوفى:١٦٠١):

خدم الميسي في بلاط الشاه عباس الكبير(١٥٧٨-١٦٢٩) وزوج الميسي بنته للشاه عباس . وكان " عباس " بالرغم من تظاهره أمام الناس بالتمسك بالممارسات الشيعية ، كأنْ يزحف على ركبتيه إلى مقام الرضا، إلا انه كان خمّارا ومتعاطيا للمخدرات وقاسيا جدا إلى درجة أنه قتل ابنه صافي مرزا. بنى عباس للميسي جامعا أمام قصره في أصفهان. وتطبيقا لوصية أردشير في كتابه بـ

╣ أن يكون رجل الدين في خدمة الملك ╠ ،

كان الميسي يلقن الناس القادمين من القرى والمدن النائية إلى أصفهان للصلاة في جامعه، أن يقولوا عند السؤال عنه :أين الشيخ الذي بنى له الشاه مسجدا جامعا جديدا؟ نحن مدينون للشاه بالفضل ونرجو أن نكون عبيده ! "[٣٧٥].

لقد ترك علماء جبل عامل من خلال: تسنمهم وظيفة الصدر، والعلاقات الاجتماعية الكبيرة مع الصفويين، والتدخل السياسي في شؤون الدولة، أثرا كبيرا على التشيع الصفوي لا يزال واضحا في ممارساته المتطرفة التي فرضتها المرجعية الفارسية على أكثر شيعة العالم اليوم ومنهم شيعة جنوب لبنان .

تأسست الدولة اللبنانية الحالية، وفق " معاهدة سيكس- بيكو" عقب الحرب العالمية الأولى، بعد فصلها من الدولة العثمانية، وكانت من نصيب فرنسا. كتب الفرنسيون دستورا للبنان وزّعوا السلطة فيه على أسس طائفية :

فرئاسة الجمهورية للموارنة،
ورئاسة الوزارة للمسلمين "السنة"
ورئاسة مجلس النواب للشيعة.

يعيش الشيعة مع الدروز والطائفة العلوية في جبل عامل وسهل البقاع في الجنوب المحاذي لسوريا.وكحال فقراء الشيعة في جنوب العراق، يسيطر عليهم ملاك الأرض المتحالفين مع المرجعية مثل: آل الخليل وآل الأسعد وآل الزين.

حاول شيعة لبنان الاندماج في المجتمع اللبناني ولكن" بقيت تواجهم مشكلة سياسية وهي علاقتهم التاريخية مع إيران، حيث يعتبر الشيعة أن الشعب الإيراني هو المجتمع الأم حتى لو حاولوا الابتعاد عنه . إن التأثير الفارسي واضح في المجتمع الشيعي اللبناني : فترى الحسينيات في أثاثها وصورها والقطع المكتوبه داخلها ذات طابع إيراني، وترى صور شاه إيران معلقة قي بيوت الفقراء الشيعة منذ القرن التاسع عشر[٣٧٦] .

ان علاقة لبنان مع إيران عميقة كعمق علاقات عوائل جبل عامل بالبلاط الصفوي. ومنذ ذلك التاريخ ظل قادة شيعة لبنان يتوجهون إلى آيات الله الموجودين في قم لاتخاذ القرار والتوجيه. وعلى هذه الخلفية التاريخية المعقدة نشأ كل من حركة أمل وحزب الله هناك.

---

[375] - المصدر نفسه :٩٣ (ibid) .
[376] - Richard.Y.1995 :126

١- حركة أمل والهجرة العكسية :

بعد ٤٥٠ عاما على مغادرة الجد الأعلى عبد الحسين العاملي للبنان للالتحاق بالبلاط الصفوي، غادر حفيده السيد موسى الصدر(ابن عم محمد باقر الصدر) قم، مبعوثا من البلاط الشاهنشاهي إلى لبنان ليعيد ترتيب البيت الشيعي هناك.

- موسى الصدر(الصدر)

ولد الصدر في قم عام ١٩٢٤ ، ودرس الحقوق في جامعة طهران، وعمل أستاذا في الحوزة العلمية في قم وكان ذا شخصية كارزماتية قوية جذابة . أرسله الشاه رضا بهلوي إلى لبنان عام ١٩٥٩ بعدما علم من قدراته القيادية وجاذبيته الشخصية، وقبل وصوله إلى لبنان مر بالنجف العراقية، وتعلم اللغة العربية على يد المرجع الأعلى محسن طباطبائي الحكيم. وتربط الصدر مع خميني علاقة مصاهرة قوية : فابن الصدر زوج حفيدة خميني، وكان ابن اخته صادق طباطبائي الناطق الرسمي لحكومة الثورة الايرانية، كما كانت بنت الاخير زوجة لأحمد خميني.

صار الصدر بقوة أموال الخمس والإسناد الشاهنشاهي قوة يحسب لها حساب فبنى علاقات دولية واسعة ومعقدة منها الولايات المتحدة وبعض الدول العربية ودول اوربا ، إضافة الى العلاقة القوية مع شاه إيران، حتى أنه زار الشاه ١٩٧٨ قبيل انتصار الثورة الإيرانية مطالبا بإطلاق سراح رجال دين محكوم عليهم بالإعدام. غاب الصدر في ٢٥/٨/ ١٩٧٨ أثناء زيارة قام بها إلى ليبيا، التي كانت على علاقة قوية بالثورة الإيرانية . وقد نفت ليبيا مرارا وتكرارا أن يكون لها علم بهذا الأمر، فظل أمرغيبته لغزاً محيرا حتى اليوم.

كان الصدر طائفيا شعوبيا متطرفا، هدفه تأسيس دولة شيعية في لبنان. بدأ المرجع الثري بالعمل الاجتماعي لكسب ثقة الفقراء الشيعة والتمويه على هدفه السياسي الحقيقي.وبعد نجاح عمله الاجتماعي، أسس "المجلس الشيعى الأعلى" في ١٩٦٩، وفصله من دار الإفتاء اللبنانية التي كان يتبعها شيعة لبنان.

وبعد نجاح الصدر في اول عمل طائفي وهو في فصل شيعة لبنان، جعل الانتماء المذهبي هو الهوية القومية المميزة لهم محاولا فصلهم عن العرب . فراح يطالب بحقوق الشيعة كشيعة لبنانيين وليسوا لبنانيين فقط "وقد كان ناجحا الى حد بعيد في اعطاء الشيعة اللبنانيين هوية سياسية جديدة تختلف عن القومية العربية ذات القيادة السنية .وسيرا على خطاه تخلى شيعة لبنان عن ولائهم الاعلى للقضية العربية وعوضا عن ذلك، طالبوا بالاعتراف بهم وبحقوقهم كشيعة لبنانيين.....لقد ترك الصدر أثرا عميقا في النفوس لدرجة أن لكنته الفارسية أصبحت مألوفة في أجزاء عديدة من لبنان"[٣٧٧].

أسس الصدر حركة (المحرومين اللبنانيين) عام ١٩٧٤ من فقراء الشيعة في الجنوب وبعلبك، ثم أسندها في تموز/يوليو ١٩٧٥ بميليشيات مسلحة أسماها أفواج المقاومة اللبنانية (أمل)، أو(حركة انتقام) بدعم إيراني قوي. وكان أول قائد لأمل هو الفارسي المشبوه د. مصطفى شمران المتهم بعلاقات مع الموساد الإسرائيلي والمخابرات المركزية الأمريكية، والذي عينه خميني وزيرا للدفاع إبان الحرب الإيرانية-العراقية. قتل شمران في جبهات القتال في ظروف غامضة، وعندما كان وزيرا للدفاع انتخب في أبريل ١٩٨٠ ليكون أحد أعضاء قيادة

[377] -نصر٢٠٠٧ :١٠٨

حركة أمل البالغ عددهم ٢٤ عضوا[٣٧٨]. وازدادت حيوية أمل وتحمسها بعد نجاح الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وقيام ٣٠٠ من الباستدران (الحرس الثوري الإيراني) بتدريب ميليشياتها[٣٧٩].

قاد حركة أمل بعد شمران المحاميان حسين الحسيني ونبيه بري .

- نبيه بري من مواليد سنة ١٩٣٨ وهو أحد معاوني موسى الصدر، ورئيس مجلس النواب الحالي، وهو لبناني الأصل، يحمل الجنسية الأمريكية.

نجحت حركة أمل في إزاحة منظمة التحرير الفلسطينية من الجنوب اللبناني بعد إخراجها من لبنان عام ١٩٨٢، بعد مجازر قامت بها ضد الفلسطينيين في سلسلة من الهجمات على المخيمات الفلسطينية حول بيروت : صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة ووضعت هذه المخيمات تحت الحصار لمدة ستة أشهر. وبدل السعي إلى الوحدة اللبنانية أثناء الحرب الأهلية في شباط/فبراير ١٩٨٤ أمر برّي الجنود الشيعة إلى ترك الجيش اللبناني بأسلحتهم، التي قوّت حركة أمل وسيطرت على غرب بيروت، وبدأ المطالبة بأن يكون الجنوب اللبناني بعهدته[٣٨٠].

و يذكّر هذا الموقف الطائفي لبري، بقرار عبد العزيز طبطبائي الحكيم، بعدما آلت السلطة إليه أثناء الاحتلال الأمريكي للعراق : فقد أقنع الاصفهاني الحكيم بريمر بحل الجيش العراقي في ٣/٥/ ٢٠٠٣ ثم قام بزج عشرات الآلاف من ميلشيات فيلق بدر التابعة له، وبعد لغمه بهذه الميلشيات، ونزع الولاء الوطني عنه، راح الحكيم يطالب بفدرالية في الجنوب العراقي ليكون ضيعة تابعة لإيران . فاضطر القادة السياسيون في وزارة الدفاع والداخلية لإجراء تطهير واسع بين صفوف القوات الأمنية، والذي سيأخذ أمدا طويلا، أو أن يعاد بناؤها على أسس وطنية ومهنية جديدة، إذا أريد للعراق أن يكون بلدا موحدا ومستقلا.

في البداية ضمت حركة أمل بين صفوفها السيدين عباس موسوي وحسن نصر الله . ولكنها رغم طائفيتها كانت ذات توجه ليبرالي، فلم يعجب هذا التشكيل خميني، فانشقت مجموعةعنها أسمت نفسها " حركة أمل الإسلامية" التي تحولت فيما بعد إلى حزب الله، بعدما أرسل خميني من إيران عالم الدين فضل الله محلاتي لتنظيمها. وقد تقلد كل من موسوي ونصرالله الأمانة العامة للحزب.

٢- حزب الله في لبنان:

حزب الله في لبنان(الحزب) هو أحد فروع الاحزاب التابعة لمجلس التنسيق العالمي لفروع حزب الله في العالم الذي يرأسه محمد تقي مدرسي، وهو أحد الأذرع السياسية الخارجية الإيرانية الناجحة في تصدير الثورة الى لبنان.

تأسس الحزب بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان في ٦ /١٩٨٢/٦ بتوجيه وإسناد سياسي و مادي إيراني، حيث كان المال الإيراني يجد طريقه إلى بعلبك لتدريب ميلشيات حزب الله وإسناد المنظمات الاجتماعية التابعة له، كالمستشفيات والمدارس ورعاية الأرامل والأيتام "فرجال الدين الإيرانيين، وكذلك قادة الحرس الثوري الإيراني، هم أول من تولى تنظيم صفوف حزب الله في ثمانينات القرن العشرين.ومنذ ذلك الحين وطهران تدفع أجور منتسبي حزب الله وتسلح آلته الحربية. ثمة عدد كبيرمن قادة الحرس الثوري الإيراني الحاليين سبق

---

[378] - Chehabi 2003 :-206

[379] - Richard.Y.1995: 133

[380] - نفس المصدر :١٣٣ . (ibid).

لهم أن خدموا في سهل البقاع وهم يعرفون حزب الله حق المعرفة..... فحزب الله هو ثمرة الثورة الايرانية انها المرة الوحيدة التي وجدت فيها بذور الثورة تربة خصبة خارج ايران "[٣٨١]

أما الأب الروحي للحزب فهو آية الله العظمى

- محمد حسين فضل الله :

ولد فضل الله في النجف عام ١٩٣٥، وهو ابن خالة مهدي محسن طبطبائي الحكيم، وتتلمذ على يد أبي القاسم خوئي . وقد أرسله الحكيم إلى لبنان وعمره ٣١ سنة . وعند زيارته لإيران عام ١٩٨٦ أعطاه خميني درجة مرجع التقليد.

أما هدف الحزب فهو اقامة جمهورية إسلامية في لبنان على النمط الإيراني، باعتبارها الطريق الوحيد لتحقيق الاستقرار للمجتمع وتسوية الخلافات الاجتماعية حتى في مجتمع متعدد الأقليات. وهدف حزب الله هو إقامة دولة إسلامية في لبنان على غرار الجمهورية الإسلامية في إيران، والحجر الأساس لها هو ولاية الفقيه. أما الموجه الرئيس لحزب الله ، كما يذكر نبيه بري، فهوعلي أكبر محتشمي السفير الإيراني في دمشق ثم وزير الداخلية الإيراني في حكومة حسين مير موسوي في ثمانينات القرن العشرين[٣٨٢] .

تأسس الحزب من لجنة من ٩ أشخاص لم تعرف أسماؤهم، بهدف إقامة دولة على النمط الإيراني وهم " ثلاثة من التجمع العلمائي في البقاع ، وثلاثة عن اللجان الإسلامية ، وثلاثة عن حركة أمل الاسلامية، فحمل التسعة الورقة النهائية التي عرفت بـ وثيقة التسعة ، والتي تضمنت الأهداف المذكورة، ثم رفعوا هذه الوثيقة للإمام الخميني (قده)[= قدّس الله سره] فوافق عليها، فاكتسبت شرعية الولي الفقيه لها " [٣٨٣]. فالحزب مؤسسة تأتمر بالولي الفقيه وليس لها قرار لبناني مستقل، يقول السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في ٢٠٠٨/٥/٢٦ بمناسبة الذكرى الثامنة " للمقاومة والتحرير" يتصورون عندما يقولون عنا حزب ولاية الفقيه أنهم يهينوننا ..أنا اليوم أعلن، وليس جديدا، أنني في حزب ولاية الفقيه" . وقال علي لاريجاني أن حسن نصرالله "حقق قسما من تعاليم خميني " واصفا تصريحاته " بالشجاعة، وأنها نابعة من الثورة الإسلامية ، وجاءت دفاعا عن نظرية ولاية الفقيه ". وصار خامنئي مرشد الثورة الإيرانية ولي الفقيه لـ نصر الله بعد وفاة خميني . وترى صورتيهما معلقة في دور وشوارع الجنوب اللبناني، ومكتوب تحتها " كالضوء من الضوء". وكأن نصر الله هو شعاع ضوء من شمس خامنئي !.

إن أوامر الولي الفقيه مطاعة وتنفذ دون سؤال، كما يقول نعيم قاسم الامين العام المساعد للحزب: "والقيادة الشرعية للولي الفقيه كخليفة للنبي(ص) والائمة عليهم السلام وهو الذي يرسم الخطوط العريضة للعمال في الأمة،وأمره ونهيه نافذان"[٣٨٤]
.

---

[381] - نصر٢٠٠٧ :٢٦٨ .

[382] -Richard.Y.1995 134 -135-

[383] - قاسم ٢٠٠٨ :٢٦ .

[384] - المصدر نفسه :٢٥ .

حسن نصرالله راكعا ومقبلا يدي الولي الفقيه خامنئي

وتتنوع صلاحيات ولي الفقيه حسب السيد قاسم لتشمل القرارات الاستراتيجية كالحرب والسلم ، " فهو أمين على تطبيق الأحكام الإسلامية والسهر على النظام الإسلامي، واتخاذ القرارات السياسية الكبرى التي ترتبط بمصالح الأمة، وهو الذي يملك صلاحية قرار الحرب والسلم" [٣٨٥]. وكحال الأحزاب الطائفية في العراق المهيمن عليها إيرانيا، شارك الحزب ضد العراق على جبهات القتال أثناء الحرب الإيرانية على العراق. وللحزب علاقة قوية مع جيش المهدي، الذي يقوده مقتدى الصدر، والحزب متهم بتدريب فرق الموت المخيفة التابعة لهذا الجيش.

الحزب والعلاقة مع إسرائيل:

في ٦ /١٩٨٢/٦ تم الاجتياح الصهيوني للجنوب اللبناني، ووصلوا إلى بيروت، وطردوا الفلسطينيين ومنظماتها المسلحة من الجنوب اللبناني. لقد ظهر عمق الغضب ضد الفلسطينيين وكره العرب الذي ورّثه الصدر للشيعة اللبنانيين "عندما استقبل الشيعة في الجنوب اللبناني الجيش الإسرائيلي بالأحضان والورود باعتبارهم محررين، وقد قال حسين فضل الله الأب الروحي لحزب الله فيما بعد:حان الوقت الآن بعد توسع الفلسطينيين تحرير المشهد اللبناني من وطأة المشكلة الفلسطينية"[٣٨٦].

لكن بقي الجيش الصهيوني جاثما على كل الجنوب اللبناني الذي حطم آمال خميني بإقامة دولة شيعية في لبنان. تحرك الحزب أولا إلى جنوب بيروت واحتلها بقوة السلاح بحجة جعلها نقطة تحرك للمقاومة . وعلى طريقة فيلق بدر وجيش المهدي في العراق بدأ يبني على المناطق العامة وأحيانا على أملاك " أهل السنة " دون رادع حتى صارت الضاحية الجنوبية لبيروت تحت سيطرة الحزب تماما. ومع هذا بدأت الجماهير اللبنانية تنخرط لمقاومة العدوان الصهيوني خصوصا بعد عملية عناقيد الغضب الصهيونية عام ١٩٩٦، فأعلن الحزب عن تشكيل السرايا اللبنانية للمقاومة، وانضم اللبنانيون لها من كافة شرائحهم. لقد نجحت المقاومة اللبنانية في إخراج الجيش الصهيوني من الجنوب اللبناني عام ٢٠٠٠ . وبدل الاعتراف بالجميل، تنكر الحزب للجهود المشتركة التي ساعدت على طرد الجيش الصهيوني من الجنوب اللبناني، وبدأ بالاعتداء ثانية على أملاك " أهل السنة " في الجنوب وإجبارهم على

---

[385] - المصدر نفسه :٧٤ .

[386] - NASAR.V.2006 :114

التشيع أو الرحيل، حتى وصل إلى حد التعدي على المساجد مثل مسجد النبي يونس والأوقاف التابعة له في منطقة الجية.

وبعد خروج القوات السورية من لبنان، قرر الحزب دخول العملية السياسية، وأصبح جزءا من النظام القائم الذي أفرزته انتخابات مايس/مايو عام ٢٠٠٥ فصار له وزن كبير بالبرلمان بعد تحالفه مع حركة أمل، وشارك في حكومة فؤاد السنيورة بخمسة وزراء.

خطف الحزب جنديين إسرائيليين وقتل ثمانية، في الجنوب اللبناني دون علم او استشارة الحكومة اللبنانية المشارك بها، فاندلعت الحرب في ١٢/٧/ ٢٠٠٦ واستمرت ٣٣ يوما. هلل الشارع العربي وارتفعت صور نصر الله في كل مكان إثر قتال شرس أبداه الحزب ضد الصهاينة، بعد خيبات متوالية أصابت الشارع العربي نتيجة هزائم متكررة لمدة ثلاثة عقود حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣. وقد غطت قناة الجزيرة الفضائية الحرب على مدار ٢٤ ساعة كاملة حتى آخر يوم منها . وشارك اللبنانيون، خصوصا أهل بيروت الغربية، النازحين من أهل الجنوب اللبناني: السكن ولقمة العيش، فكانوا البعد الاستراتيجي في الإسناد.

ومما يدحض تهمة الطائفية كذلك عن " أهل السنة " الدور القيادي البارز الذي قام به رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري "السنّي" ، الذي اغتيل في انفجار سيارة ملغمة في ١٤ /٢/٢٠٠٥، في إنعاش اقتصاد لبنان وإعادة اللحمة اللبنانية التي خلفتها الحرب الاهلية ١٩٧٥-١٩٩٢. فكما بنى صدام حسين جامعة في كل محافظة جنوبية في العراق، اهتم الحريري بالعلم كثيرا، فقد أرسل مثلا على نفقة المؤسسات الثقافية التي يديرها أكثر من عشرة آلاف طالب من الشيعة فقط للدراسة.

قبل الحزب إيقاف الحرب وفق القرار الصادر عن مجلس الأمن رقم ١٧٠١ الذي ينص أحد بنوده على قبول دخول قوات أجنبية بقيادة أسبانية فرنسية (اليونيفل)، شكلت هذه القوات حاجزا عمقه ٣٥ كيلومترا بين الجنوب اللبناني وإسرائيل، يمنع إطلاق رصاصة واحدة ضد إسرائيل . وهذا يعني أن الانتصار الكبير الذي حققته القوى اللبنانية، حوله الحزب إلى احتلال بقبول دخول قوات أجنبية إلى الجنوب اللبناني، هذه المرة أوربية بدل الصهيونية.

أخذ الحزب، المهيمن عليه إيرانيا، يتحدث عن" وطنية لبنانية " ممزوجة باتباع أمر الولي الفقيه . وهو مفهوم يبعد الحزب عن العالم العربي ويقربه من الدولة الإقليمية إيران . فالحزب يغلب الهوية الطائفية على الهوية القومية العربية أو الهوية الإسلامية الجامعة . ففي الوقت الذي قاد به الحزب المقاومة ضد إسرائيل، رأى أمينه العام في توجيهات سيستاني المتعاون مع الأمريكان – حماة اسرائيل– في العراق رمزا له، وأشاد بالنظام القائم في بغداد في ظل الاحتلال، ووصف نصر الله أكثر من مرة المقاومة العراقية بالإرهاب.

لقد جعلت تبعية الحزب للولي الفقيه يتصرف أثناء حرب تموز باستقلال تام عن الحكومة اللبنانية التي يشارك وزراءه فيها : فهو يتصرف كأنه دولة داخل دولة ! وأن مليشياته تتلقى أوامرها من الخارج . ويفوت على المراقب العربي غير المتعمق، في فورة حماسه لضرب إسرائيل في ٢٠٠٦، أن الأهداف السياسية التي حققها الحزب هو احتلال لبنان ثانية من قبل قوات تابعة للأمم المتحدة "اليونفيل". وقد رفض نصر الله، الذي يتغنى بالوطنية اللبنانية، الدعوات المتكررة للحكومة والفرقاء اللبنانيين بدمج المقاومة اللبنانية مع الجيش اللبناني من أجل لبنان أقوى، وأصر أن يبقى السلاح عند ميلشياته فقط.

وكما أشرنا فإن السياسة الثابتة للمرجعية الفارسية هو احتفاظها بميليشيات مسلحة تابعة لها، لتحقيق هدفها الأكبر، في صراعها مع غالبية المسلمين، لذا انزلق الحزب بسرعة مذهلة إلى

طائفية صريحة بعد الحرب مباشرة . فبعد فشل الحصار الذي ضربه على مقر الحكومة التي يرأسها فؤاد السنيورة والذي دام ١٨ شهرا، قامت ميليشيات الحزب في ٩ /٢٠٠٨/٥ بمغامرة الهجوم المسلح على أهالي بيروت الغربية الذين آووه ونصروه، فقتلت الأبرياء ودمرت مؤسسات الحريري الإعلامية والإنسانية، ومزقت صوره، الحريري الذي بنى لبنان بعدما دمرته الحرب الأهلية، وأنعش اقتصادها وعلّم أبناءها الشيعة. وينتظر أهل الجنوب اللبناني الحريري الابن لبناء ما دمرته الحرب التي خاضها الحزب دون علم أو مشاورة الحكومة اللبنانية المشارك فيها.

غرباء التاريخ والوطن:

الأحزاب الطائفية الشيعية في العراق ولبنان ظاهرة تاريخية غريبة وفريدة في تأسيسها وولائها السياسي وقياداتها .

خلافا للأحزاب الوطنية والقومية والإسلامية حيث يكون التأسيس، والقيادة وطنيا كاختيار إنساني اجتماعي طبيعي، مثال ذلك حركة الإخوان المسلمين في العراق، صحيح أن تشكيلها طائفي، إلا أن مؤسسيها وقياداتها نبتا عراقيا خالصا : ليس فيهم تركي واحد، بل ليس فيهم عربي واحد من غير العراق! رغم الروابط التي تربطهم بالعرب من لغة وعادات وتاريخ وتقاليد مشتركة إضافة لآصرة الدين القوية. في حين أن تأسيس أحزاب الدعوة والمجلس الاعلى والمنظمة في العراق وامل وحزب الله في لبنان بالرغم من تشكيلها الاجتماعي الطائفي فهو لا يعتمد الاختيار الطبيعي في هذا التشكيل، لأن الدور الرئيسي في التأسيس يكون للفرس وليس للعراقيين أو اللبنانيين .

وإن قيادتها العليا صاحبة القرارالنهائي بيد الولي الفقيه دائما المقيم في قم أو طهران!. ولذا نجحت هذه القيادة العليا في جعل التعبد بالمذهب فقط دون غيره من الاواصر الاخرى، ولاءً سياسيا لإيران! ومثالها الاوضح مشاركة هذه الاحزاب مع ايران في حربها ضد العراق.

أما القادة والمؤسسون للأحزاب الطائفية في العراق فليس لهم هوية وطنية أو انتماء وطني، فقد "رفض السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى وحتى عام ١٩٨٨ استخدام كلمة وطن في مفاوضاته مع القوى العلمانية. يقول الحكيم أن هذه الكلمة غير موجودة في الإسلام بتاتا" [٣٨٧] . واضح أن ولاء الحكيم في مكان آخر!.

غني عن القول ان التنوع الثقافي والديني هو سمة المجتمعات الانسانية على اختلاف الاماكن والعصور، لكن يبدوان الاحزاب الطائفية "الشيعية والسنية " في سلوكها السياسي لاتفرق بين المجتمع العقائدي والمجتمع السياسي. فالمجتمع العقائدي هو الذي ينتمي افراده الى منظومة عقائدية وأخلاقية دينية محددة .اما المجتمع السياسي فهو مجتمع متنوع الثقافات والاديان والاجناس الذي يتأسس على الشورى وكانت هذه شارة مجتمعات المسلمين منذ الدستور الانساني الذي وضعه نبي الاسلام في "وثيقة المدينة" التي جمعت بين المسلمين واليهود والمشركين، فبقي هذا التنوع نهجا لكل دول المسلمين منذ الدولة المحمدية الاولى في المدينة حتى الدول الاسلامية الحالية .

---

[387] - JABAR.F.2003 :267

ان الاحزاب الطائفية النقية التي تتشكل من شريحة واحدة هي مناقضة للشورى بل مناقضة لطبيعة الاشياء. فالشورى تدعو الى التنوع دون التفريط بالوحدة التي يستحيل التواصل بدونها ولا التفريط بالتنوع الذي يؤدي غيابه الى تغليب موت دعوة الاسلام على حياتها، لكن المجتمع السياسي لايسعه أن يعيش الابلغة جامعة واحدة وبنظام قانوني واحد يطبّق عدلا على الجميع[٣٨٨]. فالشورى تسعى الى حماية التنوع بكل انواعه وليست هناك أكثرية او أقلية من يحكم الجميع هوية كبيرة جامعة وطنية أو أنسانية/أخلاقية. والقانون الواحد يسري على الجميع بالعدل دون محاباة ويحفظ للاقلية خصوصيتها الثقافية والدينية والقومية.

ان الشورى ليس عملية اجرائية ادارية، هي مبدأ رباني انساني عظيم لتسهيل الخلط بين المجتمعات ذات التنوع الثقافي والعرقي والديني والمذهبي وبين المؤسسة السياسية الجامعة لهذا التنوع والمشجعة له لتحقيق الوحدة والعدل ونشرالدين. وان علة هذا التنوع هو انه من ايات الله في خلقه وان علة وجود الشورى هو التعارف والتواصل مع الاخر وليس الاعتراف به، لأن الاخر ينتمي الى نفس المجتمع الانساني الذي خالقه واحد وأصله واحد .لكن يبقى القرار السياسي بيد الاكثرية السياسية باعتبار ان الاكثرية هي من اقوى أدوات الترجيح.

وأما اعتذار الاحزاب الطائفية بمقولة أن " عالمية الإسلام عابرة للأوطان والقوميات " فهي مقولة صحيحة! ولكن عالمية الإسلام لا تعني إلغاء الانتماء الوطني والولاء لأهله! فقد أرسل الله الرسل بلسان أقوامها ليبينوا لهم، وكان النبي محمد ﷺ يحن إلى مكة بعدما أخرج منها .

كما ان الأحزاب الشيعية ليست ذات صبغة عالمية :

وليس من عموم المسلمين، لأنها تستثني غالبيتهم العظمى المؤلفة لأكثر من ٩٠% من العالم الإسلامي .
كما أن نشاط هذه الأحزاب موظف لخدمة الدولة الإيرانية وليس للاسلام ! فقد جعلت ايران الاسلام خادما لها وليست هي خادمة للاسلام

والأدهى أن هذه الأحزاب تشن هجوما دائما على التاريخ العربي الإسلامي والاستأساد على قادته الاموات دون اعتبار لمشاعر ربع سكان الارض، حيث لا ترى فيه سوى سلسلة إحباطات وفشل وظلم يجب التحريض عليه وفضحه على المنبر الفارسي : فهو تاريخ جامد مكرور لمعركة الجمل، ومعركة صفين، وحادثة الطف، ولا ترى فيه قبسا من نور أو مجد يعتز به! . وقد حررت خطابا سياسيا معاديا، متحورا ومتكورا، على هذا التاريخ لترسيخه في الذاكرة الاجتماعية للشيعة .

[388] -تورين ١٩٩٥ : بتصرف

فيا ترى من أين تستمد هذه الأحزاب شرعيتها السياسية ؟! إن لم تستمدها من تاريخ المسلمين المشرق في أكثره !.

منذ نشأة الدولتين العراق ولبنان في النصف الأول من القرن العشرين، بقيت أحزابها السياسية الطائفية تتجه الى خارج الوطن للقيادة والالهام، والى آيات الله في قم للارشاد والتوجيه في كل منعطف سياسي أو أمني أوعسكري، فليس لهذه الاحزاب قرار مستقل أو ارادة سياسية وطنية مستقلة حتى لو جاؤوا عن طريق الانتخاب. وليس في الاحزاب الاسلامية الاخـــرى نظامـــا مشابها لمثل هذه المرجعية الدينية السياسية، بل يعتمدون على ساسة وفقهاء الحزب في إتخاذ القرار ولاينظرون الى توجيه من خارج الوطن فلايتخذ الاخوان المسلمون في العراق مـــثلا، مؤسسة الأزهر العريقة مرجعا.

إن برامج الأحزاب الطائفية الشيعية في الوطن العربي مقترنة بشكل جازم بإقامة أنظمة حكم على النمط الإيراني والارتباط به عضويا. وقد أطلقت الأحزاب الموالية لإيران بعد استلامها السلطة في العراق، أخطبوطا سياسيا طائفيا ستمتد أذرعه الى العالم الاسلامي خصوصا شبه الجزيرة العربية وباكستان وأفغانستان . وستحرص هذه الأحـــزاب علـــى حمايـــة مكاســـبها وزيادتها ولو على حساب تدمير هذه الدول، والعراق نموذج شاخص للاعتبار.

الفصل الثامن : ألاستنتاج

التشيع الدخيل : إفراز للانهيارالمدوي للمجد الساساني

التشيع الفارسي: سياسة غريبة وثقافة شاذة

كان التشيع العربي الإسلامي الأصيل الذي مارسه كبار الأئمة " شوريا " بعيدا عن منطق التوريث الغريب عن الإسلام والشاذ عن منهجه . واذا كان تعريف السلوك الشاذ عند علماء النفس :هو مايبدو غير عقلاني أو به احتمال إيذاء النفس، أوإيذاء الاخرين، واضاف آخرون انه غير قانوني ولاأخلاقي.[٣٨٩] . إن هذا التعريف ينطبق تماما على التشيع الدخيل في سياسته وثقافته وممارسته . فعدم عقلانيته واضحة، أنه حركة سياسية تبشيرية بين المسلمين دون غيرهم، وتقوده قيادة تدعي أنها عربية من أهل البيت، و لكنها أكثر ما تحقد على العرب، قوم محمد ﷺ وأهل بيته . وقد ابتدعت قيادة التشيع نظرية ليس لها أساس من مباديء سماوية أو فلسفة إنسانية، وإنما بنوها على حوادث تاريخية سلبية من تاريخ المسلمين . وهي نظرية تمجد الفشل والإحباط، وتعظم النظام الاستبدادي ألوراثي، وبذلة أنتجت ثقافة مؤذية لأتباعها وللآخرين، فجاء التشيع الدخيل غريبا بلا نظير ولا مثيل في ثقافات وأديان الأمم الأخرى.

حركة سياسية تبشيرية:

التشيع الفارسي الدخيل حركة سياسية شعوبية تبشرية عنيفة. أفرزها انهيار الامبراطورية الساسانيةعلى يد المسلمين الأوائل. اخذت هذه الحركة خطا تصاعديا في العنف وحب الانتقام حتى صارت عقيدة دينية في القرن الرابع الهجري بتوجيه واسناد الدول الفارسية: العبيدية في المغرب العربي والبويهية في العراق في المشرق العربي. وهي تعمل بنشاط على تحويل المسلمين إلى مبادئها وزيادة عددها القليل، موظفة موارد ضخمة وإمكانيات هائلة لهذا الغرض: حيث تجند أكثر من اربعين قناة فضائية تبث إلى كافة أنحاء العالم، ولها ميزانية ضخمة تقدر بمليارات الدولارات لشراء الذمم والأقلام، والصرف على آلاف النشطاء السياسيين المتخرجين من معهد " قم " الاستراتيجي .

يقوم هؤلاء النشطاء بأغواء فقراء المسلمين ومحتاجيهم بالمال والعمل الاجتماعي المنظم والقصص الأسطوري المثير والادب المفضوح الذي يمس كرامة أصحاب النبي ﷺ وأزواجه تحت شعار خادع هو حب أهل البيت. لقد جلب نشاط هؤلاء الساسة المعادي للمسلمين سخط الغالبية العظمى منهم "فالأقلية الطائفية تسعى بنشاط لتحويل الناس إلى مبادئها(الهداية) لزيادة العدد ، ولكن هذا النشاط يجلب لها الصراع مع الأديان الأخرى ومع غير المتدينين"[٣٩٠] . لذا ابتدعوا نظاما سريا تمويهيا – التقية – ليجنبهم هذا السخط ويعينهم على إدامة هذا التبشير.

ومع حملات التبشير بين فقراء المسلمين وبسطائهم، يعتقد هؤلاء الساسة أن مجتمع المسلمين الكبير' أتباع الخلفاء الراشدين' هو مجتمع منحرف مغتصب، ويجب إزالة نظامه السياسي

---

[389] Furnham. A .2008 : 4 -7 -

[390] Jerjensen et el 1997 : 630 --

"ومع إيمانهم بالهداية والتحويل إلى ديانتهم لكنهم ثوريون ولهم موقف راديكالي تجاه المجتمع الكبير يصورونه على أنه مجتمع شيطاني وخطر مع الرغبة في إزالة نظامه"[٣٩١] .

لكن لماذا تصرف كل هذا الموارد من اجل هذا التبشير بين المسلمين دون غيرهم ؟

أولا: لأن المراجع الفرس لهم معركة كبرى مع فاتحي بلاد فارس الأموات وأتباعهم الأحياء ،الذين يحملونهم مسؤولية " جريمة الفتح " وانهم كانوا ومازالوا سببا لتعاستهم، فلابد من دق أسافين الفرقة والشقاق بينهم لغرض إضعافهم وتدمير دولهم انتقاما لإزالة البناء الامبراطوري الغابر العظيم . وثانيا: إن هذه الحركة ليس لها صراع مع الآخرين ولايهمها التبشير بينهم، فلم يحصل تاريخيا أن فتح الفرس قرية واحدة وضموها إلى ديار الإسلام طيلة فترة حكمهم لمعظم العالم الإسلامي والتي استمرت قرابة ثلاثة قرون . بل على العكس من ذلك فقد ضيعوا أجزاءً عزيزة منه مثل ضياع القدس الشريف زمن حكم الدولة العبيدية لمصر، وتعاونوا على مر العصورمع أعداء الإسلام : من برابرة وتتار، وإدارات برتغالية، وإنكليزية، وأمريكية، مما أدى إلى سقوط واحتلال بعض الدول الإسلامية، وما سقوط القدس، والعراق وعاصمته بغداد على أيديهم او بمساندة غزاة اجانب إلا أمثلة شاخصة للعيان .

وبسبب هذا الحقد بقيت هذه الحركة الشاذة محصورة بإيران لم تتعداها إلا إلى بعض النفوذ في العراق والدول المجاورة رغم حشد الطاقات الثلاث: صرف موارد مالية ضخمة، وتجنيد امبراطورية إعلامية موجهة، وتعاون تاريخي متكرر مع أعداء الاسلام لأكثرمن ألف عام.

قاد هذه الحركة العنصرية عدد صغير من علماء وفلاسفة ومؤرخين متطرفين، اصابتهم مشاعر عميقة تتسم بالحقد والغضب والضغينة والعدوانية، من جراء الانهيار الساساني العظيم على يد من يعتبروهم ادنى درجة منهم خصوصا وقد دان لهم هؤلاء العرب،أثنا عشر قرنًا قبل الاسلام.

قيادة غاضبة عدوانية:

قاد التشيع الفارسي الدخيل المعادي للمسلمين نخبة محصورة في عدة سلالات عائلية من المتطرفين، والزنادقة الفرس . بدأ تاريخ هذه القيادة بالقومي أبي مسلم الخراساني والمجوسي المستعرب زوربة دازويه (عبد الله بن المقفع)، لتشمل فيما بعد قائمة طويلة ممن امتلأت قلوبهم غضبا وغِلا تجري به أقلامهم، وتبديه ألسنتهم : كأبي القاسم فردوسي، و قمي، و مجلسي، وجزائري، و شريعتي، وخميني. وقد كانت طبقة رجال الدين ضمن هذه القيادة، وما زالت، تشكل السلطة الثانية التي تعتمد عليها الدولة الإيرانية بمختلف أطوارها في تثبيت أركانها والتبشير بالتشيع القومي الفارسي . ولم يخرج عن هذا العرف أحد، سوى خميني بسبب سياسة التغريب التي تبناها الشاه بهلوي والتي هددت الإرث القومي للفرس فأزاحه خميني وتولى الحكم رجال الدين مباشرة .

وخلافا لساسة الأمم، لم يستمد قادة الفرس شرعيتهم السياسية من مجد التاريخ الإسلامي رغم ادعائهم أنهم مسلمون وأنهم سادة من أشراف العرب . بل بنوا شرعيتهم السياسية، في عملية انتقاء بارعة، على حادثة تاريخية مؤلمة في تاريخ المسلمين، وهي استشهاد الحسين،

[391] - المصدر نفسه :٦٣٠ . (ibid).

وجعلوها تاريخا محوريا لايبرحوه وبنوا عليه اعتقادا له أدعية خاصة وطقوس مميزة مخالفة لأدعية وعبادات عامة المسلمين. وصار تفسير كل التاريخ العربي الإسلامي عند هذه النخبة موازيا لهذه الحادثة، فهو سلسلة من ثورات يقودها أئمة طالبيون يستزلهم الفرس ويستدرجوهم، ثم تفشل الثورة، فيتبعها إحباط، حتى نفد وقود أملهم فزعموا أن الإمام الأخير قد غاب ولم يمت وسيرجع يوما، في دهاء سياسي خطير لإدامة الصراع .

لقد أدت دورات الفشل التاريخية المتكررة، وعدم نجاحها في إعادة المجد الساساني المفقود، إلى غضب وإحباط لدى قيادة التشيع التي أحست بظلم كبير على فقدها هذا المجد . فأبدعت بذكاء ودهاء عداوة وهمية بين بناة الإسلام الأوائل، وبنوا عليها مظلومية تاريخية مصنوعة، غرضها تبرير الاعتداء على من أتوا على البناء البربري الساساني من القواعد فخرّ عليهم السقف .

وادعت هذه القيادة ان لها ارث من بيت علي وانهم سادة في اكبر عملية تمويه وانتحال في التاريخ الانساني، فخلافا لسيرة علي ابن أبي طالب في الابتعاد عن السلطة والزهد في المال، فقد تحالف مدعي النسب العلوي، مع محبي المال من تجار السوق وملاك الأرض، فجعله هذا التحالف من أكبر الممولين في العالم، وصارت نخبة السادة الفرس طبقة سياسية ارستقراطية تأنف الاختلاط بالفقراء وعامة الناس واحتجبت في أقبية سرية تضفي عليها زهدا وهيبة مصطنعة على شاكلة التعارف الفارسي (فن التظاهر). وقد سهل عليها هذا التصنّع في إتخاذ القرارات الاستراتيجية المهمة بسرية تامة، بعيدا عن الناس متخذة من قم والنجف مقرين رئيسيين للمناورة وتبادل الأدوار.

ان انتحال المرجع لقب السيد، وأنه عربي من نسل علي، هو أحد فنون التمويه الفارسي. أما حقيقته فهو مركز سياسي مكتسب يهديه معهد قم الاستراتيجي لنشطاء سياسيين متحمسين لإعادة الإرث الساساني. لهذا جعل المعهد قسم الولاء، لهؤلاء الساسة، بعد التخرج مباشرة هو شتم صاحب الوثيقة العمرية السمحة و شتم قادة فتح بلاد فارس، وشتم العرب كلهم رغم أن العرب قوم علي ﷺ وبنيه!.

وقد وظّف خريج معهد قم شبكة بشرية من وكلاء ومعتمدين لجمع المال وتوصيل الرسائل السياسية والإرشادات العامة . وأتبعها فيما بعد بتنظيم أحزاب سياسية طائفية في الوطن العربي رديفا لنظام الوكلاء، وإن القرار السياسي النهائي لهذه الاحزاب رهن بيد الولي الفقيه ، لذا وجدنا كيف وضعت هذه الاحزاب كل إمكانياتها المادية والمعنوية ضد العراق في الحرب الإيرانية–العراقية ١٩٨٠–١٩٨٨.

إن أولوية مهام " السيد " السياسية الذي امتلأ قلبه غلا هي:

أولا: تشويه تاريخ العرب والمسلمين بصورة دائمة ومكرورة، وتحقير رموز هذا التاريخ وتبشيعهم، وخلق حالة كره وحقد ضدهم مستخدما أسلوبا فاحشا بذيئا، ونافخا في نار الاحقاد بالسب والشتم والتبخيس، وكيل التهم. هدفه الاغتيال المعنوي لهذه الشخوص لسحب الشرعية منهم!.

وثانيا: تفريس الأقليات الشيعية وجعل التشيع هوية قومية جامعة عن طريق نشر اللغة والثقافة الفارسيتين وربطها بنظام مرجعي يتربع على قمته فارسي حصرا، يكون الولاء فيه

له وليس للوطن الأصلي في محاولات دائبة لعزل الأقليات الشيعية عن أوطانهم الأصلية، والحاقها بايران، وها هما العراق ولبنان مثالان شاهدان.

وقد ساند الساسة الفرس مشروعهم القومي في تفريس العرب بهجوم إسقاطي نفسي منظم فحواه أن حكومات العالم العربي تحاول " تعجيم الشيعة العرب" بالرغم من تبني هذه الحكومات سياسات وطنية لاتفرق بين مواطنيها على أساس دين، أو مذهب، أو قومية . وقد تهاوت هذه التهمة على دوي مشروع فارسي مدمر يجتاح العراق ولبنان يقوده " سيدان" شعوبيان : سستاني المتعاون مع المحتل الامريكي في العراق، وخامنئي الولي الفقيه لحزب الله في لبنان.

يكافأ حامل لقب " السيد " على نشاطه ضد العرب والمسلمين، سلطة سياسية مطلقة على الاتباع، وله حرية التمتع بالنساء، ويجبي بهذا النسب فقط دون تأدية أي شكل من أشكال العمل، ضريبة مالية قدرها ٢٠% من كسب الشيعة الطيبين. ومن واجبه الاعتداء على أموال" النواصب" وإيذاؤهم بطريقة قانونية وغير قانونية جيلا بعد جيل، تحت ذريعة أنهم أتباع من غصب حق فاطمة في فدك، وأن "السيد" من نسل فاطمة، فله حق إسترجاع إرثها!.

ولقادة التشيع سياستان مزدوجتان مع السلطات الغريبة عنهم في الأوطان ذات الأقليات الشيعية: الأولى هي سياسة محافظة نائمة، عند وجود حكم مركزي قوي، فيمارسون التقية المتمثلة في موالاة السلطة علنا، ومحاربتها سرا. والثانية هي سياسة عنيفة استئصالية عند تمكنهم من الحكم، ومثالهما الأبرز سياستا الغريبين خوئي ثم سستاني في العراق.

وقد ابتدعت هذه القيادة العدوانية نظرية تمويهية غير عقلانية تعكس عداءهم وكرههم الذي يكنونه ضد العرب والمسلمين، لتكون أساسا نظريا لحركة شعوبية أسموها " الإمامة " أو " نظرية التشيع الفارسي الدخيل ".

التشيع الدخيل نظرية غير عقلانية:

لما كان قادة التشيع الدخيل يعلمون أنهم يعيشون في محيط غالبيته من المسلمين، لذلك ابتدعوا في تنفيذ برامجهم نظرية نفسية تمويهية ظاهرها الخنوع هي (التقية) وهدفها السياسي الكبير هو التحريض العنيف ضد رموز المسلمين.

وخلافا لكل النظريات السياسية التي تتأسس على جملة قيم ومباديء تعتمد الحجة والبرهان في الإقناع وكسب المؤيدين، استندت نظرية التشيع على اصطناع خلاف سياسي تاريخي بين خلفاء الرسول ﷺ الثلاثة وبين الخليفة الرابع الذي تأخر حكمه حتى حان موعده ، معتبرين إياها " تثبيت أحقية الحكم "، وهي أحقية لم يقل أو يحتج بها بطلها الذي عاشها، ولم تثبت في المراجع المعتمدة، بل العكس، هو الذي ثبت في أوثق وأشهر مراجع الإمامية وهو نهج البلاغة .

تدعي النظرية وجود عداء بين المؤسسين الأربعة الأوائل للدولة الاسلامية، بعد وفاة النبي محمد ﷺ مباشرة، بحجة أن فاتحي بلاد فارس، أبا وبكر وعمر وعثمان، قد سلبوا الزاهد عليا السلطة والمال. وقد صورت النظرية الإمام الزاهد بأنه شغوف بحب السلطة بشكل مهين مشين، فأركبوه حمارا مع زوجته فاطمة، وهو يدورفي الطرقات والأسواق يدق الأبواب مطالبا بالبيعة له، فلم يستجب له أحد!. هذه هي صورة علي – حمو عمر– في القصص

الفارسي، وهو علي الذي عاش مع الخلفاء الذين سبقوه مبايعا ومشاركا ومشاورا لمدة ربع قرن من الزمن، ثم صارمن بعدهم، عن طريق الشورى، خليفة.

لقد جعلت النظرية من هذا العداء المصطنع وسلب السلطة التي لم يحتج بها علي مطلقا مظلومية تاريخية غرضها تقويض بناء الدولة الاسلامية الذي قام على هذه الأركان الأربعة . وما هذا التصوير إلا إسقاط نفسي يمارسه الفرس والمتفرسون ليعكس عبادتهم للسلطة والمال و شعورهم بظلم وكآبة أصابتهم جراء حرمانهم من مجدهم الامبراطوري العظيم، محملين الخلفاء الأربعة مسؤولية الحرمان من ذلك المجد الغابر العظيم.

وعلى أساس هذا الظلم الموهوم وضعت قيادتهم المكتئبة برنامجا ثقافيا وخطابا سياسيا شاذا يؤكد مظلوميتهم ويديم العداء بين المسلمين. ولبرنامج مظلوميتهم الشاذ شقان:

الأول: ثقافي سمته الأساسية حداد تاريخي طويل ومناحات سرمدية لا تنتهي تذكّر بانهيارهم منذ أن دكت سنابك خيل الفاتحين البناء الإمبراطوري البربري قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة !. ظانين أن عظمة الأرث المقبور تستحق هذا الحداد الحالك السواد لكل هذه السنين المتطاولة لعل الحياة تدب فيه يوما.

والثاني: سياسي لحمته الرئيسية خطاب ناري تحريضي عنيف يطالب بالثأر، ليس من الذين فتحوا بلاد فارس الأموات بل من أتباعهم وذراريهم الاحياء على مر العصور. وقد عينت القيادة زعيمين آثمين لتنفيذ هذا البرنامج هما : الروزخون والرادود ، اللذين يتفننان في تسييس الحوادث التاريخية في مجالس العزاء الجماهيرية وتقطر افواههما بكل معاني البغضاء والكراهية من أجل تسميم النفوس وشحن العقول ضد تاريخ المسلمين وقادته بتهيج عاطفتي الغضب والإحباط البدائيتين، وهما أخطر عواطف الإنسان في تهيئة النفوس لحب الانتقام والاستعداد للعدوان.

لا أظن أن شيعيا عربيا تجري في عروقه دماء الأجداد أو ينبض قلبه بخفقة إيمان برسالة محمد ﷺ لاينتفض غضبا على انتهاك حرمات او التطاول على أصحاب النبي ﷺ وأهل بيته ورموز العرب والمسلمين الكبارعلى مرالزمن . بل لاأتخيل عربيا يمكن أن ينتمي إلى هذه النسخة المشوهة من التشيع مطلقا، ويقبل بهذا التهييج النفسي اللاأخلاقي والتحريض غير القانوني الذي يمارسه هذان الزعيمان الفاشستيان. فهدف هذا التهييج العاطفي العدائي واضح جدا : وهو محاولة إبعاد الأقليات الشيعية عن انتمائها العربي والإسلامي، تمهيدا لربطها ببلاد فارس.

لقد كان هناك تشيع عربي إسلامي أصيل سانده أئمة أهل البيت قبل هذه النظرية العدائية . ولم يكن ذلك التشيع الأصيل إلا موقفا سياسيا في المعارضة أو التأييد عند الاختلاف السياسي، غرضه الترجيح بين مواقف وآراء المتعارضين، وليس للتفريق بين المعتقدات والعبادات . هكذا فهم أهل بيت النبي ﷺ وصحابته " أدب الاختلاف " لذا تجاوزوا خلافهم بسرعة واستمروا في نشر تعاليم الإسلام السمحة إلى الناس كافة، ولم يجعلوا من اختلافهم سياسة دائمة لنشر الحقد وحب الانتقام .

لقد جاء القرآن مناقضا لهذا الإرث الساساني المصبوغ بالتشيع . فالقرآن يقرر أن الشورى هي المبدأ كما هي آلية التنفيذ في تولية أمور الناس العامة لمن يستحقها . أما عند التنازع فينيغي الاحتكام إلى مرجعية عليا هي القرآن والسنة النبوية الصحيحة.
{ يأيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فإن تنازعتم في شيء

فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخ ذلك خير واحسن تاويلا }(النساء :٥٩). وجاء السلوك السياسي للأئمة الكبار مطابقا لتوجيهات الآية الكريمة، فهذا سيد أهل البيت علي بن أبي طالب يبايع الخلفاء قبله، ويقبل القرآن حكما عند تنازعه مع معاوية في معركة صفين . كما بايع ابناه الحسن والحسين معاوية بن أبي سفيان خليفة للمسلمين .

ونظرية التشيع تؤسس لنظام استبدادي يعتمد الحق الآلهي في تعيين الإمام أو الحاكم، محصورا في بيت واحد، وجعل التوريث عقيدة دينية مقدسة تمنع أي اعتراض أواحتجاج عليها . واختلقت نظريتهم مما تسميه الاغتصاب السياسي لحق لعلي " مظلومية تاريخية " تتوارثها الأجيال، تجاوزت قواعد السلوك الحضاري والأخلاق الإسلامية والقانون الإنساني.

وقد دفع شذوذ النظرية واختلالها، دعاتها إلى استخدام الإرباك والتحريض لتسويقها:

أما الإرباك فهوالإتيان بالقول وضده، والحديث ونقيضه، والموقف وعكسه،- فن نعم لا- بهدف إدخال الفوضى في قواعد وأخلاق الاسلام المحكمة، وتضييع الحقيقة، والخروج من المآزق. وأما التحريض السلبي فمطيته سب وشتم المؤسسين الأوائل لهذا الدين، بهدف سحب الشرعية السياسية والإسلامية منهم، مما يؤدي في المحصلة إلى هدم الدين. إذ لو كان المؤسسون الأولين الذين شاهدوا محمداً ﷺ على خطأ، فلا يمكن لمن يأتي بعدهم أن يكون على صواب، وهذه هي قاعدة " الطعن بالشاهد إبطال للمشهود".

الطعن بالشاهد.. إبطال للمشهود .

إن الطعن برموز المسلمين: أصحاب النبي ﷺ وأزواجه، وتجريح هؤلاء الشهود الذين أدّوا إلينا الإسلام مباشرة من النبي ﷺ ، يترتب عليه عدد من الأمور الخطيرة أجملها الشيخ الفطن عفيفي بالرباعية الآتية:

١- الطعن في ذات الله تعالى.
٢-الطعن في رسول الله ﷺ.
٣-الطعن في القرآن الكريم.
٤- الطعن في دعوة الإسلام وشريعته.

١- " أما الطعن في ذات الله تعالى فمرده إلى أن من يتهم الصحابة بالردة والكفر أو الفسق والعصيان ينسب ضمنا الجهل أو العبث إلى الله تعالى.وبيان ذلك أن الله تعالى أثنى في كتابه الكريم على أصحاب نبيّه ﷺ، وأوضح وأكد أنه تائب عليهم، وراض عنهم، ووعدهم بالحسنى . فإذا آل أمر الصحابة بعد كل هذا إلى الكفر والارتداد عن الدين كان معناه نسبة الجهل إلى الله بما سيؤول إليه أمر الصحابة خصوصا إذا زعم القائلون في ذلك أن الله خفي عليهم أمرهم . فإن قالوا أنه كان عالما بما سيؤول إليه أمرهم كان ثناؤه عليهم ضربا من العبث والجهل وهما محالان على الله سبحانه وتعالى.

٢- وأما الطعن في رسول الله ﷺ فنتيجته الحكم عليه بالفشل في تربية جيل من الصحابة لم يثبتوا على الإسلام بل ارتدوا على أعقابهم اثر وفاة نبيهم، ولم يثبت عليه منهم إلا النزر اليسير. وهذا يخالف ما اتفقت عليه كلمة مؤرخي المسلمين وغير المسلمين. و ينقض الطعن في صحابة الرسول ﷺ شهادة واقعه بدليل حرصه ﷺعلى الارتباط بكبار الصحابة بالمصاهرة : فقد زوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء لسيدنا علي، وزوج سيدنا عثمان بابنتيه

السيدة رقية ثم السيدة أم كلثوم، وتزوج هو من السيدة عائشة بنت الصديق أبي بكر وبالسيدة حفصة بنت سيدنا عمر. فاذا كان الصحابة بهذه المنزلة من رسول الله ﷺ ثم يأتي من يتهمهم بالكفر والإلحاد في دين الله، فان ذلك يطعن أول ما يطعن في شخص النبي ﷺعلى أنه لم يكترث بمن حوله فكانوا أئمة الكفر وقادة الضلال. وقد لاحظ هذا المعنى الإمام مالك فقال: إنما هؤلاء القوم أرادو القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك ، فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجل سوء ، فلو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين .

٣- وأما الطعن في القرآن الكريم فلأن القرآن بلغنا بواسطتهم ونقل إلينا عن طريقهم. فإذا كانوا مقدوحا عليهم في دينهم، فإن الثقة يومئذ تنعدم بكل ما جاءنا عن طريقهم ومن ذلك القرآن الكريم. ومن المعلوم أن مايتداوله اليوم الناس من القرآن كتاب الله هو ما اعتمده الخليفة الراشد عثمان بن عفان واتفق عليه جميع المسلمين يومئذ.

٤- وأما الطعن في الاسلام وشريعته فلأن الله تعالى جعل الإسلام خاتمة الرسالات، وضمّنه أسباب سعادة البشرية في حاضرها ومستقبلها في الدنيا والآخرة، ومع هذا لم تسفر جهود نبي الإسلام على مدى ثلاثة وعشرين عاما الا عن اعتناق عدد قليل له . بل وحتى مع هذا العدد القليل، انقلب جميع المؤمنين به على أعقابهم فور موت نبيهم ﷺ! فكيف يمكن لمثل هذا الدين أن يقتنع به أو يقبل على الإيمان به أحد ؟. ويرد على هذا الطعن أن الإسلام اليوم أكثر الأديان انتشارا رغم ضعف المسلمين وتخلفهم، بل يقبل عليه أصحاب المدنية الحالية وهم الغربيون، وهذا من أعظم أسراره لتطمين قلوب المؤمنين به ".[٣٩٢]

إن أيما قوم تنّقصوا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فهم **أعداء هذا الدين** ! لأن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن النبوية أصحاب رسول الله ﷺ ومن أرادوا جرح الشهود فإنما ارادوا إبطال ركني الدين :القرآن والسنة.

وكعادة الإمبراطوريات في التاريخ التي تتمسح بمبدأ إنساني وشعار أخلاقي معلن لتمرير سياساتها وتحقيق أهدافها، تمسحت القيادة الفارسية بشعار إيماني جميل تهفو إليه قلوب جميع المسلمين وهو حب آل البيت. وأنى لهذا الشعار الجميل من صدق لدى نخبة بنت عقائدها على الكراهية وحب الانتقام. فأي حب لرسول متهم بأنه لايطيعه أصحابه وماخلص منهم الاثلاثة ويتآمر عليه أزواجه لقتله بالسم، ويكال السب والشتم لأزواجه وأمته وقبيلته التي أنجبت كثيرا من حملة راية دينه وشريعته؟! أي حب مزعوم هذا؟! .

بعدما ودع الكسروي المهزوم يزدجرد قصره الابيض ووعده بعودة حفيده الغائب خسرو مجوس يوما، وضع خطة ذكية خادعة وحملها بعده أحفاده، فلسفتها : مادام اصحاب الرسول خصوصا خلفائه الاربعة الذين هدموا بيته الامبراطوري العظيم فلابد من هدم هذا الدين من البيت الذي انطلق منه، عن طريق الطعن بمن تربى وأرتبط مع سيد هذا البيت بالمصاهرة والنسب، واستخدام الاغتيال الاخلاقي لهؤلاء الاصحاب والانساب، ونشر ثقافة مؤذية تطلق الغرائز البدائية وتسمم النفوس والعقول تدعو الى الثأر وحب الانتقام بصورة دائمة ومستمرة، الى أن يعود خسرو مجوس منتصرا الى قصره مجددا.

---

[392] - عفيفي ٢٠٠٣: ٦٠-٦٩ .

ثقافة مؤذية للأتباع وآلاخرين:

إن أمم الأرض كلها تملك هوية إنسانية دينية أو ثقافية تعتز بها لأنها تحدد لها شخصيتها ، وتتنافس مع الأمم الأخرى من أجل الارتقاء بالإنسانية إلى معارج النضج والكمال، ولكن دون المساس بخصوصية أمة أخرى، إلا : التشيع الفارسي ! فقد ابتدع ثقافة وسياسة دخيلة على ثقافة ودين العرب والمسلمين، مؤذية للأتباع والآخرين .

ويتضح الإيذاء الذي يوقعه هذا الفكر على أتباعه من حيث تأثيره السلبي على الشخصية الشيعية. فالمراجع الفرس يطالبون الشيعي بممارسة التقية في حياته وعدم التصريح بآرائه ومشاعره الحقيقية تجاه ما يؤمن ويعتقد به . وهكذا تفقده التقية احترام ذاته وتصيبه بسلسلة مشاعر وعقد سلبية مقموعة، تجعل إنسانيته تعيش تحت معاناة صعبة التحمل، لأنه بمجرد انكشاف ممارس التقية في موقف واحد سيخسر ثقة المحترمين له!. كما أنها تجعله يحمل تشنجا طائفيا حادا وتعصبا يمارس به التضليل والخداع في معاملة الآخرين، فيستحيل معها بناء علاقة ثقة معهم . تترسخ هذه التربية الذليلة في الشيعي منذ طفولته عندما يغرسون عقدة الاضطهاد فيه ويحقنونه بالإحباط عن طريق طقوس العزاء المهينة والقصص الحزينة والأساطير الحارقة للأمل وممارسة اللطم وشق الرأس والزحف على البطون والأرجل وتطيين الملابس والأجسام، حتى اصبحت هذه التربية اعتيادية ومقبولة.

أما ايذاء الآخرين فيتمثل بسب وشتم فاحش بذيء ضد رموز وقادة مئات الملايين من المسلمين دون أدنى اعتبار لمشاعرهم وأحاسيسهم. لذا تلاحظ أن من أهم خصال المتشيع الفارسي عند الحوار، أوالحديث هي، إما مهاجمة الآخرين بالفحش والبذاءة والاتهام بطريقة نفسية تهييجية دون تقديم دليل أو برهان، أوالشكوى والتظلم والتمسكن .وقد أنغرست هذه الثقافة في النفوس منذ الصغر وتعززت عندما أدخلت النخبة في وعي الشيعي أن كثرة حضور مجالس العزاء والمشاركة في مواكب التطبير الدموية العنيفة، وسب وشتم قادة المسلمين خصوصا الأموات منهم هو سبيل النجاة الوحيد إن أراد النجاة بعد الموت. وجعلت جائزة هذا الحضور "المتعة " التي يأنفها العرب والمسلمون. فليس من شيم العرب والمسلمين تلطيخ حزن العزاء بالجنس، ولا من عرفهم النياحة واللطم على الشهيد.

فالتشيع الدخيل حركة سياسية تمويهية عنيفة، قادتها نخبة فارسية متشائمة هالها سقوط المجد الساساني الغابر، فانتجت ثقافة شاذة وسياسة عنيفة، صرفت عليها كثيرا من المداد والوقت والمال، تريد المواجهة مع المسلمين على مر الدهور والعصور تحت شعار ماكر هو حب اهل البيت والدفاع عن عن مظلوميتهم المصنوعة، والتي لم يشتك منها ائمة اهل البيت انفسهم ، وحملوا مسؤولية هذه المظلومية ليس على المتنازعين الاوائل فقط بل سحبته على كل الأجيال اللاحقة للمسلمين. وانتجت خطابا عدوانيا يدعو الى الثأر وحب الإنتقام. وقد نجحت هذه النخبة الكئيبة في زرع الفرقة والنزاع بين المسلمين مع إدامة الانقسام بينهم، بتمايز الشيعة عنهم، في محاولة لعزلهم عن محيطهم العربي الإسلامي الاصيل .
ولكن؟!.

هل ممكن إنهاء هذه السياسة العدائية التاريخية المتصلة، والتوتر الدائم بين المسلمين وإبدالها بمصالحة وسلام ؟

الجواب نعم، وممكن، ولكن بطريقين اثنين :

الاول : إستقلال المرجعية وأتباعها بهذا المنهج والاعتقاد والثقافة دون التحريض ضد المسلمين. وهذا حق طبيعي لكل أمة ان تختار شكل ثقافتها ومعتقداتها وتستقل بهما، ففي العالم يوجد المئات بل الآلاف من المعتقدات والاديان والثقافات الخاصة بالامم والاقوام، لكن ليس بينها من يهاجم ثقافة ومعتقدات الآخرين بصورة دائمة على مر الدهور والعصور.

الثاني: إدراك أن أصل اختلاف غالبية المسلمين مع التشيع الدخيل هو العدوانية الذي يبديها هذا التشيع ضد قادتهم، أصحاب رسول الله، وأمهاتهم، زوجات النبي، وتاريخهم، واتباعهم ، وتكفيرهم،والدعوة الى الانتقام منهم وانتهاك حرماتهم والحث على العدوان على حقوقهم بأي شكل كان، منذ فتح بلاد فارس وحتى اليوم.

إن خطوة صعبة وقرار شجاع سينهي هذا التوتر التاريخي والانقسام الدائم!.

خطوة صعبة وقرار شجاع:

لقد تهيأ لبلاد فارس من العلوم والفنون والإرث التاريخي الكبير ما لم يتهيا لغيرها من الأقوام غير العربية التي دخلت الإسلام ونجحت في قيادة المسلمين في حقب تاريخية مختلفة كالترك والكرد والبربر. ولكن بدل استخدام القيادة لهذه الإمكانيات والموارد في دعم الإسلام ونشره، وظفته لإثارة التوتر والعداء بين أبنائه، فبقيت إيران على مدى اكثر من ألف عام دولة عنصرية ومذهبية منغلقة تعيش على حوادث التاريخ لا تغادرها، وتتغذى على ثقافة الكراهية وحب الانتقام.

سيكون إنجازا كبيرا أن تدرك النخبة أنها تحمل ثقافة وعقائد خاصة بها، وتعيش حياة مختلفة عن الآخرين، ليس لها شبيه في الثقافات والأديان السماوية والوضعية .ولذلك عليها أن تتوقف عن مهاجمة المسلمين بالخطاب المحرض على كراهية الصحابة وأمهات المؤمنين زوجات الرسول (ص) وعلى المسلمين تحمّل سهام الطعن وجراح اللعن ضد رموزهم على مدار القرون، وتحميل هذه الرموز تهمة اغتصاب سياسي ومالي مصنوع، لا يقوم عليه دليل من عقل أو نقل، الذي ادى ويؤدي إلى خلق عداوة وتوتر دائميين. فما من سياسي ينظر بعين المصلحة لأمته فيزهد بإسناد أكثر من مليار وربع مليار مسلم ويظل مصرعلى سياسة تحريض، تبقي التوتر قائما، إلا أن يكون أقرب الى الجنون أو الشذوذ.

كما سيكون إنجازا ناجحا كذلك، أن تدرك القيادة أن التاريخ سلسلة مترابطة من صراعات سياسية بين أقوام كل يدعي أن الحق معه فيبشر بقيم وحضارة أفضل من خصمه . ولكن بعد انتهاء الصراع، تسير الحياة نحو صلح او اتفاق أو تبن لتلك المباديء والحضارة . ثم تعاد الكرة تارة أخرى، وهكذا دواليك. إن حيوية التاريخ لا تجمد عند حادثة تاريخية واحدة تدور حولها . فالقيادة الحكيمة، تنتهز ولو فرصة واحدة، تهيؤها لها فترات ما بعد الحروب، لإحلال السلم الاجتماعي بين المتنازعين، والتوقف عن التحريض السلبي والثقافة سيئة النية.

فلا يمكن للتحريض السلبي الدائم والثقافة سيئة النية أن يكونا مرجعا للحوار في العصر الحديث بسبب شذوذ هذه السياسة والثقافة عن منطق العصر القائم على احترام الآخر. فإذا أرادت القيادة الفارسية للمجتمعات المسلمة أن يسودها السلم الأهلي والاجتماعي والتعاون، عليها أن تتجاوز دعاواها في المظلومية والمحرومية المصنوعة والتعبئة السياسية المبنية

عليهما والهادفة إما إلى الأخضاع أوالتدمير، لأن هذه الدعاوى ببساطة لا يقرها الحكماء ويأبى نقلها الوسطاء.

إن الاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة في تصويب أو تخطئة ممارسات المسلمين، الاجتماعية والعقائدية، هو السبيل الوحيد لتجنيب تشكيل شرائح مجتمعية تتصارع من اجل فرض تصوراتها وعقائدها الخاصة على المسلمين.

ولتعلم النخبة أن صعود التشيع الفارسي وجعله أساسا للهوية الاجتماعية والولاء لدولة إيران ، سينتهي بصورة مفاجئة عندما يدرك عامة الشيعة، خصوصا العرب منهم، عدم صدق هذه السياسة، مما سيؤدي إلى انهيارها في النهاية. وتنذر بهذا الانهيار غمامتان سوداوان : أولاهما العملية السياسية القاتلة التي قادها المرجع الأعلى سيستاني، ونفذها مريدو خميني في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق، والتي أدخلت العراق في فترة مظلمة حالكة جعلت منه ليس دولة فاشلة فحسب بل دولة منهارة. وثانيتهما مغامرة حسن نصر الله وماجرته من مآسي على لبنان تنفيذا لأوامر الولي الفقيه في طهران.

تتوجه الأقليات الشيعية إلى الايرانيين باعتبارهم أخوة لهم غير مدركين أن النوايا الإيرانية غير صالحة دائما. وبالمقابل تستخدم إيران التخدير المذهبي والاجتماعي لهذه المجتمعات من أجل تحقيق مصالحها الوطنية فقط. إن هذا الولاء لإيران سيسلب من الشيعة ثقة الحكومات الوطنية بهم في بلدانهم الأصلية، وسيولد التخدير الفارسي للشيعة، في القريب، قوى رافضة للسيطرة عليهم "بالريموت" عن بعد، وسيعود الوعي قريبا إلى الذين تخدروا فأغلقوا أعينهم أمدا طويلا عن كوارث التبعية لإيران.

إن أولى الخطوات الموفقة في الاتجاه الصحيح إذا حسنت النية وأرادت القيادة المصالحة التاريخية مع المسلمين هي نفض غبارالأفكار ألتحريضية المثيرة التي عصفت بها كتب حاقدة وضعت منذ القرن الرابع الهجري الى اليوم. ففي تلك الكتب طروحات لاتقول بها حتى الفلسفات الإنسانية الوضعية فضلا عن أن يقول بها أهل بيت النبي محمد ﷺ . فنبينا الكريم جاء بدين جعل علة بعثته تمام مكارم الأخلاق " إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق" . فعلينا الاقتداء به ﷺ بدل الاستمرارعلى آثام التحريض واتخاذها أساسا لإنشاء شرائح مجتمعية منعزلة ترفض الانصهار في الأمة المسلمة الكبيرة. وثاني الخطوات هي تجريم ثقافة الحقد والكراهية ودعوات الثأر من قادة التاريخ العربي الإسلامي وأتباعهم، مما امتلأت بها موسوعات التشيع الدخيل والتوقف عن طبعها ونشرها. وينبغي إحالة القائدين الفاشستيين الآثمين : الروزخون والرادود، إلى القضاء لمحاكمتهما على خطابهما السياسي الناري الذي يهدد الاستقرارالاجتماعي والسلم العالمي ويمنع أي مصالحة تاريخية في المجتمعات الإسلامية.

وأخيرا لا بد من إيجاد مرجعية عربية/إسلامية منتسبة حقا للأئمة الأطهار بدل مدعي النسب الأغراب .إن مثل هذه المرجعية الاصيلة ستصحح الخطأ التاريخي الذي اقترفه ادعياء النسب العلوي، الذي دام أكثر من عشرة قرون لم تكسب الأمة المسلمة خلاله سوى الدماء والدموع . عندها ستكون المرجعية نبتا اسلاميا وطنيا خالصا يجعل التعبد بالمذهب إندماجا كاملا في الوطن، وليس ولاءً لإيران.

وإن ماجرى ويجري في العراق واليمن ولبنان تضع على عاتق علماء المسلمين من كافة المذاهب الاسلامية، مسؤولية التصدي لمثل هذا التحريض السلبي، والخطاب السياسي الناري،

والثقافة العنصرية الهابطة، ضد رموز وقادة التاريخ الاسلامي من الاقدمين والاخـــرين، دون اعتبار لمشاعر ألف ومائتين وخمسين مليون مسلم.ان إصدار بيان للناس كافة يدين هذا النهج المعادي والشاذ، ويبين الموقف الشرعي الصحيح الواضح، سيحصن المسلمين، ويجنبهم خطر التصادم والانقسام، ويحفظ لهم سلمهم الاهلي ووئامهم الاجتماعي.

لقد أدرك الشيعة العرب في العراق بعد الاحتلال الامريكي، أنهم حالة منفصلة عن أحـــزاب تحالفت مع المحتل ووالت ايران، وهي مسؤولة عن عنف طائفي مزّق العراق ودمره والـــذي ماعرف الطائفية يوما . ومن واجب الشيعة أن يشاركوا في تشكيل خارطة سياسية تقود إلـــى اندماج وطني حقيقي لمكونات العراق، ومن واجبهم أن يساهموا في إدارتـــه تحـــت المظلـــة الوطنية العراقية بعيدا عن سطوة المرجعية الفارسية . وكذلك الحال مع بقية الاقليات الشيعية في العالم الاسلامي.

هذا هو الحل، وهذه هي الرؤية، الرؤية التي عبر عنها بدقة بطل الحقوق المدنية الاســـود ماتن لوثر كنغ في خطابه الشهير في آب١٩٦٣ " الرؤية التي ستتيح لنا تحويـــل الـــشقاق الرهيب الذي يلف امتنا الى معزوفة اخاء جميلة " .

انتهى الكتاب بعون الله وتوفيقه

المصادر العربية

١--القرآن الكريم. –

٢- الاستاذ إحسان الهي ظهير١٩٨٣ : الشيعة واهل البيت- ادارة ترجمان السنة - لاهور.

٣- إحسان إلهي ظهير ١٩٨٤ – الشيعة والتشيع فرق وتاريخ- ادارة ترجمان السنّة-لاهور.

٤-احمد الكاتب ٢٠٠٥: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه .دار الشورى. لندن.

٥- ابو خليفة علي بن محمد القضيبي: ٢٠٠٥ - ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت- أنصار الآل والصحب.

٦- القاضي ابي بكر بن العربي ١٩٨٦ – العواصم من القواصم- حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب – المكتبة العلمية - بيروت.

٧- ألان تورين ١٩٩٥ : ماهي الديمقراطية؟ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية . ترجمة حسن قبيسي . دار الساقي لندن.

٨- أوليفيه روا ١٩٩٤- تجربة الاسلام السياسي- دار الساقي – لندن.

٩- اسحاق نقاش١٩٩٦ : شيعة العراق – ترجمة عبد الاله النعيمي- دار المدى للثقافة والنشر– دمشق.

١٠- أبن منظور- لسان العرب- طبعة المعارف- القاهرة.

١١- الدكتور بشار عواد معروف ١٩٨٩ الاسلام ومفهوم القيادة العربية للامة الاسلامية- مطابع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد.

١٢- توفيق الشيخ ١٩٨٨: عن العراق والحركة الاسلامية. حوارات مع العلامة محمد تقي المدرسي .الصّفا للنشر والتوزيع - لندن.

١٣-- جيل كيبيل ٢٠٠٤ الفتنة: حروب في ديار المسلمين.ترجمة نزار اورفلي. دار الساقي .لندن.

١٤- جميلة كديور ٢٠٠١- المرأة رؤية من وراء جدر- ترجمة سرمد الطائي – دار الفكر دمشق.

١٥- جريدة الشرق الاوسط في ٢٠٠٥/٦/١٨ .

١٦-حسن العلوي٢٠٠٧ عمر والتشيع ثنائية القطيعة والمشاركة . دار الزوراء. لندن.

١٧- حسن العلوي١٩٩٠: الشيعة والدولة القومية. دار الزوراء . لندن

١٨- حنا بطاطو-١- ١٩٩٦ : العراق – الكتاب الاول – الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية- ترجمة منيف الرزاز. مؤسسة الابحاث العربية. بيروت.

١٩- حنا بطاطو-٢ – العراق- الكتاب الثاني –الحزب الشيوعي- ترجمة عفيف الرزاز-مؤسسة الابحاث العربية – بيروت.

٢٠- حنا بطاطو: الحركات السرية الشيعية في العراق- ترجمة وتعليق شاكر العزاوي. منشورات مكتبة عدنان – بغداد.

٢١- مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا – دار الشهاب –بيروت.

٢٢- السيد حسين ألموسوي : - لله ثم للتاريخ كشف الاسرار وتبرئة الأئمة الأطهار.

٢٣- خميني – الحكومة الاسلامية.

٢٤- دستور الجمهورية الاسلامية في ايران١٤٠٦ هجرية - ترجمة الدكتور آذرشب- وزارة الارشاد الاسلامي . طهران. –

٢٥- رسول محمد رسول ٢٠٠٨ - فقهاء وأمة – جذور العمل الاسلامي في العراق الحديث. مؤسسة الانتشار العربي – بيروت.

٢٦- الدكتورزيد العيص ١٩٩٣ – الخميني والوجه الاخر في ضوء الكتاب والسنة- دار اليقين –المنصورة. –

٢٧- سليمان بن صالح الخراشي ٢٠٠٦ -أسئلة –قادت شباب الشيعة الى الحق
http:/www.saaid.net
-http:/www.alkashf.net

٢٨- د.شهلا حائري٢٠٠٧ المتعة الزواج المؤقت عند الشيعة.ترجمة : فادي حمود شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت.

٢٩- صفي الرحمن المباركفوري١٩٩٢ : الرحيق المختوم- مكتبة دار السلام- الرياض .

٣٠- د.طه الدليمي- أ-٢٠٠٧التشيع عقيدة دينية ام عقدة نفسية . بلا دار نشر.

٣١- الدكتور طه حامد الدليمي-ب- ٢٠٠٧- غربان الخراب في وادي ا لرافدين. بلا دار نشر.

٣٢- د.طلعت محمد عفيفي ٢٠٠٣ – اصحاب النبي(ص) بين المادحين والقادحين- دار السلام – القاهرة.

٣٣- طارق احمد حجازي ٢٠٠٨ - لجنة الدفاع عن عقيدة اهل السنة – فلسطين

٣٤- عادل رؤوف ٢٠٠١ محمد باقرالصدر بين دكتاتوريتين . المركز العراقي للاعلام والدراسات .دمشق.

٣٥- عادل رؤوف – أ-٢٠٠٦ العمل الاسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية. قراءة نقدية لمسيرة نصف قرن (١٩٥٠ -٢٠٠٠) .المركز العراقي للاعلام والدراسات.دمشق.

٣٦- عادل رؤوف - ب -٢٠٠٦عراق بلا قيادة : قراءة في ازمة القيادة الاسلامية الشيعية في العراق الحديث . المركز العراقي للاعلام والدراسات . دمشق.

٣٧- الشهيد الدكتور علي شريعتي ٢٠٠٢ التشيع العلوي والتشيع الصفوي. ترجمة حيدر مجيد. دار الامير.

٣٨- عبد الله فهد النفيسي -١٩٩٠ : دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث.- ذات السلاسل-الكويت.

٣٩- د علي محمد الصلابي ٢٠٠٥ عمر بن عبد العزيز- معالم التجديد والاصلاح الراشدي على منهاج النبوة – مؤسسة إقرأ .

٤٠- د. علي محمد الصلابي ٢٠٠٨ صلاح الدين الايوبي- دار المعرفة بيروت.

٤١ - الدكتور علي محمد علي الصلابي ٢٠٠٤ علي بن ابي طالب : شخصيته وعصره- دار التوزيع والنشر الاسلامية-القاهرة.

٤٢- د.علي محمد الصلابي٢٠٠٦ – دولة السلاجقة- دار المعرفة – بيروت. –

٤٣- د.علي محمد الشمراني ٢٠٠٣: صراع الاضداد المعارضة العراقية بعد حرب الخليج .دار الحكمة .لندن.

٤٤- الدكتور عبد الكريم زيدان ١٩٧٦ : مجموعة بحوث فقهية- مؤسسة الرسالة – بغداد.

٤٥- الدكتور عبد الكريم زيدان- ١٩٨٧- اصول الدعوة- مكتبة القدس- بغداد.

٤٦- الدكتور علي الوردي ٢٠٠٩ : دراسة في طبيعة المجتمع العراقي . الوراق للنشر لندن.

٤٧- عبد الرحمن عبدالله الزرعي -١٩٨٣ رجال الشيعة في الميزان - دار الارقم .الكويت.

٤٨ - عمر كمال، حسين مولود، علي عبد الستار، راضي سعيد ،وليد ناصر٢٠٠٦- مساجد في وجه النار-اصدار مركز الرشيد للدراسات والبحوث –العراق-

٤٩- غسان العطية ١٩٨٨ : العراق نشأة الدولة- ترجمة عطا عبد الوهاب- دار اللام.

٥٠- غسان البصري ٢٠١٠ : براءة أهل البيت من عقائد التشيع الفارسي.

٥١- غوستاف لوبون – سيكولوجية الجماهير- ترجمة وتقديم هاشم صالح- دار الساقي- لندن.

٥٢- فائق الشيخ علي ٢٠٠٠ : اغتيال شعب . مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية العراقي . لندن.

٥٣- فهمي هويدي ١٩٩٩ –تزييف الوعي .دار الشروق.القاهرة.

٥٤ - الدكتورفرهاد ابراهيم ١٩٩٦ الطائفية والسياسة في العالم العربي .نموذج الشيعة في العراق. مكتبة مدبولي- القاهرة.

٥٥- العلامة الدكتور موسى الموسوي ١٩٨٧ : الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع. طبعة لوس انجلس.

٥٦- مركز إحياء تراث آل البيت :علماء الشيعة يقولون....!(وثائق مصورة من كتب الشيعة). البحرين.

٥٧- الدكتور موسى الموسوي.- الثورة البائسة.بلا دار نشر.

٥٨- محمد عمارة-١٩٧٥ –الاعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي -المؤسسة العربية للدراسات والنشر-.بيروت.

٥٩- محمد الجابري١٩٩٥-العقل السياسي العربي- محددات وتجليات- مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت.

٦٠- مركز دراسات الوحدة العربية-١٩٩٦ –العلاقات العربية- الايرانية- الإتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل - ندوة فكرية- بيروت.

٦١- د.مصطفى حجازي١٩٨٦- التخلف الاجتماعي –مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور- معهد الانماء العربي-بيروت.

٦٢-الدكتور معن خليل عمر١٩٩٤ علم اجتماع الاسرة- دار الشروق – عمان- الاردن.

٦٣-الشيخ محمد عبدة ٢٠٠٨ : نهج البلاغة دار المحجة البيضاء العراق – النجف الاشرف.

٦٤ - الدكتور موسى الحسيني – ٢٠٠٠- ساطع الحصري والخطاب الطائفي الجديد – منشورات دار الكوثرللطباعة والنشر- بيروت.

٦٥-الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر- فدك في التاريخ- تحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة.مركز الغدير للدراسات الاسلامية.

٦٦- الشيخ محمد رضا النعماني ١٩٩٧ :الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار – الناشر المؤلف – المطبعة إسماعليان – قم.

٦٧-أ.د محمد بشار الفيضي ٢٠٠٨ بيانات هيئة علماء المسلمين في العراق – حصاد الاحتلال الامريكي للعراق-الجزء الثاني- دار الجيل العربي – عمان.

٦٨ أ.د.محمد بشار الفيضي ٢٠٠٨ – بيانات هيئة علماء المسلمين في العراق- حصاد الاحتلال الامريكي للعراق-الجزء الاول- دار الجيل العربي – عمان .

٦٩-الشيخ نعيم قاسم ٢٠٠٨ :حزب الله- المنهج...التجربة...المستقبل. دار الهادي- بيروت.

٧٠- د.ناصرعبد الله بن علي القفاري ١٤١٨ هجرية: مسألة التقريب بيت أهل السنة والشيعة- القسم الثاني –دار طيبة –الرياض .

٧١- الدكتور هيثم غالب الناهي٢٠٠٢: خيانة النص في الخريطة السياسية للمعارضة العراقية .الدار الاندلسية . لندن.

٧٢- ولي نصر٢٠٠٧ - صحوة الشيعة- ترجمة سامي الكعكي- دار الكتاب العربي – بيروت.

المصادر الأجنبية

1-Adorno Theodor 2001-The Culture industry-Routledge Classic-london-NewYork

2-ALDOURI, F.M, 2006 :THE SHIAS AND THE MODERN IRAQI STATE. M.A.DISSERTATION.BRADFORD UNIVERSITY.U.K

3-Baron, R.S., Kerr, N. and Miller, N. 1992-Group Process, Group Decision, Group Action –Open University Press .Bukingham.

4-Bremer.l.P 2006 my year in iraq:The struggle to Build a Future of Hope Simon & Schuster.

5-Chehabi, H.E. 2006 DISTANT RELATION.Iran and Lebanon in the last 500 Years .I.BTaurisPublisher. LONDON.NEWYORK.

6-Coon, D. 1992 ;INTRODUCTION TO PSYCHOLOGY .EXPLORATION & APPLICATION .WEST PUBLISHING COMPANY.NEW YORK

7- Deaux, K., Dane, F.C. ,Wrihghtsman, L.C. Social psychology in the 90's ,Brooks/cole publishing company.

8-Esposito. J 1990 The Iranian Revolution :Its Global Impact.Florida.International Press Miami.

9-Esposito.J 1995.The Islamic Threat .Myth Or Reality?Oxford University Press.

10-Faleh A Jabar2003 The Shi'ite Movement in Iraq.Saqi London

11- Furnham, A. 2008 : 50 Psychology Ideas, Quercus Publishing Plc-London

12-Hazelton F.1994 Iraq Since theGulf War:Prospect of Democracy.Zed Books.Ltd

13-Helms.C 1984. Iraq:Eastern Flankof the Arab World.The Brooking Institution,WashingtonDC.

14-Jary, D. & Jary, J. 1991:Collins Dictionary of Sociology.HarperCollins Publishers .Glascow.

15-Nasr, V. A.-2006 THE SHIA REVIVAL w .w Norton & company –New york.London..

16-NATIONAL GEOGRAPHY-AUGUST 2008

17-Nick Jorgensen et al 1997 : Sociology An Interactive Approach. HarperCollins London.

18-Olivier Roy 11994The Failure of Political Islam .By I. B. Tauris & co Ltd .London.NEWYORK

19-Piscaton J.1991.Islamic Fundamentalisms and The Gulf Crisis.American Academy of Art &Science.

20-Polk W.2005 .understanding Iraq.I.B.Tauris.

21-Richard Y.(Translated by Neville.A)1995.she'ite Islam.Blackwell.Oxford.

22-Roberts, J.M. 1992: History of The World .Helicon Publishing Limited. Oxford.

23-Simons G.1994 : Iraq From Sumer to Saddam.Macmillan

24-Sluglett.M.& Sluglett.P.1990: Iraq Since 1958 From Revoution to Dictatership. I.B.Tauris&CoLtd.

25-Wiley.J.1992.The Islamic Movement of Iraqi Shias.boulder &London.

26-Yapp.M.1996: .The Near East Since the first World War:A History to 1995.Longman.